

لاري وين

تفجيرات
مبيرة

Justified explosions

انفجارات مبررة

قراءة ممتعة!!

مقدمة

قتلوا، احترقوا، انفجروا، قطعوا إربا، والسبب؟ السبب لأنني كنت شخصاً طيباً...يالها من حياة غير عادلة...أعاقب لأنني ساعدت...ألام لأنني ساعدت، أنفى لأنني ساعدت...تخلوا عني لأنني ساعدت...لأنني كنت طيباً معهم حصل كل ذلك ههههههه هههههههه، كم أن هذه العالم فوضوي قاتم، أين البشر دائماً ما يبحثون عن سبب للقتال...إذا ما رأيك بهذا ياقتي؟، ألا يستحق هذا المجتمع أن يعاقب قليلاً؟

-نعم.

1: هجوم مطهر (الجزء الاول)

1985 طنجة، المغرب-

في غابة مظلمة تغطي أشجارها الكثيفة ضوء القمر المكتمل الساطع، كانت الصيحات تتردد في الأرجاء: 'علي!'. بدأ نور الكشافات الضوئية يخترق جذوع الأشجار، ومعها ارتفعت أصوات النداءات في الغابة، لصدى فريق بحث مكون من عدة أشخاص بقيادة رجل كبير قصير وأعرج. كانوا يتوغلون في الغابة الكثيفة شيئاً فشيئاً، بحثاً عن علي، الشرطي الذي فقد أثره منذ أيام، وآخر أثر له كان في هذه المنطقة. بعد مسيرة نصف ساعة في الظلام، لاحظ أحد أفراد الفرقة تصاعد دخان من الأمام. أسرع الفرقة نحو مصدر الدخان، وعندما وصلوا، واجهوا طريقاً سياراً فارغاً به سيارة محترقة، تهشمت مقدمتها بالكامل إثر اصطدامها بجرف صخري على الجانب الأيمن من

الطريق.

اقتربت الفرقة بحذر من السيارة، بينما ركض رئيسهم بسرعة على عرجه، متقدماً على الباقيين. عندما سلب الكشاف الضوئي على اللوحة الخلفية للسيارة، عرف فوراً أنها تطابق رقم لوحة سيارة علي المفقود. كانت السيارة في حالة سيئة، محترقة بشكل مبالغ فيه. اقترب الرئيس من السيارة ليتأكد من وجود جثة علي أو أي دليل آخر. لكن السيارة كانت فارغة تماماً. في تلك اللحظة، ناداه أحد أفراد الفرقة، كان يقف في منتصف الطريق ويشير بكشافة الضوئي إلى الأرض، حيث تظهر قطرات دم تبدأ من باب السيارة المحترق وتمتد إلى منتصف الطريق قبل أن تختفي بشكل غامض ومريب.

-بعد مرور سنة-

على شاشة التلفاز، كانت تعرض حلقة جديدة من العرض الكرتوني الشهير "مغامرة راند الفضاء روني". سامي، طفل في الثامنة من عمره، يجلس أمام الشاشة متحمساً. يهوى الفضاء والفلك، وحلمه أن يصبح راند فضاء مشهور مثل بطله راند الفضاء روني. وعده والده أنه إذا حصل على درجات جيدة في نهاية السنة الدراسية، سوف يشتري له بدلة الراند روني ومنظراً ليراقب به النجوم والقمر ليلاً. لذلك، كان سامي يعمل بجد ليكون الأول في فصله.

وبعد قليل، والده سيأخذه بسيارته بعد أن ينتهي من وجبة إفطاره للإختبار الأخير في مادة الرياضيات. أنهى سامي إفطاره وركض مسرعاً للباب، تبعه والده بعد أن ودع زوجته التي كانت تبتسم لهما.

دخل الاثنان السيارة، شغل الأب محرك السيارة، ونظر من المرآة الداخلية قائلاً: "مكوك أبولو 11 ينطلق الآن بششششش!"

صاح سامي متحمساً ورفع يديه قائلاً: "لننطلق يا والدي إلى كوكب المدرسة."

رد والده وهو يمسك بالمقود بحماس: "حاضر أيها الكابتن سامي."

إنطلقت السيارة من باب المنزل نحو المدرسة. في الطريق، كان سامي يقرأ إحدى مجلات الأطفال التي وجدها قريبه. لاحظ صورة لكوكب الأرض وعليه وجه يشعر بالتعب بسبب كثرة المصانع والدخان التي تحيط به. وضع سامي المجلة جانباً وسأل والده: "أبي؟"

رد الأب: "نعم بني؟"

سأله سامي: "هل البشر سيئون؟"

استغرب الأب من سؤال ابنه، حيث أنه لم يتوقع هذا السؤال قط منه. نظر إلى سامي عبر المرآة وقال: "ولما هذا السؤال فجأة؟"

رد سامي: "لأن كوكب الأرض مريض بسبب الدخان الذي تنتجه المصانع."

رد الأب: "هل رأيتها في تلك المجلة هناك؟"

سامي: "نعم."

الأب: "حسناً... سوف أتحدث معك الآن باعتبارك رجلاً، حسناً؟"

سامي: "ولكنني رجل."

الأب: "حسناً أيها الرجل الشجاع، البشر أنواع، هناك من يبني وهناك من يهدم، هناك من يحكم وهناك من يُحكم. لا نستطيع الحكم على جميع البشر بأنهم أشرار أو أحيار. بل هم في المنتصف، في المنطقة الرمادية، منطقة متوازنة. كل شخص في تلك المنطقة قد يخطئ ويصلح. لكن كل شخص حر في الخروج منها والذهاب في طريقه بحرية. هناك من يذهب في طريق الشر وهناك من يختار الخير."

حاول سامي إستيعاب كلام والده المعقد، لكنه ركز على جملة واحدة أثارت إنتباهه. فسأل والده بخصوصها: "وأنت يا أبي، هل اخترت

وضع إسحاق السماعة، وأخذ رشفة من كوب القهوة ووضعه على الطاولة الخشبية قربه، أغلق أزرار قميصه، وشغل التلفاز على زاوية الغرفة وجلس على أريكة خضراء أمام التلفاز لكي يشاهد التلفاز والخبر العاجل الذي يهيمن على التلفاز بمختلف القنوات الإخبارية بالعالم، كل قناة تصف الانفجار حسب هواها، ولقاءات مع محللين سياسيين يفترضون إفتراضاتهم للمستضيف، ظل إسحاق يمر بين القنوات ويستمتع للأراء ونقاشات، كل واحد يقول عكس ونقيض لمايقوله محلل من قناة أخرى، ثم شعر إسحاق بالضجر وأطفأ التلفاز وقرر الذهاب للمركز رغم تجاهله لكلام رئيسه، لأن شيء ما في قلبه حثه على الذهاب، لذا ارتدى سترته البنية ووقف وإستدار لحيل المشنقة خلفه ونظر إليه بنظرات شاحبة وخرج من شفته وركب سيارته القديمة المهترئة بزجاجها الأمامي الشبه مكسور، شغل محرك سيارته وتوجه لمركز الشرطة حيث كان يعمل كمحقق قبل أن يمنحه الرئيس إجازة مطولة حيث يكمل اليوم سنة بها.

وصل إسحاق للمركز وإذا به يرى مجموعة من الصحفيين يقفون أمام المركز بكاميراتهم وأسئلتهم المكررة والتي لا تنتهي، وخلفهم متظاهرون غاضبون يحملون لافتات مكتوب عليها عبارات تعبر عن رغبتهم الملحة في إعدام ذلك الإرهابي الذي قتل أطفالهم في أسرع وقت ممكن، قضية هذا الإرهابي إنتشرت في المجتمع كالنار في الهشيم بعد أن صور أحد المارة صورة لذلك الإرهابي وهو يقف أمام مركز الشرطة ويصرخ بصوت عالي أنه هو الشخص الذي فجر تلك المدرسة الابتدائية، مما جعل المتظاهرين المكونين من أباء وامهات وحتى أفراد من المجتمع يتظاهرون أمام المركز بعد مدة قصيرة من إنتشار الخبر.

عندما رأى إسحاق ذلك الحشد المتظاهر أمام المركز حاول تشغيل سيارته مجددا والرحيل ولكنه تذكر أن الرئيس قال له أمرا غريبا وهو ان ذلك الإرهابي يريد كلامه معه فقط، وهذا ماأشغل باله وخرج من سيارته واخذ نفسا عميقا وذهب للمركز بخطوات متسارعة، توغل بين المتظاهرين مطأطأ رأسه ثم وصل للصحفيين الذين بدأوا بطرح الأسئلة عليه وتصويره بكاميراتهم، لكنه تجاهلهم ودفع من كان أمامه بكفقه بقوة إلى أن سقط واكمل طريقه ودخل للمركز حيث وجد المكان مليئ برجال الشرطة والمحققين وأعضاء في مناصب الحكومية عالية في إنتظاره، خرج الرئيس عبد العزيز السمين والقصير الأعرج من بينهم بسرعة وسحب إسحاق من ذراعه وأخذه بسرعة لغرفة التحقيق وسط نظرات حادة من الموجودين في المقر، وهم بالرواق ذاهبان للغرفة، قال له الرئيس بغضب: "ألا تعلم لماذا يريد التحدث معك أنت بالضبط، لقد جعل الجميع يشك بك؟"

إلتفت له إسحاق بوجهه وقال له: "من يدري، ولكننا نعلم أنني لست صاحب شهرة واسعة لكي يتم طلبي بشكل خاص من الرجل حديث الساعة."

الرئيس: "أيا يكن، أتمنى أن لا علاقة لك به حقا."

وصل الإثنين لباب الغرفة، وفتح الرئيس الباب بسرعة، ودخل الرئيس وإسحاق للغرفة حيث كانت مليئة بالمحققين والشرطة، يستجوبون ذلك المفجر بعنف، أغلق الرئيس الباب من خلفهم وإلتفت جميع من كان بالغرفة لهم وتوجهوا بأنظارهم مباشرة نحو إسحاق الذي كان ينظر للمفجر مطأطأ رأسه وشعره الطويل يغطي على ملامح وجهه، إقترب الرئيس للمحققين وسألهم: "ألم يقل شيئا بعد؟"

رد عليه أحد المحققين بنبرة غاضبة: "لا هذا السافل قد بلغ لسانه، لذا انا سوف أقوم بإخراجه بنفسي..."
إقترب ذلك المحقق الأصلع للمفجر وأمسكه من رأسه وحاول فتح فمه وهو يقول بصوت عالي وبنبرة غاضبة كالمجنون: "هيا!! قل لماذا، لماذا قتلت أطفالي بأي ذنب قتلوا أي الحقير عديم الرحمة!؟"

سحبه الرئيس وبعض الأشخاص من الخلف بقوة، وقال الرئيس بصوت عالي للجميع بالغرفة لكي ينهي هذه المشاحنة داخل الغرفة: "هذا ليس وقتا تتحكم العاطفة بكم، نحن رجال أمن هذه البلاد وهدفنا استخراج أكبر قدر من المعلومات منه لكي لا يؤدي الأبرياء مجددا ولكي نجد أي جماعة ينتمي لها بالضبط، فمن المستحيل ان يفعل كل هذا لوحده، لذا هيا إخرجوا كلكم وأذهبوا للغرفة المجاورة، لقد أحضرنا له من يريد."

خرج الجميع من القاعة غاضبا وهم يرمقون إسحاق بنظرات متنوعة من ينظر له بإستخفاف ومن ينظر له بحقد ومن بينهم ذلك المحقق الأصلع حيث أمسك إسحاق من قميصه قبل أن يخرج وسحبه نحوه بقوة وقال له: "يستحسن لك إستجوابه جيدا وإلا قتلتك هنا وفي الحال، هل سمعتني!!" دفع المحقق إسحاق للخلف على الحائط وصادر الغرفة وأغلق خلفه الباب بقوة.

إلتفت الرئيس لإسحاق المتكى على الحائط أين دفعه المحقق، وقال له: "إعذره، لقد ماتت إبنته وإبنة بتلك المدرسة."

إبتسم إسحاق ونظر للرئيس وقال له متهمكا: "هل سوف تعطونه إجازة طويلة الأمد هو الآخر؟"

أغلق الرئيس عينيه ومر إسحاق بقربه وإقترب للمفجر ونظر إلى رأسه المطأطأ والمغطى بشعره، فتح الرئيس عينيه ونظر للمفجر وقال له: "هل أتيتك ضميرك لدرجة أنك لم تقدر حتى على رفع وجهك... لن ألومك فقتل الأطفال الصغار صعب خصوصا إذا كان عددهم كبير، ولكنني لا أظن لشخص مثلك ضمير أو حتى قلب ليضيق به."

رد عليه المفجر بصوت هادئ بالكاد يسمع وهو لا يزال مطأطأ رأسه: "وهل أنت لديك؟ قمت بتحرير مجرم من أجل منصبك وتتكلم عن الضمير والقلب؟"

إزداد غضب الرئيس، أكثر بينما أكمل المفجر كلامه: "هل سوف تأتي أنت أيضا لكي تبلى وجهي بلعاب فمك، أم أن صاحب خطاب الموضة سيطبق كلامه؟"

تمالك الرئيس أعصابه، وغادر الغرفة تاركا إسحاق لوحده مع المفجر، ووقف في الرواق الفارغ لوحده وبدأ بضرب جبهته بإصبع السبابة بقوة، يقوم الرئيس بهذه الحركة في أي مرة يحس بأنه سينفجر من الغضب ظنا منه أنها تهدئ من روعه، وهو يقوم بدق جبهته بإصبعه، وقف أمامه وزير الأمن ورئيس قوات الأمن بالبلاد وقال له: "هل تحاول إيقاظ عقلك؟"

رفع الرئيس وجهه ليرى الوزير، رجل كبير في السن طويل القامة ونحيف البنية، شعره ابيض خفيف متساقط من الخلف، يرتدي نظارات دائرية الشكل وبدلة سوداء، صافح الرئيس عبد العزيز الوزير مبتسما ورحب به قائلا: "مرحبا بك سيدي الوزير من الرائع مقابلتك مجددا." أبعد الوزير يده وقال لعبد العزيز: "لا أظن أن هذا وقت الترحيب، أين ذلك القاتل؟"

رد عليه عبد العزيز: "إنه بغرفة الإستجواب مع الشخص الذي طلب منا أن نحضره..."

الوزير بنبرة هادئة: "هل هو من ينفذ أوامر أم أنت؟"

عبد العزيز: "لقد فكرنا في التعامل معه بحذر وتنفيذ شروطه للسلامة العامة..."

الوزير: "بحذر؟ أعطني اسمه أو أسماءهم وأنا سوف أتكلف بهم."

عبد العزيز: "أسماء من ياسيدي الوزير؟"

الوزير: "أسماء الخونة الذين تظن انهم قد يفشون بما دار بينكم داخل الغرفة."

عبد العزيز: "لا، لا يوجد."

الوزير: "إذن هيا أخرج ذلك المعتل النفسي من تلك الغرفة وطبق العنف مع من يعصى، وليس تنفيذ شروطه كأنه هو من يسير الأمور هنا!"

عبد العزيز: "لا حاجة لذلك ياسيدي سوف نراقبهم من الغرفة المجاورة."

الوزير: "لديكم نصف ساعة وسوف أرسل فرقة خاصة للتحقيق معه."

عبد العزيز: "أمرك سيدي الوزير."

غادر الوزير وعاد ادراجه، تاركا الرئيس عبد العزيز يقف لوحده مجددا. عاد الوزير وجلس على كرسي في ردهة المركز، مباشرة أمام باب المركز الزجاجي الذي يظهر له اعداد الناس الهائلة التي تتظاهر، ثم وضع حقيبته السوداء على الكرسي قربه واخرج هاتفه واتصل على احدهم وقال له: "تجهزوا للقادم إلى هنا، سوف اتصل بكم في أي لحظة." رد عليه من إتصل به: "حاضر سيدي الوزير."

أنهى الوزير مكالمته وأعاد الهاتف للحقيبة ثم خرج من المركز للحشد الهائل أمامه ولكنه لم يكن يكثر لهم ومر من الجانب محاولا تفادي الصحافة لكي لا تزعه، ثم وصل لموقف السيارات وذهب لسيارته السوداء الفاخرة وركب من الباب الخلفي ووضع حقيبته جانبا

وفتح ازرار قميصه العلوية وتنهّد بقوة. التفت له للسائق الشاب وقال له: "إلى أين ياسيدي الوزير؟"

نظر إليه الوزير وقال له: "لن نذهب لأي مكان سوف ننتظر رد من مصطفى ليخبرنا إذا كان كل شيء بالداخل يمر على مايرام."

من داخل غرفة الإستجواب بدأت تساؤلات تطرح بذهن إسحاق عندما سمع صوته الذي بدى له مألوفاً، وكيف عرف كل تلك المعلومات، لذا أمر إسحاق المفجر بنبرة خشنة وهو ينظر إليه: "أنت! إرفع رأسك."

المفجر: "أوامرك سيدي."

رفع المفجر وجهه، حيث كان شعره البني الداكن الطويل يغطي وجهه، لذا أعاد رأسه للخلف لكي يزيل الشعر من على وجهه، وعندما أعاد رأسه، ظهر وجهه الذي كان مشوهاً بحروق شديدة أسفل عينه اليمنى وعلى فكه الأيسر، نظر ذلك المفجر لوجه إسحاق الذي كان ينظر له هو الآخر، ابتسم المفجر ابتسامة مرعبة شقة خدوده المشوهة، وسأل إسحاق: "ألا تتذكرني؟"

حك إسحاق شعر لحيته وتمعن في وجه ورد عليه: "هل إلتقينا من قبل؟"

نظر المفجر للملف الموضوع على الطاولة أمامه وقال له: "نعم كثيراً حتى، أنظر لذلك الملف وسوف تتذكرني جيداً."

نظر إسحاق للملف وجلس على الكرسي أمام المفجر الذي كان ينتظر مبتسماً وبحماس رؤية إسحاق لمحتوى الملف. فتح إسحاق الملف وإذا به يرى صورة المفجر الحقيقية قبل الحروق، الصورة التي جعلته يتوه من الصدمة لم يتوقع إسحاق قط ولا واحدة بالمئة، أن يكون المفجر هو نفسه صديقه الشرطي الذي كان يعمل معه في نفس القسم علي تيبّار، الشرطي الذي ظن الجميع أنه مات في ذلك الحادث قبل سنة من الآن.

عندما رأى إسحاق الصورة، ذهب مسرعاً لزجاج العازل الذي يفصله عن الغرفة المجاورة أين يراقبهم الرئيس عبد العزيز والمحققون الذين كانوا بالغرفة قبل قليل وأمامهم شاشات تعرض تسجيل مباشر لكاميرات المراقبة. وضع إسحاق ملف على الزجاج وبدأ بالطرق عليه بيده بقوة وينادي على الرئيس، وقف الرئيس من على الكرسي وقام بتنهّد وقال: "بدأت اندم."

ذهب عندهم للغرفة، عندما فتح الرئيس الباب التفت له إسحاق واقترب له وهو يضع سبابته على صورة المفجر وقال له بصوت عالي: "مالذي يجري هنا؟! ولما توجد صورة علي بملف هذا المفجر؟"

رد عليه الرئيس وهو ينظر بعينه المنتفخة: "إنه علي يا إسحاق، بصماتهم تتطابق."

2: هجوم مطهر (الجزء الثاني)

أنزل إسحاق الملف ببطء وقال في حالة صدمة: "مستحيل... لقد مات في ذلك الحادث بماذا تهدي يا رئيس (إلتفت للمفجر ووجه سبابته عليه وهو ينظر لعزير بنظرات عابسة) هذا الشيء هنا ليس بعلي ولا يمته بأي صلة..."

قاطع المفجر بصوت خشن وهو ينظر للأصفاة المعدنية حول معصميه: "لقد أخبرني ذلك الفتى الذي يسقي القبور أنك تأتي لزيارتي كل فترة، لا بد أنك كنت تزورهم أيضاً أنت تعلم من أقصد..."
إقترب إسحاق بسرعة نحوه وأمسكه من شعره الكثيف وضرب برأسه على الطاولة بقوة، وقال له غاضباً: "هيا!!! إنطق بأسمائهم واجعلهم سبب معقول لكي افصل رأسك عن جسدك!!!"

أراد إسحاق أن يفعلها مجدداً، إلى أن الرئيس أمسكه من كتفه بقوة وقال له بصوت عالي: "لقد أحضرتك لكي تستوجهه وليس لنقتله، وقتنا اصلاً محدود فلا تضيعه بهذه التصرفات الصبانية... لقد إلتقيت بوزير الدفاع بالرواق قبل قليل ولقد أخبرني أنه سوف يرسل فرقة خاصة لأخذه معهم بعد نصف ساعة، لذا عليك التوقف عن هذه التصرفات الطائشة والبدأ بالعمل معه قبل أن نسمع حادث إنفجار آخر هل سمعتني؟؟"

أفلت إسحاق شعر المفجر وسحب الرئيس وأجلسه على الكرسي وقال له: "هيا أكمل مهمتك، مصير الشعب على عاتقك."

خرج الرئيس من الغرفة تاركاً إسحاق مع علي لوحدهم مجدداً. ظل الإثنان ينظران لأعين بعضهم البعض في صمت إلى أن بدأ علي في الكلام: "هل تذكر..." وقبل أن يكمل كلامه ضرب إسحاق سطح الطاولة بيده بقوة وقال بصوت خشن: "وفر حكايات الماضي لنفسك وأخبرني بالسبب الحقيقي وراء هذه التفجيرات؟"

طأطأ علي رأسه ونظر ليديه وأرجله المكبلات بالأصفاد، وقال: "من أجل الصالح العام (رفع وجهه) لدينا رسالة نريد أن نوصلها لحكومات بالعالم ولن نتوقف لحين ذلك."

إسحاق: "وماهيا؟"

علي: "نريد إعادة حكم الإعدام."

إسحاق: "نريد؟ إذا أنتم جماعة إرهابية."

علي: "لسنا إرهابيين نحن قوات حفظ السلام بهذا العالم، نُسلم حيواننا في سبيل تحقيق مرادنا، وهذه فقط البداية، ولن نتوقف لحين تحقيقه، فالحكومات رفضت سماع مطالبنا السلمية قبل سنوات، لذا قررنا للولوج للطرق الأخرى... طرق إعتادوا على تنفيذها."

إسحاق: "حفظ السلام إذا؟ وما ذنب الأطفال إذا كنتم تحفظون السلام، أو هم مجرد أكباش فداء لهدفكم السامي؟"

علي: "ذنبهم الوحيد أنهم يدرسون بتلك المدرسة، فنحن لا نقتل الأبرياء."

إسحاق: "مالذي تقصده؟"

علي: "مدير تلك المدرسة إغتصب فتاة قاصر ونجى بفلته، تلك الفتاة إنتحرت بعد أيام من سماع خبر انه أطلق سراحه، لذا نحن نفذنا الواجب تجاهه، وإنتمنا لتلك الفتاة البريئة، لأن القانون لم ينصفها كما يزعمون أنه يفعل."

إسحاق: "وهل برأيكم أن إعادة حكم الإعدام أو قتل المذنبين بهذه الطريقة سوف يعيد العالم إلى سابق عهده؟"

علي: "سابق عهده؟ بالطبع لا، ولا في الأحلام العالم لن يعود أبداً، طالما عشنا تحت حكم ناس لا يطبقون أحكامهم فلن نعيش أبداً بسلام، يريدون إظهار إنسانيتهم عبر إبطال قوانين وأحكام قاسية تحت غطاء الإنسانية، تلك القوانين كانت تجعل المذنب يفكر ألف مرة قبل ارتكابه للجريمة، وعلى النقيض تماماً طبقوا هذا القانون المانع للإعدام ليرتكبوا أفظع المجازر من الجهة الأخرى للتخلص من أعدائهم دون أدنى خوف من حكم الإعدام، لأنهم حرموه دولياً وفتحوا المجال لأنفسهم لفعل مايريدون بالطريقة التي يحبون دون تدخل من أحد، وللتخلص من تدخل الشعب الحر أو أي شخص يحاول الاستيقاظ من الوهم، صنعوا مشاهير يتعلق بهم الناس لتنتسيهم بشاعة ما فعلوا خلف الكواليس، ولقد نجحوا بذلك، نرى ذلك أمام أعيننا، تجد مشهوراً وأنت تعلم من أقصد، يرتكب جريمة بشعة ولكنه يخرج بعد أسبوع ببراءة، بسبب أن والده صاحب محطة الوقود الشهيرة تيسير، صادف أنه تعشى مع القاضي قبل المحاكمة ليخرج بقرار براءة له، حتى معجباته الوفيات لم يسكتوا، رفعوا شعارات تطلب الإفراج عنه، بل وحتى جمعوا تبرعات لإخراجه بكفالة، رغم إحتياج عدة مستشفيات لتبرعات لشراء الأدوية اللازمة لعلاج شخص اصيب بسبب مثل هذا الرجل المذنب، والآن أين ذلك المشهور؟... نعم صحيح إنه يغني لهم بحفلة موسيقية كأن شينا لم يحدث، هل تعلم لماذا؟ لأنهم يهتمون لمصالحهم طالما لببت لهم مصالحهم، فهم دائماً سمعا و طاعة لك."

من الغرفة المجاورة قال الرئيس لمن حوله: "إنه يحاول التحكم به عبر إستغلال نقطة ضعفه وهيا عواطفه."

سأله احد المحققين من الخلف: "وماذا سنفعل؟"

رد الرئيس وهو ينظر لغرفة التحقيق: "سننتظر لحين وصول فرقة الوزير."

إقترب ذلك المحقق الأصلح الذي هاجم إسحاق سابقاً ووضع أيديه على طاولة المكتب وقال غاضباً وهو ينظر للرئيس على يمينه: "وهل سنترك هذا المعتل يجلس مع إرهابي قد يسيطر على عقله بكلامه، فمن الواضح وكما يبدو للجميع ان الأدوار انقلبت هناك، هذا لم يعد

استجوابا، كان عليك سماع كلام الوزير وإخراجه."

التفت له الرئيس وقال له بهدوء: "سوف نخرجه إذا أردت ذلك، والآن عد لمكانك."

عاد المحقق الأصلع لمكانه غاضبا وأكمل الرئيس عبد العزيز مشاهدته الاستجواب الذي لم يعد استجوابا.

بعد سماع إسحاق لكلام علي طأطأ إسحاق رأسه وأغلق أعينه وهو يتنفس بقوة وبحكم قبضة يده من التوتر والأعصاب.

رفع إسحاق وجهه وتعلوه تعابير غضب وقال وهو ينظر لأعين علي المظلمة: "الهذا السبب اشتربت عليهم أن استجوبك؟"

إقترب علي بالكرسي وقال وهو ينظر لإسحاق مبتسما: "نعم... واخيرا فهمت، نحن نريدك أن تعمل لصالحنا، لأنك تشاركنا نفس الشعور، تشعر أن هذه القوانين غير عادلة، من قتل عائلتك هو الآن حر طليق يسافر من دولة لأخرى ليغني لمعجبيه الذين فعلوا المستحيل لإنقاذه. ألم يكن عليه أن يكون ميتا أو على الأقل داخل السجن بسبب جريمته الشنعاء؟"

إستمر علي بالكلام وإسحاق إزداد توتره شيئا فشيئا، قلبه كذلك ينبض بسرعة، ويشعر بضيق مزعج على صدره كأن شخصا ما وضع صخرة عليه، يعض شفته السفلية بأسنانه بقوة، وأرجله تتحرك بسرعة دون توقف. من خلف الزجاج في الغرفة المجاورة، ينظر لهم الرئيس عبد العزيز غاضبا إلى أن قال للمحققين والشرطة حوله: "هذا يكفي، سوف نخرجه من هناك."

سكت علي وظل ينظر لحالة إسحاق وقال له وهو ينظر له بشفقة: "ماحدث لعائلتك وكيف تم إطلاق سراحه بكل سهولة وسط صراخ معجباته المراهقات أمام المركز جعلني أفكر مجددا في قناعاتي، هل أنا حقا بالجانب الصحيح بهذه الحياة؟... هل كان علي حقا إيقافك ذلك اليوم؟... هل هذه القوانين فعلا قوانين هدفها العدالة ام هيا قوانين تحاسبك حسب مكانتك؟، لم أعد أعرف إلى أي جانب أقف مجددا لذا تراجعت ووقفت بالمنصف اراقب الأوضاع في صمت وحياد إلى أن قررت الخروج للشارع وإيقاظ الناس من غفلتهم..."

-قبل 11 شهرا-

علي شاب في السابع والعشرين من عمره، يقف في الشارع الرئيسي للمدينة يحمل لافتة كبيرة بيضاء مكتوب عليها: "العدالة لموتى الحادث الأبرياء." ولكن لم يكثر له احد بل اكتفوا بدفعه بأكتافهم للمرور متجاهلين حتى ما يوجد بتلك اللافتة أو حتى أنه موجود بينهم، لكنه قد إعتاد على هذا فقد كان يقوم بهذا الفعل لأيام بعد إستقالته من عمله مباشرة، لكن عكس ماكان يتوقع لم يكثر له أحد حيث كان كالشبح بين المجتمع، ورغم تجاهل الجميع له لم يستسلم، بل ظل يخرج يوميا منذ الفجر الى منتصف الليل يقف بثبات ويكتفي برفع لافتته البيضاء بين الناس وهكذا إلى أن وصلنا لهاد اليوم، اليوم الذي قرر فيه الإستسلام من هذا الفعل الغير مجدي، لذا أخذ اللافتة ورمها في أقرب حاوية نفايات وذهب لحديقة كان يعتاد الذهاب إليها والجلوس أمام بركة بط ليرتاح ثم يكمل ماكان يفعل، لكن هذه المرة لم يذهب ليرتاح بل ليجد الأمل، ليجد الرجل العجوز الذي إعتاد الحديث معه وتشجيعه طوال تلك الفترة لقد كان مثل النور الذي كان ينيير طريقه ويحمسه لإكمال ما كان يفعل، وكان يلقب علي دائما ب"فتى العدالة"

والأن دخل الحديقة وكان يأمل ان يجده لكي يشعل شعلة الأمل في قلبه ويذهب لكي يأخذ اللافتة من حاوية القمامة ويعود لما كان يفعله بمخزون حماس ممتلئ، ولكن عوض عن إيجاد الرجل العجوز، وجد شخصا غريبا يرتدي كنزة سوداء فضفاضة بغطاء رأس وتحتها قبعة سوداء ونظارات شمسية سوداء على عينيه، يحمل بيده اللافتة التي رماها علي قبل قليل، إقترب علي منه بسرعة وحاول اخذها منه، لكن ذلك الرجل الغامض ابعدها واشر له للجلوس بجانبه، لم يكن علي بالعنيد وجلس قربه وقال له: "هل انت من الشرطة؟"

نظر إليه ذلك الرجل الغامض وقال له: "لا."

سأله علي: "وإذا ماذا تفعل بهذه اللافتة؟"

رد الرجل الغامض: "أعجبتني، ولا أظن أنها تعجبك، لأنك أردت أخذها مني قبل قليل بالقوة، كان ذلك وقحا يارجل."

رد عليه علي مطأطأ رأسه: "لأنها ملكي، أنا من كنت أرفعها... ولكن هل تعلم؟، إحتفظ بها فهيا لم تفدني بشيء."

رد عليه ذلك الرجل الغامض: "بالطبع لأنك كنت تفعلها بالطريقة الخاطئة، طوال تلك الأيام تستيقظ منذ الفجر وتذهب لكي تقف في نفس

المكان كالصنم، بطبع لن يكثر لك أحد، إذا أردت أن تصنع تغييرا أصنعه بيدك وانحته بعقولهم، بخطة محكمة، وليس بكلام مكتوب على قطعة كرتونية بيضاء."

علي: "وهل كنت أنت تراقبني أم ماذا؟"

الرجل الغامض: "حتى أنني مللت من مراقبتك، ولكن لأكون صادقا أنك رجلا شجاع، تقف لجانب الإنسانية."

علي: "فهمت، أنت تحاول إستخراج المعلومات مني لكي تعتقلني، أرسلك ذلك الأعرج أليس كذلك؟"

الرجل الغامض: "إسمع... أنا لا أحب الحوارات الطويلة، لذا لكي اختصر وقتك ووقتي، انا عضو في منظمة تسعى إلى تحقيق العدالة المطلقة، إذا صافحت يدي فأنت معنا، أما إذا تجاهلتها ولم توافق، سوف تكمل حياتك بشكل طبيعي، ولكن إذا رفضت وأخبرت أحدا عنا بعد ذلك، فلا حاجة لي لأكمل كلامي أليس كذلك؟"

أضاف علي كلامه: "هيا قرر ولا تدعني امد يدي نحوك كالمجنون."

حاول علي النظر للرجل الغامض لكنه منعه وقال له: "هيا!" نظر علي ليده بتخوف، فهو لا يعرف مدى صحة هدف هذه المنظمة المزعومة من طرف ذلك الشخص الغامض، أم هو مجرد فخ نصبه أفراد الشرطة لسجنه، لكنه ومع ذلك، قرر مصافحته لأنه لم يعد يؤمن بالعدالة الحالية. عندما صافحه غادر ذلك الرجل الغامض مباشرة، وترك في يد علي ورقة بيضاء مطوية...

-الحاضر-

قبل ان يكمل علي كلامه وكيف إنضم لتلك المنظمة الغامضة، دخل الرئيس مع بعض أفراد الشرطة والمحققين للغرفة. توجه الرئيس لإسحاق بينما حاصرت الشرطة علي بمسدساتهم، وضحك علي عليهم وقال لهم: "تصوبون بأسلحة لم تستعملوها قط. هل رأيت يا إسحاق رأيت كيف أصبح العالم سهلا؟" أمسك الرئيس إسحاق من ذراعه وقال له: "هيا بنا ليس عليك سماع كلام هذا المختل."

لكن إسحاق سحب ذراعه وقال وهو ينظر لعلي غاضبا: "لن أذهب لأي مكان، سوف أظل معه لحين معرفة كل كبيرة وصغيرة عنهم."

أضاف علي كلام إسحاق: "وأیضا إذا خرج من هذه الغرفة سوف تنفجر قنبلة بين الحشد خارج المركز."

تفاجئ الجميع داخل الغرفة عند سماعهم لكلام علي بمن فيهم إسحاق حيث رفع وجهه للرئيس وقال له بنظرات حادة ونبرة قوية: "إتركوني معه وأنتم إذهبوا وابتحوا عن المفجر بين الحشد بسرعة، عليكم إيجادا بسرعة قبل حضور الوزير وفرقته وإلا طردنا كلنا."

نظر ذلك المحقق الأصلع لإسحاق وقال: "كل هذا بسببك."

صرخ الرئيس على المحقق وقال له: "هذا ليس وقت تلفيق التهم أيها المتخلف. هيا كلكم أزيلوا ملابس الشرطة وارتدوا ملابس عادية سوف نخرج من مرأب المركز ونندمج مع الحشد لتفادي أي مشكل، علينا إيجاد ذلك المفجر قبل مجيء الوزير."

دخل أحد رجال الشرطة للغرفة على عجل وقال: "أليس على احد منا البقاء هنا؟، فلا أظن أنه من الأمن بقائهم لوحدهم دون حراسة." نظر الرئيس إلى الشرطي ووافق الرأي وأضاف على كلامه: "معك حق، ومن سيبقى إذن؟"

رد عليه نفس الشخص: "سوف ابقى ياسيدي وأنتم إذهبوا بسرعة."

غادر الرئيس مع البقية بسرعة من الغرفة وظل إسحاق وعلي لوحدهم مجددا مع تواجد الشرطي بزواية الغرفة يراقبهم، لكنه بسرعة خرج من الغرفة ووقف في الرواق متكأ على باب الغرفة، أخرج جهازه اللاسلكي وقال: "الامور هنا لا تسير على نحو جيد ياسيدي، قال ذلك الإرهابي أن هنالك شخص يحمل قنبلة بين الحشد المتظاهر أمام مركز بالخارج، ولقد ذهب الرئيس عبد العزيز مع بقية المحققين وبضعة رجال شرطة متخبين للعثور على الإرهابي صاحب القنبلة، أظن أن عليك المجيء بسرعة قبل تقاوم الأمور هنا."

رد عليه الوزير وهو جالس بالكرسي الخلفي لسيارته بنبرة هادئة: "لا تتحرك من مكانك سوف تأتي في الحال لتحويط المكان واخذ ذلك الإرهابي معنا، وأيضا لتسريح بعض الموظفين."

رد عليه الجاسوس: "حسنا سيدي الوزير."

بعد خروج عبد العزيز مع الشرطة، أكمل إسحاق استجوابه الشكلي مع علي، محاولا الوصول لأي معلومة أخرى قد تفيدهم، لكن علي لا زال يحاول ان يغير الموضوع باللعب على الأوتار الحساسة، وهيا مشاكل إسحاق النفسية التي ظل يواجهها منذ ذلك الحادث.

نظر إسحاق لعلي غاضبا وقال له بنبرة حادة: "تريد تفجير حشد يطالب بنفس مطلبك، تناقض غريب يجعلني اشك في صحة ما ثرثرت به قبل قليل."

رد عليه علي متكئ على ظهر الكرسي: "طالما لن تخرج من هنا لن تُفعل تلك القنبلة لا تقلق... إذن أين كنا، هل تقبل عرض العمل معنا؟"

ضرب إسحاق بقبضته على الطاولة وقال وهو ينظر لعلي بنظرات حادة: "هل تظن أنني أحقق كفاية، لأعمل مع مرضى يقتلون الأطفال؟"

علي: "لقد أخبرتك، إنه هدف نبيل يا إسحاق."

إسحاق: "هدف نبيل ام لا، أولئك الأطفال كانت لديهم أحلام وأهداف، وأنتم بكل بساطة سلبتها منهم من أجل ماذا؟ من أجل حكم الإعدام، تبا له فلنذهب للجحيم انت وهذا الحكم الذي يجعلني أسلب حياة الأبرياء بدم بارد!"

صرخ علي بصوت عالي ثم قال: "نعيد نفس الكلام هنا يارجل، ألا تريد رؤية قاتل عائلتك يموت أمام أعينك لكي تنطفئ النار التي تشتعل بداخلك؟ أليس هو كذلك سلب حياة طفلين وامرأة لا ذنب لهم سوى أنهم كانوا في المكان الخطأ والوقت الخطأ بينما كان هو منتشيا ويقود بتهور..."

اخذ علي نفسا عميقا وأكمل كلامه هذه المرة بهدوء: "نحن أيضا نسلب حياتهم لم ننكر هذا ولا جدال فيه، ولكن الفرق بيننا وبين أولئك القتلة أننا نملك سبب وهدف أسمى، سبب مبرر وليس لدافع سياسي أو عقائدي، فقط أنظر الآن للحشد الذي يقف أمام المركز، هذا فقط أول إنفجار فما بالك بالبقية، العالم بأكمله سيفج بجانينا، سوف نقدم حيواتنا بكل سرور في مقابل رؤية هدفنا يتحقق..."

نظر علي للكاميرا وأكمل كلامه وهو ينظر لعدستها: "هدفنا واضح، هو إعدام كل مذنب سواء تم الحكم عليه وهو في السجن حاليا أو حر طليق، لا يهم، طالما ارتكب جريمة شنيعة فعليه أن يموت وإلا فسنتلهم الواحد تلو الآخر لا يهم مكانهم حتى لو كانوا تحت الأرض أو بين حشد من الآلاف، لنجدنكم ولنمسحنكم من الوجود."

كان إسحاق وقتها ينظر لجرح قديم على راحة يده وتذكر المأساة التي حصلت له قبل سنة...

-قبل سنة من الآن-

في ليلة ممطرة يجلس إسحاق وهذه المرة نظيف وأنيق المظهر، يرتدي قميصا أبيضاً ومعطف شتوي، يجلس داخل مطعم للوجبات السريعة أمام طفليه، نور تبلغ من العمر سبعة سنوات و عمران يبلغ من العمر ثمانية سنوات، جاء النادل ووضع العشاء أمامهم وعندما غادر سألت نور والداها: "ألم تصل أمي بعد؟"

إبتسم لها إسحاق وقال لها: "إنها في الطريق، أظن أن الطريق مزدحم بسبب هذه الأمطار، كما تعلمون كانت تعنتني بجذكما في منزله لذا تأخرها شيء عادي."

عندما أنتهى إسحاق من تناول عشاءه وقف ونظر لإبنه عمران وقال له: "إنتبه على أختك، سوف أذهب للحمام. سأعود بعد قليل." ردت عليهم نور: "ماذا! أنا لم أعد طفلة صغيرة يا بابا."

رد عليها إسحاق مبتسما: "أنا أعلم يا ماما، لكن عليك أن تعلمي ان أخوك هنا معك دائما لحمايتك حتى لو بلغ عمرك المئة عام."

نظر عمران لإخوته وقال لها: "وقتها سأكون معلم ساموراي محترف ولن يتجرأ أحد على لمس شعرة واحدة من عائلتي."

صافح إسحاق إبنة وذهب للحمام. عندما خرج من المرحاض إتصلت زوجته به وقالت له بصوت عالي: "تركت الأولاد لوحدهم، جديا!!!"

إبتسم إسحاق وقال بنبرة متوترة: "عمران رجل لا تخافي عليهما."

الزوجة: "نعم أنا أرى ذلك، هيا اخرج من الحمام وصلت التحلية مباشرة عندما وصلت، إختيارك جيد على غير العادة."

رد إسحاق مبتسما: "أعلنت الحرب إذن."

أعاد إسحاق هاتفه لجيبه مبتسما، وغسل يديه من الصنبور أمامه، رفع وجهه للمرأة وقال متوترا: "هل ستوافق يا ترى على إنتقالنا مجددا؟" غسل إسحاق وجهه واخذ بعض المناديل وفتح الباب، وقيل أن ينظر أمامه بينما كان يمسح وجهه بمنديل، إختترقت سيارة فاخرة المطعم بسرعة من جهة طاولة عائلة إسحاق ودهست العائلة لوحدهم، بينما الطاولات قربهم كانت فارغة، كأنما سائق السيارة استقصد قتل عائلته بالضبط.

ركض إسحاق بسرعة نحوهم منصدما بينما كان الناس يهربون ويدفعونه. وصل إسحاق لهم ولكن جثتهم كانت مدفونة تحت الركاب والنيران محيطة بالأرجاء، بدأ إسحاق بالحفر وهو ينادي بأسمائهم والدموع تفيض من أعينه، إلى أن رأى يد إبنته نور الصغيرة، كانت يدها باردة وخفيفة بشكل مخيف رغم حرارة المكان العالية، حاول إسحاق سحبها بقوة وهو يطمئننها لكن دون جدوى جثتها عالقة بين الركاب.

ظل إسحاق ممسكا بيد إبنته ونظر للسقف وأطلق صرخة من الحزن، وبيكي بشدة ممسكا بيد إبنته الباردة ويقول لها بنبرة خافتة حزينة والدموع لا تتوقف: "أرجوكم... لا تموتوا... لا تتركوني لوحدي مجددا... أنا أترجاكم..." خرج صاحب السيارة وهو يمسك رأسه من الألم، نظر إليه إسحاق من نافذة المطعم المكسرة، وذهب نحوه غاضبا، وأمسكه من ملابسه ودفعه على السيارة وقال له وهو يستشيط غضبا: "ماذا فعلت يا هذا؟؟؟"

دفع ذلك الشاب إسحاق بضعف وقال له: "أنا؟... لم أفعل شيئا... أنا فقط... أريد.. كعكة ليمون وحامض... خلطة ولا في الأحلام.. هههههههه!"

سدد إسحاق لكمة لوجه ذلك الشاب وتلاها بوحدة أخرى و تلوى الاخرى، والناس بدأوا بإحاطتهم شيئا فشيئا، ثم أخرج إسحاق مسدسه ووضع على جبهة الشاب وسط دهشة من الحاضرين، وعندما أراد إسحاق أن يضغط على الزناد سمع صوت سيارة شرطة توقفت على الرصيف، وتوغلت الشرطة من بين الناس وأمروا إسحاق بإنزال سلاحه فورا، التفت لهم إسحاق بوجهه الغاضب وقال لهم بصوت عالي: "لقد سلب مني عائلتي وأنا سأسلب منه حياته."

أقترب نحو إسحاق أحد أفراد الشرطة ووجه الكاشف على وجهه وقال له في محاولة لتهدئته: "أنه أنا علي، توقف، لا تفعل قرارا سنندم عليه بالمستقبل، أفلت المسدس وسوف تأخذ حقك بالأخير." وضع علي يده على ذراع إسحاق التي يمسك بها المسدس وقال لإسحاق الذي كان ينظر إليه وهو لا يزال في حالة صدمة: "أنا أعدك سوف يتحاسب على ذلك."

-الحاضر-

اتكأ علي على ظهر الكرسي ورفع رأسه وقال: "تذكرت الحادث أليس كذلك، تذكرت كيف ماتت عائلتك وأنت لم تستطع حتى الإنتقام لهم ليرتاحوا بقبورهم."

أضاف علي: "لذلك إستمع لكلامي جيدا، هنالك سبب اخر لتسليم نفسي للشرطة، سبب شخصي لم يكن ضمن الخطة، هل تذكر ماو عدتك به تلك الليلة؟ وعدتك انه سوف يحاسب على فعلته أليس كذلك؟، لذلك أنا أحضرت لك هدية."

رفع إسحاق وجهه ونظر لعلي مستغربا وسأله: "هدية؟"

علي: "نعم، ذلك المغني النجس لديه حفلة على الساعة الثانية عشرة مساءً وستنتهي على حدود الساعة الثالثة فجراً، إذا وقفت أمام محل الملابس المقابل للمركز لمدة عشرة دقائق سوف تأتي سيارة بيضاء وتقف أمامك، إذا ركبت بها سوف تأخذك للحفل ومعك جهاز تحكم عن بعد يتحكم بقتل مزرعة بالمنصة حيث سيقف بالضبط، وبعد أن ينفجر المكان سوف يسلم احد اعضائنا نفسه مدعياً أنه السبب لكي تزداد أعداد المتظاهرين مطالبين بإعدامه معي، وبالنسبة لك وقتها القرار بين يديك بخصوص العمل مع المنظمة أو الذهاب في حال سبيلك، أما إذا لم توافق الآن سوف تكمل حياتك أو على الأغلب سوف تخضع لتحقيق طويل بسبب هذا الاستجواب الفارغ، وسوف تنفذ الخطة بك أو بدونك. أما إذا وافقت فأذهب الآن، لأن ذلك الشرطي الذي كان معنا قبل قليل مخبر لأحدهم، لذا اتخذ قرارك بسرعة."

وقف إسحاق وقال: "ولماذا كل هذا؟"

علي: "لقد أخبرتك أنني سوف أفي بوعدتي لك... الوقت يمر يا إسحاق اتخذ قرارك بسرعة."

-قبل 11 شهرا-

يجلس إسحاق في قاعة المحكمة الممتلئة بالناس لحضور محاكمة الفنان. ضرب القاضي العجوز بمطرقتة وقال: "حكمت المحكمة بالإجماع على اعتبار المتهم سفيان ديزالي بريئاً من كل التهم الموجهة إليه!"

بدأت الهتافات المؤيدة لقرار القاضي تصدح في القاعة بينما جن جنون إسحاق بينهم وهو يسمع ضحكات وصراخ معجبيه تصدر من حوله جاعلين إياه يثور من الغضب لذا فيحاول أن يذهب لقاتل عائلته الذي كان فرحاً لسماعه حكم براءته، ولكن قبل أن يصل إسحاق إليه، أمسكه حارس الأمن واسقطه وحوطته الشرطة و وضعوه في زنزانه لوحده.

بدأ إسحاق بالضرب على باب الزنزانه بقوة وهو ينادي عليهم: "أخرجوني!! دعوني اقتل ذلك السافل ومع ذلك القاضي الفاسد... أخبروني كم دفع لكم ها؟! تبيعون مبادئهم والقسم الذي أقسمتم مقابل مبلغ زهيد. عار عليكم أيها الكلاب عديمي الكرامة تبا لكم تبا لكم!!" وفي آخر القاعة كان يقف علي يستمع للمحاكمة، لكنه عندما سمع قرار القاضي خرج من القاعة غاضباً.

-بعد المحاكمة بثلاثة أسابيع-

يجلس إسحاق في مقهى مع الرئيس عبد العزيز، حالته يرثى لها، يبطأ رأسه بينما ينظر إليه الرئيس عبد العزيز بشفقة وقال له: "إسمع اعتبر هذه الفترة إجازة لكي تستجمع ثنات نفسك، ولكي تتحسن نفسيتك، حسناً يا بني؟"

ضرب إسحاق على الطاولة بقوة حتى نظر الجميع إليهم وقال بنبرة خشنة وهو ينظر لقبضة يده: "نفسيتي لن تتحسن حتى أرى ذلك الحقير خلف القضبان أو بحبل المشنقة."

الرئيس: "لقد تكلمنا بخصوص هذا لم نجد أي دلائل تثبت قتله لعائلتك عمداً، لقد اكتشفنا ان سيارته بها عطل بالمكابح لذا لم يستطع التوقف..."

ضرب إسحاق مجدداً على الطاولة ونظر لأعين رئيسه وقال له بصوت عالي: "لقد كان منتشياً وأنت تخبرني أن مكابحه معطلة بالطبع ستكون معطلة إذا كان عقله كذلك."

الرئيس: "تكلم بهدوء الناس ينظرون لنا... لم يكتب بتحليل وجود أي عناصر مخدرة أو مكونات كيميائية بدمه."

وقف إسحاق واخذ سترته ونظر للرئيس وقال له وهو خائب أمله: "أنت كذلك يارئيس... عار عليك." ثم غادر المقهى تاركاً إياه لوحده.

-الحاضر-

فتح الوزير الباب بقوة ومع فريق مسلح خلفه بصوبون مسدساتهم على الغرفة، لكنهم لم يجدوا سوى علي يجلس لوحده، يتأمل السقف الأبيض والمصباح المنير المتأرجح منه، وإذا به ينزل وجهه لهم ويقول للوزير مبتسماً: "لقد تأخرت أيها الوزير، ولكن لا تخف ماهذه إلا البداية لعصر مشرق للبشرية."

أعاد علي أنظاره للسقف مبتسما، بينما تقدمت الفرقة لأخذه، ولكن شخص غريب ظهر فجأة خلف الوزير وفرقته حاملا بين يديه صندوق هدية.

في الخارج ومن داخل الحشد الغاضب، حيث يبحث الرئيس عبد العزيز لوحده بعد ان افترق مع بقية رجال والمحققين المتخفيين، لكنهم لم يجدوا المفجر أو أي شخص مشبوه بعد، لأنهم كما لو كانوا يبحثون عن إبرة في كومة قش، فأعداد الناس تتزايد شيئا فشيئا، مما يجعل الأمر مستحيلا نظر لقلة عددهم، لذا وقف الرئيس وسط الحشد فاقتدا الأمل وبدأ ينظر حوله لأخر مرة.

ثم وجه أنظاره لموقف السيارات على الجانب الأيمن من المركز وإذا به يرى سيارة الوزير وقربها سيارة رباعية دفع تصف بجانبها، ثم نظر لبوابة المركز ولاحظ انها فارغة بشكل مريب، ثم تذكر كلاما مهما قاله علي أثناء إستجوابه من إسحاق::

علي: "ذنبهم الوحيد أنهم يدرسون بتلك المدرسة، فنحن لا نقتل الأبرياء."

"لا نقتل الأبرياء" هذه العبارة كانت كفيلة بجعل الرئيس يستوعب أمر مهما، أن القنبلة قد تكون موجودة بالداخل وليس بالخارج كما يدعي علي، ويبدو أن الوزير هو الهدف الرئيسي لعلي وليس حشدا مكونا من اشخاص أبرياء، لكن يبدو أن الأوان قد فات، فلقد فتح ذلك الشخص الذي ظهر خلف الوزير وفرقته تلك الهدية، لتظهر بداخلها قنبلة يدوية موقوتة ستنفجر، نظر إلى علي الذي تحيط به الفرقة وتقوم بفك قفل الأصفاد عن ارجله لأخذه معهم، وبادله علي نظارات مبتسما، وقال وهو ينظر للوزير: "سيدي الوزير لقد حكم عليك بالموت، ليعم السلام فالأرض." المؤقت وصل لأخر خمس ثواني... خمسة... أربعة... ثلاثة... اثنان... واحد...

ومن وسط الحشد يحاول الرئيس التوغل بينهم بسرعة، لكنه تأخر، تأخر جدا. لأن الأوان قد فات، وتفجرت أمام ناظره المنطقة من مركز الشرطة، أين توجد غرفة الاستجواب، وبسرعة بدأ الحشد بتدافع محاولين الهروب من المكان بسرعة، بينما ظل الرئيس ينظر لدخان الانفجار الأسود بدهشة، ولم يحرك ساكنا من هول ما شاهده.

3: القوانين السامية.

::ستعود بنا الأحداث إلى الماضي قبل 11 شهرا ويضبط بعد لقاء علي بذلك الرجل الغامض بأسبوع

-قبل 11 شهرا-

يقود علي سيارته في ليلة يكتنفها الضباب الكثيف، ويحمل بيده الثانية الورقة التي أعطاه إياه الرجل الغامض والمكتوب فيها عنوان يحاول علي الذهاب إليه حاليا. وأثناء سلوكه هذه الطريق الضبابية، ظهرت من بين الضباب شاحنة بيضاء وصدمة على الجرف إلى جانب الطريق بقوة، وفقد علي وعيه بعد أن ضرب رأسه مع مقود السيارة بقوة

- (بعد شهر) قبل 10 أشهر من الحاضر-

يجثو علي على ركبتيه، وعلى رأسه كيس من الثوب الأسود في مكان مظلم، ويقف إلى جانبه الكثير من الأشخاص مشكلين بذلك حلقة حول حلقة أخرى من الأشخاص حول حلقة أخرى حول شخص لا تُرى ملامح وجهه، يحمل بيديه ورقة

وبدأ بمخاطبة الحاضرين بما ورد فيها: "مرحبا بكم يا أعضاء قوات حفظ السلام، لقد حان الوقت أخيرا لكي يستمع العالم إلى مطالبنا. لقد أرغمونا على هذا ولم يتركوا لنا خيارا آخر سوى اعتماد العنف كسبيل وحيد لتنفيذ مطالبنا. في حملة التطهير التي سوف نبدأها بعد 10 أشهر من الآن سوف نزهق أرواحا، العديد من الأرواح، ولكن في المقابل أعدكم بصفتي قائدكم أننا سوف ننقذ العديد من الناس في". المستقبل. لذا ضعوا ثقتكم الكاملة بي يا إختوتي، ضعوا ثقتكم، لكي يعم السلام في الأرض

أعاد ذلك الشخص الرسالة لجيب سترته، وشفق بيده، وخرج من بين الظلام الدامس المحيط بالمكان، عدة أشخاص لا تظهر ملامح وجههم من عتمة المكان، وبدأوا بأخذ الجميع من كان حاضرا هناك، بمن فيهم علي

أخذ علي برفقة أحد الرجال وهو لا يرى شيئاً، يسمع فقط خطوات أقدامه وأقدام من معه، ثم أدخله إلى غرفة ما، وأجلسه على كرسي ورحل. أراد علي إزالة الكيس من على رأسه لكن شخصاً ما من داخل الغرفة منعه وقال له: "لا، ابق هكذا، نحن لم نقم بكل هذه الإجراءات لكي تزيله بهذه البساطة".

"أزال علي يديه من الكيس، وقال متسائلاً: "أين أنا؟ وكيف وصلت إلى هنا؟"

"سمع علي ذلك الشخص يجلس أمامه وقال له: "الميت لا يتحدث"

"أزال علي الكيس من رأسه ورأى أمامه طاولة بها مسدس ورجل شعره بني قصير، وقال له علي مستغرباً: "ما الذي تقصده بكلامك؟"

"جلس ذلك الرجل وقال: "أنت ميت يا علي"

أغلق أحد الحراس من الخارج باب الغرفة عليهم. بعد مرور خمس ساعات داخل تلك الغرفة، خرج علي، وأخذ حقيبة سوداء كانت قرب باب الغرفة ورحل من المكان بوجه شاحب كئيب، يمر على صف طويل، ويسمع صوت إطلاق نار من تلك الغرف وصرخات منها. وصولاً لباب الخروج من ذلك المكان.

عندما أراد أن يخطو خطوة للخارج وضع أحدهم كيساً أسود على رأسه وضربه بمقبض مسدسه وأفقه الوعي. عندما استيقظ مجدداً وجد نفسه في قبو منير، وأمامه الحقيبة السوداء وفوقها رسالة. نهض علي وتوجه نحو الحقيبة وهو ينظر من حوله، وأمسك الرسالة وبدأ يقرأها:

هذه الحقيبة التي أخبرتك عنها، بها الأدوات اللازمة لصنع القنبلة اليدوية لتنفيذ مهمتك. أنت الآن في قبو منزلك الجديد، إنه قريب من "المقبرة حيث أنت مدفون، تستطيع زيارتها متى ما شئت"

فتح علي الحقيبة ليجد فعلاً بعض الأدوات والقطع والمواد التي يحتاجها لصنع القنبلة كما ورد بالرسالة، وأيضاً فوقهم ورقة بها رقم وأسفلها مكتوب:

"إذا أكملت القنبلة، اتصل بهذا الرقم"

أغلق علي الحقيبة وغادر القبو لإستكشاف المنزل.

- (بعد شهر) قبل 9 أشهر من الحاضر -

يجلس علي لوحده في الحديقة التي اعتاد الجلوس بها أثناء ما كان يرفع لافتته المساندة لإسحاق، ينظر بوجه شاحب للبط في البركة حيث يسبحون في سلام، ويخاطبهم: "أتمنى لو كنت بطة مثلكم أسبح في بركة ماء، وأشاهد البشر المسجونين في هذا العالم بينما يفصلني". ويحمني سلك شائك منهم

تنهد علي واتكأ على ظهر الكرسي الخشبي ونظر للأعلى، للشجرة الخضراء فوقه، وقال لها أيضاً: "هل أتمنى أن أصبح مثلك؟... لا، فأنت تفتعين بشكل يومي من البشر"

"جلس قربه رجل عجوز وقال له مبتسماً: "والبط أيضاً يُؤكل... يا فتى العدالة"

تفاجأ علي عندما سمع صوت العجوز، أنزل وجهه ونظر لذلك الشخص ليرى نفس العجوز الذي لطالما جلس معه وبادلته الحوار وشجعه. عندما كان يحتج لوحده. نزلت دمعة من عين علي وقال مبتسماً: "لقد عدت؟" نظر العجوز لبركة البط وقال: "نعم، لقد كنت في المستشفى"

التفت العجوز بوجهه لعلي مبتسماً وهو يكح وأضاف على كلامه: "لقد هربت من المستشفى، لا زلت أرتدي ملابس المرضى لكنني وجدت جلباباً أبيض ارتديته وخرجت، تبين أن الحراسة عندهم ضعيفة". سأل علي وهو يمسح دموعه: "لماذا خرجت؟ صحتك أهم يا عمي يوسف". رد عليه العجوز يوسف: "لقد هربت خصيصاً لكي أعود لهذا المكان، هذا المكان الوحيد الذي أحس بالراحة فيه وأنا أشاهد"

"البط يسبحون في بركتهم في سلام، وأيضاً لأنني أردت معرفة إذا استمرت فيما كنت تفعل

"شعر علي بالتوتر لكنه رد وقال:"أنا لم... أقصد لازلت أناضل من أجل العدالة

ابتسم العجوز وكح مجددا بقوة ومسح فمه بمنديل أخرجه من جيبه وأعاده بسرعة وقال مبتسماً رغم حالته الصحية السيئة: "لقد أسعدتني يا بني، أنا أسعد عندما أرى الناس تناضل، تناضل من أجل العدالة التي سلبت منا، فبكل صراحة لم أتوقع قط أننا سوف نصبح هكذا مهزومين. نسبة الجريمة مرتفعة والخداع والغش في كل مكان. لكن هل تعرف ما الذي يحزنني أكثر من هذا الواقع؟ هو صمت الناس، وتخليهم عن مبادئهم. لذا فرؤية شخص مثلك لا زال متشبهاً بقيم العدالة النقية ويأضل من أجلها بغض النظر عن الطريقة، تسعدني حقاً يا بني."

"نظر إليه علي وقال له: "إذا هل أكمل؟"

"نظر إليه العجوز وأجابه: "نعم، فأنت فتى العدالة

بعد هذا الحوار، مات العجوز مباشرة إثر تعرضه لسكتة قلبية

- (بعد يومين) قبل تسع اشهر من الحاضر-

يقف علي أمام قبره مرتدياً نظارة شمسية ومعطفاً بغطاء رأس، ينظر لقبره بعيون شاحبة ينظر للورود المتناثرة على تربة القبر، اقترب لعلي فتى وهو يجر قنينة ماء كبيرة وقال وهو ينظر للقبر: "كنت أظن أن ذلك الشخص هو فقط من يزور هذا القبر الوحيد، إنه أمر جيد كي لا يشعر بالوحدة، رغم مجيئه كل اسبوع والمكوث هنا لكثير من الوقت بعد زيارة قبر عائلته..." التفت علي للفتى الصغير وازال "نظاراته، وانخفض عند الفتى وامسكه من يده وقال له متفاجئاً: "متى آخر مرة جاء فيها إلى هنا ؟"
"رد عليه الفتى: "قبل أسبوع، لذا من الممكن أنه سوف يأتي اليوم

وقف علي واخرج ورقة مالية من جيبه واعطاها للفتى، ليفتح الاخير القنينة محاولاً سقي القبر، لكن علي منعه وقال له: "لا داعي لذلك." اغلق الفتى القنينة وغادر، وهو في طريقه رأى إسحاق قادماً من مدخل المقبرة، ابتسم الفتى والتفت ورائه لكي يخبر علي، لكنه إختفى مع الريح.

- (بعد مرور ثمانية أشهر) قبل شهر من الحاضر-

يجلس علي على ركبتيه، يتصبب عرقاً في قبو منزله الكئيب، ومحاولاً وضع الأسلاك في أماكنها بالقنبلة التي صنعها أخيراً بعد 9 أشهر من الفشل والإصابات المتتالية حيث أصبحت يده محروقتين بالكامل بينما وجهه أصبح مليناً بالحروق الخطيرة لدرجة أن ملامح وجهه المعتادة اختفت وأصبح من الصعب التعرف عليه، لكن كل تلك الإصابات والندبات الدائمة لم تكن حاجزاً أمامه لصنع القنبلة وتنفيذ هجومه المطهر.

وضع علي آخر سلك ببطء وخوف، ولحمه بأداة التلحيم وابتعد عن القنبلة قليلاً خائف أن تنفجر مجدداً مثل سابقتها، لكن هذه المرة عكس باقي المرات، هذه المرة نجحت واشتغل المؤقت، فرح علي فرحاً جما لدرجة أنه سقط أرضاً، ووضع يديه على وجهه وبدأ بالبكاء بشدة، وأخيراً هذه القنبلة التي سلبته وجهه وحياته إشتعلت وبات في استطاعته وأخيراً أن يكلم المنظمة وأن يخبرهم أنه قد نجح

في اليوم التالي يقف علي أمام هاتف عمومي ويدخل الرقم المكتوب على يده، وضع سماعة الهاتف على أذنه وظل ينتظر الرد، لكن لم يرد أحد وهذا ماجعل علي يتوتر، وما زاد الأمر سوءاً وزاد من حدة توتره، هو الصف من خلفه، ينتظرون دورهم لإستخدام الهاتف، ظل علي ينظر لهم وفي إذنه سماعة الهاتف، ينظر إليهم يتهايمسون فيما بينهم وينظرون إليه بنظرات حادة، إلى أن رد عليه أحدهم أخيراً، لذا "استدار علي بسرعة مجدداً للهاتف وهو يرجف وقال متوتراً: "مر.. مرحباً

"رد عليه المتصل: "إنه الرقم الخطأ"

اجابه علي بسرعة قبل أن يغلق الطرف الآخر الخط: "لا إنتظر!! إنه أنا من فرقة حفظ السلام المكلفين بتجهيز...ل..لقد جهزتها، وهيا "الآن في القبو

لم يجبه الطرف الآخر وسكت لوهلة ثم قال له: "غذا بعد حفلة الذكرى السنوية لتتصيب الملك، أخضر معك القنبلة وسوف نلتقي في حديقة

"بعيدة عن القصر الملكي

أنهى الطرف الآخر المكالمة، تاركا علي خانفا ويرتجف وسماعة الهاتف بيديه، ظل على هذا الحال إلى أن لمس شخص من خلفه، وقال له: "هل انتهيت يا سيدي؟"

وضع علي السماعه في مكانها ودفع ذلك الشخص الذي ارتعب من شكل علي، وهرع مسرعا لمنزله. عندما وصل، ذهب بسرعة للقبو، وشغل الإضاءة ووقف أمام القنبلة وهو يحمل مقصا وظل على ذلك الحال في صمت تام لمدة ساعة أو أكثر ينظر للقنبلة ببرود وقد استوعب حينها ماصنعه حقا ولا غاية أولئك الأشخاص بها، لذا وفي لحظة أستيعاب صرخ علي صرخة عالية، وقال بصوت عالي: "أنا لن أقتل الأبرياء، مستحيل!" وضع علي المقص على الخيط الذي لحمه البارحة، اراد قطعه لكي يتخلص من الذنب وضيق الصدر الذي يسيطر عليه

لكنه تذكر كلام العجوز من الحديقة مما جعله يرمي المقص على الجدار أمامه وصرخ قائلا: "لماذا؟؟ لماذا حملت على عاتقي عبأ مثل هذا العبئ الثقيل ياإلهي؟؟ لماذا ظهرت أيها العجوز ذلك اليوم، هل جئت فقط لكي تدمر حياتي وترتاح أم ماذا؟"

"نظر علي فوqe وقال بصوت عالي: "اجبني! لماذا أتيت ذلك اليوم ها!!؟"

سكت علي، واخذ نفسا عميقا وغطى القنبلة بثوب أبيض وصعد للأعلى، كأن شيئا لم يحدث

في اليوم التالي وفي ذكرى تنصيب الملك، يرتدي علي نظارات سوداء وسترة بنية طويلة كعادته، ويحمل على ظهره حقيبة بها القنبلة، وينظر أمامه من مسافة بعيدة، حشد أمام باب القصر يحملون راية البلاد ويحتفلون بهذه الذكرى معا. رمى أحدهم حصى على رأس علي من الخلف، وعندما إلتفت ليرى من الفاعل، رأى نفس الشخص الذي كان قد إلتقى به في الحديقة ذلك اليوم، نفس الشخص الذي ضمه لهذه المنظمة، الشخص الذي لا يظهر ملامح وجهه لعلي، إقترب علي نحوه وجلس قربه ووضع الحقيبة كحد فاصل بينهما، ثم قال ذلك الشخص وهو مطأطأ رأسه كعادته: "إذا طلبت منك أن تذهب وتفجر ذلك الحشد، هل ستفعل؟"

"نظر إليه علي ثم نظر للحشد وقال: "لا

رد عليه الشخص الغريب: "ولماذا؟"

"أجابه علي: "لأنهم ابرياء

"رد عليه ذلك الشخص: "ومن قال لك ذلك؟ هل فحصت سجلاتهم؟"

"علي: "قتل الأبرياء دون سبب ليس من شيمي

"سأله ذلك الشخص: "وماهيا شيمك؟"

"رد علي: "أن أحاسب المجرمين وأنشئ عدالة منصفة

رد ذلك الشخص: "بهذا الهدف أنت تعرف أنك سوف تلطخ يديك؟ أنت تعلم أنك وصلت لنقطة لا رجعت فيها؟ أعني أنك ستقوم بتفجير تلك المدرسة."

سكت علي ولم يجبه هذه المرة، ثم وقف ذلك الشخص وازال الغطاء والقبعة والنظارة الشمسية من على رأسه ووجهه، واطهر لعلي وجهه، لقد كان وجهه مشوه مثل علي واقطع منه حتى، حيث ان عينه اليمنى مصابة ولديه ندبة من فوق جبهته لفته. نظر ذلك الشخص لعلي وقال له: "جميعنا تلطخنا، وجميعنا دفعنا ثمنا باهظا لأهدافنا، تخلينا عن حياتنا، عن أنفسنا في سبيل ذلك، فلا تجعل الأبرياء عاتقا لك". في تحقيق هدفك

أعاد ذلك الشخص إرتداء ما أزاله وقال: "سوف تصلك رسالة في الأيام القادمة، لذا تأهب جيدا، وكن مستعدا لما هو قادم...وفكر في ما أخبرتك به

-قبل خمس ساعات من الحاضر-

يقف علي في شقة، تطل نافذتها مباشرة على المدرسة الابتدائية، ينظر إليها بنظرات باردة يراقب الأجواء ويبيده جهاز تحكم عن بعد بالقبيلة التي كان قد زرعها في مكتب المدير ليلة البارحة. توقفت سيارة أمام المدرسة ونزل منها سامي وركض إلى أصحابه فرحا، نظر "علي لسامي وهو يدخل مع اصدقائه، وقال وهو يدرف دمعة من عينه:"أنا أسف

"المقطع الثاني:"الهجوم المطهر

-الحاضر، بعد عشر ساعات-

USN ،في القناة الإخبارية الأمريكية

وأثناء عرض نشرة الاخبار المسائية، تعرضت القناة لإختراق مفاجئ وغريب، ظهر فيه شخص يضع قناعا أسود على وجهه ويغطي رأسه بغطاء كنزته السوداء، وخلفه ستارة بيضاء عليها رسمه ليمامة صغيرة وبالأسفل منها عبارة مكتوبة باللغة الانجليزية **"In our own way"** قاطع ذلك الرجل المقنع النشرة الإخبارية وهو يحمل بيديه ورقة وينظر للشاشة أمامه في صمت) مريب ومرعب، ظل هكذا لمدة عشرة ثواني، ثم نظر للورقة وبدأ يخطب باللغة الانجليزية:"لا حاجة للخوف أو الريبة، نريد ان نعلمكم فقط بخبر هام، هو أن هذا العصر الذي نعيشه الآن قد إنتهى وفي لحظات من الآن سوف يولد عصر جديد، عصر طاهر، سوف تتغير فيه كل موازين القوى، عصر سوف تباد فيه كل أشكال النجاسة، وسوف يحاسب كل شخص على جرائمه، لذلك فل تترقبوا بشوق لما هو "قادم أيها السادة. ليعم السلام في الأرض

المكتوبة بخط أحمر عريض ظاهرة على **"In our own way"** نهض الرجل المقنع من مكانه ورحل وظلت الخلفية ظاهرة وعبارة الشاشة، ثم إستعادة القناة اتصالها، وبعد ذلك مباشرة، تم إعلام الصحفي بخبر صادم، خبر جعل قنوات الأخبار حول العالم مشتتلة، فبعد حادث إنفجار المدرسة، ومركز الشرطة بنفس المدينة، حدث انفجار ضخم آخر في حفلة الفنان سفيان ديزالي، الذي مات إثرها الفنان نفسه وعشرات من الحاضرين بالصفوف الأولى للحفل وإصابات بليغة تلقاها مئات الأشخاص بالحفل، والشرطة فتحت تحقيقا عاجلا بخصوص الحادث خيفة أن يكون له علاقة بحادث انفجار إبتدائية نور ومركز الشرطة بالمغرب

خبر عاجل اخر!!!:"تم إكتشاف أن القبيلة كانت مزروعة بعناية تحت المنصة التي كان يغني فوقها الفنان، ويحتمل أن هذا الحادث له علاقة بسلسلة الانفجارات الذي بدأها وتوعد بها الإرهابي والشرطي السابق علي تيباز على ذلك الشريط المسرب من داخل قسم الشرطة حيث كان يستجوب من طرف محقق سابق قدم إستقالته في نفس اليوم ولم يظهر مجددا بعدها، وإسمه إسحاق ماسين، لذا فالشرطة تعتبره "الآن، المشتبه به الرئيسي في الانفجار وتم وضع إسمه على رأس لائحة المطلوبين للعادلة من الدرجة الأولى

-بعد شهر-

خبر عاجل:"يقف شخص أمام مركز الشرطة يقال أنه هو من زرع وفجر تلك القبيلة بالحفل، لكن حكومة البلاد لم تخرج بخبر رسمي بعد

-إسبانيا، برشلونة-

في مقهى مطل على البحر يجلس رجل عجوز يرتدي سترة شتوية زرقاء وقبعة شتوية سوداء وتبدو عليه ملامح الخوف والتوتر، يرتجف "لوحده رغم حرارة الجو المعتدلة، وضع النادل كوب قهوة سوداء وكأس ماء أمامه وسأل العجوز:"هل تريد شيئا آخر يا عمي؟

"إلتفت إليه العجوز برأسه ببطء وقال له بنبرة متقطعة:"ها...هل...يوجد مركز شرطة قريب؟

إستغرب النادل من سؤال الرجل الغريب ورد عليه:"لنرى، نعم يوجد مركز قرب محطة القطار فقط إلتفت على يمينك وسر مباشرة سوف "...تجد المحطة وقربها مركز الشرطة

وقف العجوز وركض مسرعا للباب وقبل أن يفتحه دفعه رجل يغطي رأسه بغطاء كنزة سوداء وأسقطه أرضا وخرج مسرعا، إقترب

"النادل من الرجل العجوز الساقط أرضا وقال له:"هل انت بخير كان عليك إخباري أنك لا تملك المال لا بأس لم يكن عليك الهرب

"نظر إليه العجوز وهو يبكي وقال له بنبرة حزينة:"أنا أسف

"...مد النادل يده للعجوز وقال له:"لا بأ

وقبل أن ينهي النادل جملته انفجرت حقيبة تركها ذلك الشخص صاحب الكنزة السوداء، وإنفجر المقهى بأكمله

-فرنسا-

شاب في العشرينات من عمره أبيض البشرة نحيف البنية شعره اشقر مجعد، يمشي في شوارع باريس الضيقة و يحمل في يده كيسا به خبز وبعض المعجنات للإفطار. فتح باب منزله في شقة بعمارة سكنية ممراتها ضيقة، وسمع صوت أمه من المطبخ ترحب به ثم قالت له:"برنارد هل أحضرتها بطعم الليمون!؟" أزال برنارد سترته وقال وهو يقف في منتصف المنزل قرب طاولة الطعام:"نعم يأمي كما طلبتي وطازجة أيضا." ردت عليه والدته:"انت الافضل يا بني...صحيح كدت أن أنسى تعال للمطبخ أنت حواسك لازالت تعمل، أشم رائحة غاز ولكنني لم أستطع إيجاد مصدرها." وضع برنارد الأكياس على الطاولة وذهب إليها

من خارج العمارة وفي مقهى مقابل لها مباشرة يجلس رجلان عجوزان يشربان كوب قهوة مع بعض المعجنات و يتحدثان فيما بينهما

"العجوز الأول:"هل سمعت عن ما الذي يحدث في المغرب؟

العجوز الثاني:"المغرب؟ تقصد موطن الجزائر المسلم قرب منزلي، لا لم أعد أتابع الأخبار إلا إذا حدث شيء بين أمريكا والاتحاد السوفيتي"

العجوز الأول بعد أخذ رشفة من القهوة:"لقد انفجرت مدرسة ابتدائية ومركز شرطة وفي ليلة نفس اليوم انفجرت قنبلة في حفل أحد المغنيين المشاهير، يقال أن الفاعل الحقيقي هو محقق كان يستجوب ذلك الإرهابي لأنه إختفى في ذلك اليوم

"العجوز الثاني متنمرا:"كنت أنتظر منك خبر سار ينسيني في مرارة ما أخبرتك به قبل قليل

"العجوز الأول مستغربا:"هل أخبرتني بأمر ما؟ أنا أنسى بسرعة

العجوز الثاني:"عن برنارد الشاب الذي يعيش في هذه العمارة السكنية أمانا...سمعت أن والدته قتلت والده قبل أشهر، لكنهم لم يجدوا دليل يثبت جريمتها

"العجوز الأول:"لقد رأيت الشاب يدخل ومعه أكياس لا يبدو عليه أنه حزين او ماشابه

"العجوز الثاني وهو ينظر للعمارة:"قد يكون شريكها في الجريمة

نظر العجوز الأول هو الآخر للعمارة وقال:"على أي، لديهم نقوش جميلة على حواف نوافذهم كم هو جميل الحفاظ على النقوش التقليدية الخاصة بنا

وبعد ان أنهى العجوز مدحه لمدى جمال نقوش العمارة بالعامة. انفجرت شقة برنارد ووالدته إنفجار ضخما، ومن قوته سقط ركام المنزل الضخم نحو المقهى المقابل للعمارة والذي دمره وقتل كل من كان فيه بمن فيهم العجوزان

-بعد ثلاث اشهر، الولايات المتحدة الأمريكية، واشنطن، البيت الأبيض-

يقف رئيس الولايات المتحدة الامريكه فوق المنصة في الساحة الأمامية للبيت الأبيض خلف المنبر حانيا رأسه أمام حشد كبير من الناس وهم ينتظرون خطاب الرئيس في صمت، رفع الرئيس وجهه لهم وجه مكيبر الصوت وقال:"أعزائي المواطنين، أود أن أرحب بكم اليوم وأشكركم على حضوركم الكريم. في ظل هذه الظروف الراهنة العصبية التي نمر بها، وفي هذه الكوارث التي تصيبنا، نحن نتطلع إلى بناء مستقبل أفضل لجميع الأمريكيين...اليوم سأحدث بموضوع يشغل بالنا جميعا، الانفجارات التي تشن بجميع أنحاء العالم وليس فقط

عندنا والتي تهدد أمن البلاد وأمن شعب أمريكا والعالم أجمع. لقد إستمعنا لمطالب أولئك الإرهابيين قبل فترة، ولكن وبعد بحث مطول وجدنا أن الحل الأفضل لنا وللعالم أجمع هو محاربتهم ورفض مطالبهم... " بدأ الحشد بهتاف بغضب وبصوت واحد بكلمة "خائف، خائف، خائف". حاول الرئيس تهدئتهم وقال: "أنا أعرف أنكم خائفين، لكننا نشتغل بكل جهدنا لإيجاد حل يرضي الطرفين، لكن حاليا لا يمكننا قبول مطالبهم".

أنهى الرئيس كلامه وظل ينظر للحشد الغاضب أمامه بنظرات شاحبة غير مكثرة ومستحقة. ولكن سرعان ما تغيرت تلك النظرات نظرات دهشة ورعب عندما اندلع انفجار ضخم بين الحشد وتطايرت على الرئيس أشلاء من الناس على ملبسه وعلى المنصة التي يقف عليها، لم يستطع الرئيس أن يتحرك حينها إثر الصدمة التي تلقاها والخوف الذي إبتابه وقتها، وشعر كأن الوقت قد توقف حوله وهو ينظر لشعبه وهم يحاولون الهروب نحو البوابة في حالة هلع وخوف شديدين. أمسكه حارس أمن من ذراعه بقوة وهرب به لير الأمان تاركا شعبه يواجه عواقب قراراته التي تخدم مصالحه

يجلس الرئيس على كرسي داخل البيت الأبيض المليء برجال الأمن يفتشون المكان شبرا بشبر خوفا من وجود قنبلة مزروعة بالداخل، بينما كان الرئيس يمسك قارورة مياه بلاستيكية ولكنه أسقطها من الرعشة التي أصابته إثر ذلك الحادث المفجع الذي رآه أمامه، رفع يديه التي كانتا ترتجفان من الخوف ونظر لهما بوجهه الشاحب ونظراته المرتعبة محسبا بحالة من الضعف الشديد لم يحس بها قط في حياته

-بعد شهر، المملكة العربية السعودية، الرياض-

بعد حادث الانفجار المروع الذي وقع بخطاب الرئيس الأمريكي الديمقراطي جورج بيطرسون قبل شهر، اجتمع قادة دول العالم أجمع ماعدا رئيس دولة جنوب أفريقيا الرافض لهذا القرار، بالرياض بالمملكة العربية السعودية لمناقشة الموضوع، خصوصا بعد إنتشار لائحة غير رسمية، لمئة ألف شخص حول العالم سواء داخل السجن أو خارجه كانت جرائمهم تعد جرائم تعاقب بالإعدام ولكن تم العفو عليهم او تخفيض العقوبة للسجن المؤبد، وعلى رأسهم رئيس دولة أنتروسل، الرئيس سيرغي كوزيتسوف المدان بجرائم حرب وإبادة لربع شعب الأنتريستاني أثناء الحرب التي سميت بالحرب الظالمة التي كانت بين الدولتين الجارتين، أنتروسل وأنتريستان منذ سنة 1979 إلى 1983، حيث تم وأخيرا، تحديد موعد رسمي لمحاكمة رئيس سيرغي كوزيتسوف التي كانت تؤول طوال مدة نهاية تلك الحرب المنسية ليومنا هذا، وتم تحديد تاريخ المحاكمة ل 10/7/1987

إثر ذلك الإجتماع أيضا، خرجت معاهدة تنص على إلغاء ميثاق باريس عام 1950 لذا ورسميا وبعد ستة وثلاثين سنة من ميثاق باريس الذي منع حكم الإعدام بكل دول العالم بسبب حادث رئيس فرنسا السابق لويس مورجان، تم إعادة وتقنين حكم الإعدام وإجباره على كل الدول حول العالم، وتم إنشاء حكومة مستقلة، تدعى حكومة حفظ السلام بقيادة الجنرال البريطاني ريتشارد شتوفر، كقائد عسكري وإبنه البكر، توماس شتوفر، كقائد سياسي. هدفهم الأول والأخير إعدام أي شخص تم ذكره باللائحة الرسمية التي تم طبعها ونشرها في كل مكان ومنع اللائحة المزيفة، ومن شروط اعدامه، ان يكون أولا، مرتكب للجريمة وتم التأكد من ذلك، ثانيا، أن تكون جريمته تستحق إعدامه.

هكذا وبعد كل تلك الانفجارات حول العالم، وبعد موجات من الشغب المدني والتخريب في كل أنحاء العالم. خضع حكام دول العالم أجمع لمطالب مجهولي الهوية، الذين هم بدورهم وفورا بوعدهم واختفوا بعد صدور الميثاق مباشرة كأنهم لم يكونوا قط. لكنهم تركوا خلفهم رسالة توعدوا فيها بالعودة مرة أخرى وبشكل أعنف في حال إلغاء أي شرط من تلك الشروط بالميثاق الذي أصبح يعرف بعد ذلك . "ب" الميثاق السامي

"المقطع الأخير: "حرب المكانة"

كان هناك تحدي أخير يواجهه العالم وبالخصوص حكومة حفظ السلام بعد صدور الميثاق السامي واللائحة الرسمية

بينما كان توماس شتوفر وأعضاء حكومة حفظ السلام يدرسون اللائحة الرسمية والميثاق السامي لإيجاد حل لكيفية التعامل مع المذنبين، اشتعل قنبل الفوضى في العالم مجددا، حيث تشكلت العديد من الجماعات المسلحة في فترة قصيرة، كانت أهدافها مختلفة، فهناك من كان يقتحم ويفجر السجون وهناك من كان يفعل العكس وينفذ المذنبين قبل قتلهم، كما إنتشر العديد من القتلة مستقلين، مثيرين بذلك الفوضى في مختلف أنحاء العالم ومخلفين ورائهم أعدادا هائلة من جثث وانفجارات ضخمة في كل بقاع العالم

وبتاريخ 6/12/1987 القائد العسكري لحكومة حفظ السلام ريتشارد شتوفر، يخرج عن صمته، داخل مقر الأمم المتحدة، ويعلن عن تأسيس جيش مؤقت بإسم، "جيش حفظ السلام العالمي" وهو جيش تحالف ضخم من عدة دول من مختلف العالم، تطوعوا بأنفسهم لهذا

الجيش المؤقت، وأعلن في نفس المكان، الحرب على تلك الجماعات، وترك يده اليمنى مارتن دولوس، يقود قوات حفظ السلام الرئيسية لإستهداف المذبذبين.

لتبدأ بذلك حملة قصف وتدمير عنيفة لمعازل الجماعات وكذا إستهداف القتلة المنفردين، مخلفة مئات القتلى، وخسائر ضخمة من كلى الصفين، وبعد أربعة أشهر من تلك الحرب، أعتيل وبشكل صادم الجنرال والقائد العسكري لجيش التحالف ريتشارد شتوفر بغارة انتحارية في منزله مع عائلته، ليقوم إبنة والرئيس السياسي لحكومة حفظ السلم توماس شتوفر، بتتحي عن المنصب الرئاسي وانتقل لقيادة جيش السلام المؤقت وأقسم أنه سوف ينتقم لوالده وسوف ينهي هذه الحرب مع قبل بداية سنة 1989

وبدأ مباشرة بشن هجمات عنيفة واغتيالات بالأماكن العامة، استهدفت أغلب قادة تلك الجماعات المسلحة الإرهابية. وبعد ستة أشهر، ومثل والده، وفي ليلة رأس السنة الجديدة، في مقر الأمم المتحدة، أعلن وبشكل نهائي القضاء كليا على كل تلك الحركات الإرهابية وترسيم الجيش المؤقت كجيش رسمي لقوات حفظ السلام للتدخل في أي نزاع دولي، وأعلن أيضا عن تشييد جنازة عسكرية مهيبه لوالده ولكل قتلى تلك الحرب، وأعلن كذلك أنه سوف يزيح مارتن دولوس من منصبه وسوف يرأس قوات حفظ السلام حول العالم بنفسه، وتوعد بقتل كل من كتب وسيكتب اسمه بتلك اللائحة

4: لم الشمل

-2000، جنوب ليبيا-

شاب غامض يضع قبة صيفية بنية على رأسه ويرتدي سروال قصير رمادي، يضع قربه حقيبة ترحال كبيرة، ويقف على حافة الطريق السريع لوحده لكي يرتاح في ذلك مكان خالي، تنيره شمس حارقة تبث حرارة مرتفعة في الأرجاء، ولا توجد أي شجرة بذلك المكان القاحل الشاسع ليحتمي في ظلها.

حمل الشاب حقيبته، واكمل سيره نحو المجهول، إلى أن وصل لأحد المقاهي الشعبية قرب ذلك الطريق، وضع حقيبته قربه وجلس على طاولة خارج المقهى، لكي يرتاح، جاء عنده صاحب المقهى وسأله عن طلبه، رد عليه ذلك الشاب وهو يتنفس بقوة: "قنينة ماء باردة جدا لو سمحت." عاد صاحب المقهى للداخل، وترك الشاب يرتاح من تلك الطريق الطويلة التي سلكها.

أحضر له قنينة الماء للشباب، الذي فتحها بسرعة وبدأ يشربها من الضمأ ومن الحرارة العالية. بينما كان يروي ضمأه، توقفت سيارة سوداء أمام المقهى، سيارة سوداء فاخرة، خرج منها رجل ببذلة أنيقة واقترب لشاب وجلس قربه، نادى على النادل: "أحضر لي قنينة سودا لم سمحت."، وإذا بذلك الشاب يتفاجأ عندما سمع صوته المألوف، ثم انزل قنينة المياه، ونظر إليه بنظرات حادة وسأله ذلك الرجل: "هل كنت تزور قبر حكمت؟"

لكن ذلك الشخص رد عليه بسؤال آخر: "كيف وجدنتي؟"

نظر إليه ذلك الرجل وقال له: "لا يهم كيف، بل السبب."

رد عليه الشاب: "وما هو السبب؟"

الرجل: "والدتك يا عمر، لقد وجدناها مغمى عليها في منزل لوحدها، وهيا الآن في المستشفى وحالتها متدهورة. عليك العودة معي الآن وفي الحال."

وقف عمر مصدوما وركض نحو السيارة، وقف ذلك الرجل ووضع أوراق مالية على الطاولة ولحق بعمر وهو يمشي مبتسما.

-بعد مرور سنة، المغرب-

"بعد مرور خمسة عشر سنة على تلك الأحداث المأساوية التي بتت الخوف والذعر في قلوبنا وقلوب الناس من حول العالم، ها نحن الآن نعيش في عالم أمن، انخفضت فيه معدلات الجريمة لحدود الصفر، ثمن باهض جدا دفعناه مقابل هذه الراحة، لقد تم إعدام أكثر من ستين ألف شخص من أجل سلامتكم جميعا، لذا فلنعمل لبناء مستقبل أفضل لا تتكرر فيه المأسى التي عشناها تلك الفترة... هذا هو خطاب الذي

أدلي به رؤساء دول العالم الخاضعون لأولئك الإرهابيين مجهولي الهوية، ولكننا نحن لم ولن نرضى ولن نطيعهم ابداً، والذي رفض وأنا الآن باعتباري خليفة عنه، أعلن أن أبواب دولتنا مفتوحة دائماً لأي شخص كُتِبَ اسمه بتلك القائمة من طرف قوات حفظ السلام التي تسعى لإبادة أشخاص تابوا وندمو على أفعالهم، نحن نرحب بكم عندنا، لكننا غير مسؤولين عن أي شيء يحدث خارج حدودنا..."

كان هذا جزءاً من الخطاب الذي أذيع بشكل مباشر بجل القنوات الإخبارية حول العالم، لرئيس دولة جنوب أفريقيا، كارلوس ايموني، الذي واجه الجميع ورفض الخضوع لميثاق الرياض الذي تم ترسيمه قبل خمسة عشر سنة من الآن.

كان يشاهد هذا الخطاب بطل روايتنا عمر شاب في العشرينيات من عمره طويل البنية نحيف الجثة أبيض البشرة شعره أسود قصير حريري. يجلس داخل غرفة مستشفى بيضاء مع والدته المريضة والنائمة قربه، واضعاً يده اليمنى على يد والدته الشاحب لونها والذي يظهر على وجهها ملامح التعب.

عندما إنتهى الخطاب وعادت القناة لبث عرضها بشكل عادي قالت الأم لابنها: "أنظر يا بني..." وقبل ان تكمل كلامها، نظرت لابنها الذي كانت تبدو عليه علامات الإرهاق والتعب، فتراجعت عن ما كانت تحاول قوله وقالت له بالمقابل بصوت خافت متعب: "هيا يا بني عد للمنزل وارتح." وقف عمر دون أن ينظر لوجهها، ثم غادر الغرفة وأغلق الباب خلفه.

في اليوم التالي عاد عمر مجدداً لوالدته حيث كان يأتي لزيارتها والاعتناء بها في كل يوم منذ دخولها للمستشفى قبل سنة، حيث كان هو من يقوم برعايتها بعد أن عاد.

قبل أن يدخل عمر للمستشفى جاءه إتصال من رقم غير مسجل عنده، رد عمر على الإتصال وقال له المتصل: "انت عمر شياع؟" رد عمر على المتصل الذي تبين من صوتها أنها امرأة: "نعم من أنت؟"

ردت المتصلة: "أنا الطبيبة التي تتبع حالة والدتك."

رد عليها عمر: "أجل عرفتك كيف يمكنني مساعدتك؟"

سكنت الطبيبة لوهلة ثم قالت وهيا تبكي: "لقد توفيت والدتك ياسيدي فجر هذا اليوم..." وقبل أن تكمل الطبيبة كلامها أسقط عمر هاتفه على الأرض من الصدمة وظل واقفاً كالصنم أمام باب المستشفى المفتوح على مصراعيه.

بعد مرور أربعة أيام وفي صباح هذا اليوم الباكر يقف عمر امام قبر والدته، بعد جنازة لم يحضرها سوى عمر وجده يعقوب وخاله عيسى، وبستاني منزل يعقوب.

يقف الآن لوحده مجدداً، أمام قبر والدته الحديث والموجود قرب قبر والده الميت منذ سنة. وقف قربه رجل أصلع يرتدي معطف شتوي أصفر وأخرج ورقة مطوية من جيب معطفه وقال: "السلام عليكم، لقد أخبرتني ابنتي الطبيبة أيمان التي كانت تتبع حالة والدتك أن اعطيك هذه الرسالة لقد كتبتها والدتك لك قبل وفاتها بساعة، ولم تستطع أن تسلمها بنفسها، فهيا لم تملك القوة لمواجهةك لأنها تلوم نفسها على موت والدتك."

مد الرجل الرسالة لعمر وأمسكها بقوة وقال وهو ينظر لقبر أمه: "بل أنا من عليه لوم نفسه على موتها، فأنا من هربت وتركتها مع ذلك الـ..."

نظر عمر لقبر الى جانب قبر والدته وأضاف على كلامه: "و هاهوا الآن مدفون قريبا، بعد أن إغتالوه."

تنهد ذلك الرجل ووضع يديه في جيوب معطفه وقال وهو ينظر للقبر: "يوجد قبر اخي هنا كذلك، مات أخي الذي رباني منذ صغري قبل عشر سنوات بسبب وجود اسمه بالقائمة، لقد كان طبيبا مثلي كذلك، لكنه تسبب في حادث سير بعد أن كان يقود بأقصى سرعته لإجراء عملية مستعجلة لأحد الأطفال، وعوض إنقاذه للطفل، قتل أم وطفلها في ذلك الحادث المروع، لحسن أو لسوء حظه لا أعلم ماذا كان ذلك لكنه لم يصب بأي جرح، لكن عوض ذلك تم سجنه مباشرة بشكل مؤقت للتحقيق معه وإصدار حكم بخصوص الحادث ولسوء حظه صادف أن ذلك الإجتماع بالسعودية قد عقد بنفس اليوم فتم تطبيق ميثاق التطهير في اليوم نفسه وتم إعدامه مباشرة قبل حتى أن يحاكم... يجب ان أمر واسلم عليه وادعي معه."

وضع الرجل يده على كتف عمر وربت عليه، ثم غادر وظل عمر في مكانه ينظر لقبر أمه.

أخرج عمر تلك الرسالة من جيبه وعندما أراد فتحها سمع صوت خطوات أحدهم من خلفه تقترب نحوه، لذا أعاد الرسالة لجيب سترته السوداء، ووقف قربه نفس الرجل الذي أعاده من ليبيا، رجل بوجهه عابس وشعر بني داكن طويل غير مسرح، وقال له: "لم يكن عليها الزواج من ذلك السافل... وها هي الآن أختي المسكينة مدفونة قرب قبره الفارغ..."

نظر الرجل لعمر وأضاف على كلامه: "وبالحديث عن ذلك، الآن بعد أن إختفى الحصن الذي كان يمنعنا من قتل والدك، إرنا مكانه يا ابن أختي وسوف نسكنك في الرفاهية."

نظر إليه عمر وقال له: "لم تناسبني الرفاهية قط وأنت تعرف ذلك، آخر مرة رأيتهم كانت قبل عقد من الزمن لذا لا تنتظر مني إجابة، وأيضا أنا لا أهتم إذا كان حيا أو ميتا، في كلتا الحالتين لم ولن أسامح شخص هرب وترك والدتي تتدهور حالتها بمفردها، ولن أسامح نفسي أيضا لأنني لست بشخص مختلف عنه."

إقترب خال عمر أكثر له ونظر لقبر الأب وقال: "لقد وردتنا اخبار انه جاء البارحة ليزور قبرها، من كانت تدافع عنه وتحميه، هرب وتركها تعاني لوحدها بعد أن كانت تتداعى حالتها الصحية شيئا فشيئا إلى أن وجدت ذلك اليوم... مغمى عليها بالمطبخ."

نظر الخال لإبن اخته الذي لم يحرك ساكنا وسأله: "من ذلك الرجل الذي كان يتكلم معك؟"

رد عليه عمر: "إنه مدير ذلك المستشفى جاء لكي يخبرني أن إبنته تظن أنها السبب في موت أمي وشيء من ذلك القبيل."

أما خال عمر برأسه وقال: "هكذا إذا... إسمع! أريد منك أن تأتي وتعيش معنا، فالبيت كبير ويتسع لنا كلنا لا حاجة لك في العيش بذلك المنزل بعد، أنا أعلم أن لك به ذكريات سيئة"

نظر عمر لخاله ورد عليه: "شكرا لك على الدعوة، لكنني أفضل ذلك المنزل."

إبستم الخال وقال لعمر وهو ينظر إليه: "أنا أصر، تعال للمنزل لقد كنت ولازلت تنتمي لعائلتنا."

نظر عمر لخاله وقال له: "أنا أصلا سوف اخرج منه وأسافر مرة أخرى، لذا لا شكرا."

تنهد خاله وقال: "حسنا أنت أدري بنفسك، لكن لا تسنى باب منزلنا مفتوح لأجلك... وداعا!"

عندما تأكد عمر أن خاله غادر، أخرج الرسالة من جيب سترته وقبل أن يفتحها أخذ نفسا عميقا وفتحها وبدأ بقراءتها: "إبني العزيز، إذا كنت تقرأ هذه الرسالة فهذا يعني أنني توفيت، كتبت لك هذه الرسالة لكي أخبرك بأمر لم ارد أن أخبرك إياه من قبل، خيفة أن تغضب مني. أنا أعلم أن علاقتك بوالدتك معقدة وصعبة الحل، لكنني أريد منك طلبا واحدا وأتمنى منك ألا ترفضه، لقد صارحتك تلك الليلة أن والدك لم يقتل من طرف قوات حفظ السلام بل هرب لأنني أنا من طلبت منه ذلك خوفا على حياته، أنا أعرف أين ذهب، سوف تجد في خزان المياه الخاص بكرسي المرحاض، ورقة مغلقة بكيس بلاستيكي محكم الإغلاق، تلك الورقة تحتوى بالضبط على موقع والدك الذي تركه لي، لذا أريدك أن تذهب لذلك العنوان الموجود بالورقة وتصطحب والدك لسفارة جنوب أفريقيا لكي يذهب لأفريقيا الجنوبية ويعيش هناك آخر سنوات حياته حرا، أتمنى حقا أن تنفذ هذه الوصية، وحتى إذا لم تقبل، قطع هذه الرسالة وعش حياتك وإنسى امر والدك، لا تخف لن أغضب سأبقى احبك دائما ياإبني الحبيب، حتى إذا مت فحبي لك لن يموت."

بدأت الرسالة تتبلل بقطرات دموع عمر المشتاق لعائلته، ولدفى أسرته الذي فقده منذ سن صغيرة، وامضى حياته يرتحل من مكان إلى آخر وحيدا وبعيدا.

وصل عمر للمنزل الواقع في حي سكني فارغ كمدينة اشباح، فتح باب المنزل ودخل مسرعا نحو كرسي المرحاض لكي يأخذ عنوان والده من خزانه.

فتح عمر سطح خزان المياه، ليجد الورقة بالفعل مغلقة وموضوعة داخل كيس بلاستيكي سميك لا يسرب أي نقطة مياه، وقيل أن يأخذه، عاد لغرفة النوم لكي يجهز نفسه، فتح باب الغرفة، وقبل أن يدخل إليها، وضع أحدهم فوهة مسدس على مؤخرة رأسه وقال له: "ارفع يديك وتراجع للوراء بهدوء وروية لا نريد أن نوقظ الجيران، حسنا؟"

حاول عمر ان ينظر إليه لكنه لم يرى وجهه جيدا لذا إكتفى بسؤاله غاضبا: "لن تصدقو أنني لا اخبئه لحين تأكدكم بأنفسكم؟"

امسكه ذلك الشخص من كتفه وأمره: "هيا تعال معي."

رفع عمر يديه وتقدم أمام ذلك الشخص دون أدنى فكرة من هو وإلى أين هو ذاهب به، لكنه كان ينتظر فقط الفرصة المناسبة لكي يسقط سلاحه، وبالفعل بعد وصولهم لممر المنزل المؤدي للباب، استدار عمر بسرعة وضرب يد ذلك الشخص واسقط مسدسه، وركض مسرعا نحو خزانة أمام الباب، وفتحها بسرعة لكي يأخذ المسدس، لكن باب المنزل فتح بقوة، ودخل حوالي أربعة أشخاص مسلحين بمسدساتهم، وتقدم الشخص الذي كان معه بالمنزل وسدد له لكمة على وجهه طرحته أرضا، حاول عمر الوقوف بسرعة، لكنه وجد الجميع من حوله يصوبون مسدساتهم نحوه، الشيء الذي جعله يستسلم لهم ويدعهم يأخذونه.

أمسك أولئك الأشخاص بعمر ووضعوه داخل سيارتهم السوداء، حول أنظار قاطني الحي القليلين، جلس عمر بينهم في الكرسي الخلفي للسيارة وانفه يسيل دما من اللكمة، وضربه أحدهم بقوة بمقبض مسدسه على رأسه وأغمي عليه، وانطلقوا به مجددا نحو المجهول.

من الجهة الأخرى يقف عيسى أمام باب منزل عائلته، منزل فاخر يقع في حي بعيد عن الشوارع المكتظة والصاخبة. أغلق عينيه وتنهّد، ثم فتح باب المنزل وتوجه نحو غرفة المعيشة حيث والدته المحجبة الطاعنة في السن تستمع للقرآن الكريم عبر الراديو قريبا وتقوم بالمسح على رأس قطة رمادية تنام على حضن عباتها السوداء، إقترب عيسى نحوها وإذا بها تقول وهيا تنتظر إليه بعيونها العمياء: "عيسى هل هذا أنت؟" إختفت ملامح عيسى العابسة وإبتسم عند سماعه صوت أمه الحنون وقبلها في يدها وقال لها لأنها: "إنه أنا يأمامه، أخبريني كيف حالك؟"

إبتسمت أم عيسى وقالت: "بخير يا بني، وحيدة مع بسبوسة هنا، لكن طالما أنت معي فسوف اظل بخير. هل ذهبت لزيارة ملك؟ أخبرني كيف هو حالها هل بدأت تتحسن؟"

رد عليها عيسى بعد ان اخفتت إبتسامته: "إنها بخير يالهي... بخير... بلغتك سلامها."

إبتسمت الأم أكثر وحست بالطمئنية وقالت: "حسنا يالها من أخبار تفتح النفس... نسيت أن أخبرك، لقد قال لي والدك أنه ينتظرك في مكتبه، إذهب إليه إنه ينتظرك منذ مدة."

وقف عيسى وقبل يد والدته مجددا وقال لها: "حسنا يالهي، لا تنسي اخذ دوائك بعد الغذاء، لقد اخبرت نور أن تذكرك إذا نسيته."

غادر عيسى غرفة المعيشة وصعد على الدرج وصولا للغرفة حيث يوجد مكتب والده، وقف عيسى أمام الباب ورفع شعره البني الداكن، وطرق على الباب الخشبي الأبيض، رد عليه والده من خلف الباب: "إدخل."

فتح عيسى الباب واغلقه وتقدم نحو المكتب في غرفة مليئة بأرفف ممتلئة بكتب من شتى المجالات، جلس عيسى على كرسي خشبي أمام المكتب ونظر لوالده الذي يقف ممسكا بأحد الكتب من الرف مرتديا بدلة سوداء مثل ابنه، إلتفت له والده صاحب الشعر الأبيض الحريري المتوسط الطول ولحيته الرمادية الخفيفة، بوجهه العابس وأعينه العسلية، رمق بها عيسى بنظرات باردة وأغلق الكاتب الذي كان ممسكا به وقال له: "إذا أين وصلت في خطتك؟"

رد عليه عيسى وهو ينظر لصورة له هو ووالده بعد تخرجه موضوعة على سطح المكتب: "إنه عنيد مثل والدته لم يرد إخباري عن مكانه." جلس والده على كرسيه ووضع الكتاب جانبا وقال له: "إنه كذلك... حسنا... لا بأس."

إستغرب عيسى من رد والده الذي لم يتوقعه منه وسأله: "لا بأس؟"

نظر إليه والده وقال له: "أجل لا بأس أتريد أن ادعك تعذب حفيدي ليخبرك عن مكان والده؟، نحن نعلم انه لن يخبرك فلا حاجة لك في المحاولة."

ضرب عيسى على سطح المكتب بقوة ووقف ووجهه سبابته على والده وقال له بصوت عالي: "أبهذه البساطة سنتركه لعيش حياته بعد أن قتل إبنك البكر بدم بارد، هل تريد مني مسامحته؟"

رد الاب بنبرة باردة: "حسنا انه قرارك، انت من قررت للحاق به من الأساس، لذا فالقرار يعود إليك."

وقف عيسى مصدوما وقال لوالده متسانلا: "لماذا تتصرف هكذا؟ ماخطبك؟".

إقترب الأب من ابنه وامسكه من خديه بقوة، برمقه بنظرات جدية وقال له بنبرة غاضبة: "أنظر إلي! هل تظن أنني أريد الانتقام لأخيك بعد مافعله؟!...يكفي هذا لقد إكتفيت من رؤية أبنائي يسقطون الواحد تلو الآخر، عمران ثم يوسف ثم ملك، هذا يكفي..."

أبعد عيسى يدي والده من وجهه وابتعد عنه ووقف بمنتصف الغرفة وبدأ يضحك بصوت عالي، ثم بدأ يصرخ غاضبا ويقول: "لقد فهمت، فهمت جيدا، أنت تريدني كصنم إلى جانبك مجددا بعد أن إختفى وتركك، أنفذ أوامرك كالكلب المطيع أليس كذلك؟ افنينا طفولتنا وشبابنا كله في تنفيذ أوامرك، (رفع سبابته ووجهها على والده) ولم نكن ننتظر منك، لا مال، ولا سلطة، كنا نريد منك شيئا واحدا، شيئا لعينا واحدا! وهو الحنان، حنان الأب الذي لم نشعر به أبدا تجاهك، كنت تعاملنا مثل الآلات، وما نتيجة هذه القرارات، ها! اخبرني؟"

رفع والده وجهه بنظرة صارمة وقال له بنبرة هادئة: "لقد أصبحت رجالا".

نظر عيسى حوله وقال لوالده متهكما: "أصبحتم؟ من تقصد بأصحتم؟ هل تقصد أولادك الذين دفنتهم بيدك في قبورهم نتيجة قراراتك الغبية.. (اقترب عيسى لوالده).. والتي لا زلت مستمرا بها، وستستمر بها إلى أن تموت وحيدا!"

تبادل الإثنين نظرات صارمة وصرخ الأب في وجه ابنه قائلا: "نعم قرارتي!! نعم انا من رببتكم (رفع الأب يديه وأظهرهم لابنه) بيدي هاتين، وانا من جعلكم على طريق مستقيم، بيدي هاتين، وأنا من دفنت أبنائي بيدي هاتين... (بدأ يضرب الاب ابنه براحة يده على صدره بقوة) ولكن، نتيجة لقراراتهم وليست قرارتي، أنا رببتكم وعلمتكم، لكنني لم أفرض يوما على أحد منكم أن يذهب ويقتل أم وابنها وهو سكران، أو يحاول ضرب أخته بسبب مشاكله الخاصة مع زوجها، ولم أفرض عليك ملاحقة زوج اختك و جلب حفيدي لكي يخرج من جحره، لذا إذهب وافعل ماتريد فعله وأنا في الأخير من سادفك، ونهي هذه السلالة للأبد!"

هذه المرة سكت عيسى واكتفى بنظر، بجبينه المجعد وعينه تشتعلان بنار الغضب تجاه والده، الذي كان ينظر له بنظرات باردة ووجه خالي من أي تعبير، وقال له بنبرة حازمة: "هل سوف تبكي؟ (نكر عيسى، بسبابته بقوة على صدره) هيا أجنبي، اجبني أيها الجبان يا من بقي في ظل والده طوال تلك السنين، هل تنتظر الأمر مني، حسنا هيا، ابكي، ابكي!!"

ذهب عيسى نحو المكتب مسرعا وامسك بالكرسي.

ومن خارج الغرفة، بحديقة المنزل، يراقب البستاني الشجار بين الأب وابنه بجفون عابسة في صمت، إلى أن إنسكرت النافذة بواسطة الكرسي، وابتعد بسرعة من مكانه قبل أن يسقط عليه.

من داخل الغرفة أخرج عيسى رصاصة من جيب بدلته وقال وهو يريها لوالده: "لن أرتاح حتى أتأكد من وصول هذه الرصاصة لدماعه حتى لو كلفني ذلك حياتي." ثم غادر، وأغلق الباب خلفه غاضبا.

تهدد الأب وجلس على الكرسي بجانبه، وشبك أصابع يديه ببعضهم، وطأ رأسه من الحزن.

بدأ البستاني ينظف ركام ذلك الكرسي، إلى أن مر عيسى بجانبه وهو يستشيط غاضبا وقال وهو يخاطب نفسه بصوت خافت: "نفس نظرات التي شاهدتها بأعين أخوتك، وكانت تلك آخر مرة أراهم فيها. أتمنى أن لا يكون مصيرك مثلهم، وتكون هذه اخر مرة نراك فيها."

ركب عيسى سيارته، واخرج مسدسه الفضي، وقال بصوت حاد: "سوف افعلها بنفسي إذا." وقاد سيارته بسرعة نحو منزل عمر.

دخل البستاني لمكتب والد عيسى، وقال له: "لا تخف ياسيد يعقوب، عمر بأمان لقد أخذه رجالي إلى والده."

رفع يعقوب رأسه واجابه: "جيد، ذلك الغبي لا يكف عن تصرفاته المتهورة."

بعد مرور ساعة وصل عيسى للزقاق، خرج من سيارته بسرعة، وركض نحو المنزل وفجر قفل الباب بمسدسه بعد أن تأكد من خلو الحي من الناس، ثم إقتحم المنزل ودفع الباب بقوة وصرخ قائلا: "أين أنت أيها القاتل؟"

بدأ عيسى يبحث في المنزل ويصرخ بصوت عالي: "هيا إخرج، اخرج ايها الجرد الخائن، أظهر وإلى هدمت المنزل ودفنتك بحطامه!"

وصل عيسى لغرفة نوم، وبدأ يبحث ويعيث بالمكان غاضبا، إلى أن رأى ورقة بيضاء مرمية على الأرض، اقترب عيسى نحوها، وامسك بها، وبدأ بقراءتها، لقد كانت رسالة ملك لابنها عمر، الرسالة التي تبين أن عمر أسقطها أثناء اختطافه من أولئك الأشخاص. عندما انتهى عيسى من قراءة الرسالة، ركض بسرعة نحو المراض، وفتح خزان مياه كرسي المراض، وأخرج الورقة التي أطلعت ملك ابنها عليها بالرسالة، لكنها وللأسف كانت من نصيب أخوها، أزال عيسى الورقة من الكيس، وعندما أراد فتحها قل: "حتى وانت تلفظين أنفاسك الأخيرة لازلت تفكرين فيه وتحميه منا ياأختاه."

فتح عيسى الورقة، ليرى عنوانا وخريطة مرسومة باليد لمكان وجود والد عمر بالضبط، ابتسم عيسى إبتسامة مأكرة وقال: "حي المذنبين، إذا."

وضع الورقة في جيب سترته، وعندما أراد الخروج من المراض، سمع صوت خطوات أكثر من شخص قادمة من باب المنزل، لذا تراجع واغلق باب المراض ببطء وخرج مسدسه الفضي، ووضع اذنه على الباب لكي يسمعهم ويعرف خطواتهم، التي بدأت تقترب نحوه شيئا فشيئا، إلى أن توقفت وقال أحد أولئك الأشخاص المجهول عددهم: "أنتم تشعبو في المنزل وانا سوف أدخل للمراض لأقضي حاجتي."

عندما سمع عيسى كلام ذلك الشخص، تراجع بسرعة نحو حوض الاستحمام، واختبئ خلف ستارة صفراء، مستعدا بمسدسه لأي إحتمال سيحدث.

فُتح باب المراض، ودخل ذلك الشخص الذي كان ينظر عيسى له من خلف الستارة بشكل ضبابي، أغلق الشخص المراض، واقترب نحو كرسي الحمام، وبدأ يتبول في صمت، وعندما إنتهى، رفع عيسى مسدسه لصدرة، واخذ نفسا عميقا، ثم خرج من خلف الستار وصوب مسدسه نحو ذلك الشخص، الذي كان جندي شابا في مقتبل العمر، من قوات حفظ السلام. رد الجندي بالمثل وصوب سلاحه نحوه وسأله: "من أنت؟ وماذا تفعل هنا؟"

رد عليه عيسى: "إهدئ، انا هنا لنفس سبب وجودكم، فأنا من إتصل بكم!"

تراجع الجندي خطوتين واقترب نحوه عيسى وقال له: "إسمع، فقط لا تخبر رفاقك، انا سوف أرحل ولن تراني مجددا أنا أعذك."

نظر الجندي لمسدس عيسى بنظرات طمع، وفهم عيسى مقصده وقال له: "إنسى، لن تحصل عليه."

رد عليه الجندي: "حسنا إذن يا...". وقبل أن يكمل الجندي ندائه إقترب عيسى نحوه بسرعة وأسقطه هو وسلاحه وارطم رأسه بكرسي الحمام، وقبل ان يغمي عليه، أمسكه عيسى، وأدخل رأسه بمياه كرسي الحمام، بقوة لكتم نفسه، بدأ الجندي بالركل بقوة، لكن عيسى لم يكثر وظل، يغطس رأسه في ماء المراض بقوة إلى أن توقف الجندي عن الحراك، وأفلته عيسى ونظر إليه بنظرات إشمئزاز وقال له: "لقد قتلك طمعك يا فتى."

أخذ عيسى سلاح الجندي وفتح باب المراض، تاركا الجندي خلفه ورأسه لا يزال داخل كرسي الحمام. ركض عيسى بسرعة نحو باب المنزل، وبدأ الرصاص يطلق نحوه، ولم يكن عيسى بالخيل، وأطلق عليهم هو الآخر الرصاص بسلاح الجندي وهو يجري.

ركض عيسى نحو سيارته بسرعة إلى أن إختزقت رصاصة من أحد الجنود رجليه لكنه أكمل طريقه رغم الإصابة وبدأ بإطلاق الرصاص بذلك السلاح الذي اخذه من الجندي، بشكل عشوائي على المنزل من خلفه، إلى أن نفذت ذخيرته ورمى السلاح بعيدا، وركب سيارته وغادر مسرعا والرصاص يخرق زجاج السيارة الخلفي لكن عيسى اكتفى بتجنب الرصاص وقاد السيارة وخرج من الزقاق تاركا أولئك الجنود يركضون نحو سيارتهم رباعية الدفع للحاق به، لحق بهم قائدهم يرتدي قبعة شتوية سوداء، وذهب للسيارة وركب في مقعد القيادة، ولحقت به باقي الفرقة، ومن خلفهم آخر جندي، يحمل بين يديه جثة صديقه الذي قتله عيسى. ركب الجميع وداس القائد على دواسة البنزين وانطلق بسرعة للحاق بعيسى.

-بعد مرور ساعتين-

في ظلام دامس حيث لا يرى ولا يسمع شيء، سوى كلمة "إستيقظ" بصوت والدة عمر الحنون الدافئ. إستيقظ عمر فالحين على سرير

خشبي دافئ، ليقف مرتعبا وهو ينظر من حوله، غرفة بنية الجدران بها السرير الذي كان نائما به، ومكتب خشبي بنفس لون خشب السرير.

ارتدى عمر حذائه الأسود بارتباك، وفتح باب الغرفة وبدأ بتسلسل في ردهة المنزل ببطئ، للهرب، نزل من الدرج، لسمع صوت مألوف له يتكلم مع عدة أشخاص في الغرفة المقابلة للدرج، إقترب عمر نحوها ببطئ شديد، لكي يختلس السمع، واذا بباب الغرفة يفتح، ويدخل عمر متعثرا واقترب من السقوط حتى جاء رجل كبير في السن وساعده، وقال له مبتسما: "إحذر يا بني."

ارتعب عمر حينما سمع صوته وافلته قائلا: "أبي..."

5: الرسالة والدم

-10/7/1987، المحكمة الوطنية بآنتريستان-

داخل المحكمة الوطنية بآنتريستان، التي لم تسلم هي كذلك من الحرب الظالمة آنذاك وقبل أيام إنتهت بها الإصلاحات وحانت اللحظة المرتقبة، اليوم الموعود، اليوم الذي كان ينتظره كل شعب آنتريستان من مختلف دول العالم، كون الملايين منهم هاجروا من البلاد أثناء الحرب، وتركوها فارغة محطمة.

يقف الرئيس السابق لدولة آنترسول سيرغي كوزيتسوف، بملابس سجن رمادية، مكبل بالاصفاد من يديه ورجليه، سمين الجثة اصلع الرأس، لديه ندبة حرق بخده الأيمن.

كان الرئيس يقف شامخا أثناء محاكمته يستمع مبتسما، لضجيج التظاهرات المقامة خلف جدران المحكمة. ضرب القاضي العجوز بمطرقة العدالة وعدل نظارته وقال بعد أن عم الصمت ونظر سيرغي بأعينه الخضراء الصغيرة له: "باسم العدالة التي سلطت على عاتقي، وبعد دراسة كافة الأدلة والشهادات، وبالنظر إلى الجرم الفادح الذي ارتكبته في حق الأبرياء، أعلن أمام هذا الجمع أن المتهم سيرغي كوزيتسوف قد أدين بارتكاب جرائم حرب يعاقب عليها القانون الدولي. وبناءً على ذلك، أصدر حكم المحكمة النهائي: الإعدام. عسى أن يكون هذا الحكم رسالة لكل من تجرأ على استباحة أرواح الأبرياء، أن العدالة لا تنام، وستصل دائما حيث يجب..."

طأطأ سيرغي رأسه وأغلق عينيه وتشكلت إبتسامة على وجهه الشاحب وبدأ يضحك ضحكة مكتومة، لاحظ القاضي ذلك واستغرب من فعله، وضرب بالمطرقة وخاطب سيرغي بمنتهى الجدية: "بدل أن تضحك، اعتذر عما فعلت، اعتذر للحاضرين لأنك دمرت دولتهم، وقتلت احباثهم، وهجرت الأبرياء، هذا ما عليك فعله وليس الضحك كالأحمق المعتل نفسيا!"

رفع سيرغي رأسه ونظر للقاضي، والتفت ونظر للحضور وقال وهو ينظر للأصفاد: "حضرة القاضي، إعتذاري لن يكون صادقا لهم ولن يغير شيئا لأنني لم أفعل شيئا خاطئ، أخبرت رئيسهم أن يسلم لي أولئك الصحفيين لكنه أبى ولعب دور البطل الشجاع، وهذه كانت النتيجة، الدمار، الخراب... هذا ما يجيد البشر فعله..."

إلتفت سيرغي للحضور ولمح شخصا بينهم وابتسم وعاد وأكمل كلامه: "هذه الدولة كان مصيرها الدمار، إذا لم أكن أنا السبب، فلا شك أنهم كانوا سيجدون سبب أخر لدخولها، لذا أيها الشعب أخشى أن أخبركم أن وطنكم هذا مجرد بقرة حلوب لهم... كل تلك المعاونات والخطابات الرنانة تحت غطاء الإنسانية، ماهيا إلى غطاء أوسع لأطماعهم..."

وبينما كان سيرغي يتكلم ويفصح عن مبادخله بأخر أيام حياته، بدأ صدى صوت المحتجين يقترب من باب القاعة شيئا فشيئا، إلى أن فتح باب القاعة بقوة ودخل شاب ملثم وأطلق ثلاث طلقات نارية على ظهر سيرغي، طرحته أرضا، وصرخ المثلث قائلا والشرطة تقبض عليه: "هذه من أجل أبناء وطني الذي صمد ضد شرورك!!"

عمت الفوضى بالقاعة حيث اقتحم العديد من المحتجين القاعة، وبدأت الشرطة تحاصرهم، بينما سقط سيرغي على السياج الخشبي الذي يفصله عن الجميع، وقال وهو يكح الدم: "فعلها بسرعة... دمرهم..."

حتى لفظ أنفاسه الأخيرة والمحتجون يركضون نحوه بعد أن نجحوا في الإفلات من الشرطة.

-الحاضر-

-قبل خمس ساعات-

في منطقة جبلية وعلى طريقها الوعر الضيق، كانت تسير حافلة بيضاء صغيرة متجهة إلى قرية تقع في أعالي الجبال. بداخل الحافلة، كان بها العديد من الأشخاص يرتدون جلابيب سميكة ويغطون رؤوسهم بأغطية واسعة، بينما ارتدى آخرون ملابس عادية مثل القمصان والسرراويل الفضفاضة، ولكن الجميع كان يغطي وجوهه بأوشحة متعددة الألوان. من بينهم، شخص ذو وشاح أحمر، جالس في المقعد الخلفي للحافلة، ينظر بتأنٍ إلى الجميع أمامه.

أخرج يده من جيبه ورفعها وبدأ يقوم بإشارات غريبة بأصابعه، رآها سائق الحافلة من المرأة، فتوقف على حدود تلك القرية. بدأت علامات الاستياء تظهر على وجوه الركاب، وبدأ البعض يصرخ ويأمر السائق بإكمال طريقه، لكنه لم يتحرك قيد أنملة وبقي ساكناً في مكانه. إنفعل أحد الركاب واقترب من السائق غاضباً، وأمسكه بقوة من كتفه قائلاً وبصوت حاد: "تحرك أيها السائق..." ولم يكمل الراكب كلامه من الصدمة، عندما رأى سلاحاً موضوعاً على خصر السائق. لذا حاول الراكب فتح الباب والفرار، لكن السائق وبحركة سريعة أطلق رصاصة على رأسه، فإنفجر رأسه ولطخت دماؤه باب الحافلة.

ارتعب جميع الركاب وحاولوا الفرار بحياتهم، لكن الرجل ذو الوشاح الأحمر أطلق رصاصة أخرى على سقف الحافلة قائلاً: "هذا يكفي، لقد حوصرتهم. لن تخرج من هذه الحافلة سوى جثثكم."

وقف عدة أشخاص من أماكنهم ومعهم اسلحتهم، وبدأت مجزرة مروعة داخل تلك الحافلة.

بعد مرور خمس دقائق، خرج الرجل ذو الوشاح الأحمر من الحافلة المدمرة بالرصاص والمغطاة بدماء الركاب. وقف أمام باب الحافلة، وهو يتنفس بقوة، أزال الوشاح من على وجهه ليكشف عن هويته كقائد لذلك الفصيل من قوات حفظ السلام الذي كان يلاحق عيسى.

توجه إلى سيارتهم رباعية الدفع المركونة جانباً، وترك فصيله يتولى باقي المهمة. عندما وصل إلى السيارة وعندما أراد فتح بابها، إنفتحت بوجهه يساراً، ثم رأى مجموعة من سكان القرية، من أطفال وشيوخ ونساء، ينظرون للحافلة من بعيد بخوف. رمقهم القائد بنظرة غير مبالية وباردة، ثم فتح باب السيارة وجلس على المقعد وأغلق عينيه. قبل أن يغفو، طرقت أحد الجنود زجاج السيارة. فتح القائد عينيه منزحاً، وأنزل الزجاج ونظر إلى الجندي الذي قال له: "سيدي، لقد جائنا أمر من القيادة أن شخص يدعي انه يعرف أين يعيش عمش وعلينا الذهاب لتفقدته." أغمض القائد عينيه غير مبالي بما أخبره ذلك الجندي للتو.

بعد مرور ساعات، يقف محقق شاب أمام الحافلة، وينظر لها بنظرات مرتعبة ومنصدمة، ولما لا، فقد أصبحت تلك الحافلة البيضاء، حمراء من الدماء التي سفكت داخلها، ولم يتبقى شخص بداخلها إلى ودمائه لطخت تلك الحافلة لتحولها لمنظر تقشعر له الأبدان.

إقترب نحوه الرئيس عبد العزيز، أو الآن عبد العزيز فقط والذي صادف أنه يعيش بمدينة مجاورة لهذه القرية. وضع يده على كتف المحقق الشاب وهو ينظر بأعينه المرهقة والشاحبة، لذلك المنظر البشع أمامه، وقال له: "أول مرة؟"

أمى المحقق لعبد العزيز، الذي تنهد وقال: "سوف تتعود يا بني، هذه هي مهمة الشرطة بعد ذلك الميثاق، تأتي لمكان وقوع احد مجازر قوات حفظ السلام، تكتب تقريراً، وترسله مع سجل جنائي لمكتب حفظ السلام المجاور لك، ثم تستقبل إتصال للذهاب لأحد أماكن وقوع أحد مجازرهم، وهكذا دواليك، ولذلك السبب قدمت استقالتي وها أنا الآن...حي."

إنفتت الشاب ببطأ لعبد العزيز وقال له بنظرات مرتعبة: "وكيف تجاوزت هذه المرحلة؟"

نظر إليه عبد العزيز ثم أخرج يده اليسرى من جيبه وقال له وهو يريه إياها وهيا ترتعش: "ومن قال أي تجاوزتها."

اعاد عبد العزيز يده اليسرى لجيبه وأضاف على كلامه وهو يصطحب المحقق بسيارته: "ذلك اليوم الأسود، 26/9/1986 حيث إنفجرت تلك المدرسة، ثم مركز الشرطة أمامي، ثم ذلك الحفل، يوم لم أنساه إلى يومنا هذا ولا أظن أنني سأنساه حتى وانا على فراش موتي، ولن أسامح نفسي يوماً كيف ساعدت المفجر بشكل غير مباشر بتنفيذ خطته."

جلس الإثنين داخل مقهى وسأل المحقق الشاب عبد العزيز، بعدما روى له ما حصل ذلك اليوم: "ماذا تقصد بأنك ساعدته."

رد عليه عبد العزيز: "أنا من أمرت وتحديث الجميع بضرورة إحضار إسحاق لإستجواب المفجر."

المحقق الشاب: "لكن المفجر إشتراط عليكم حضور المحقق إسحاق لكي يفصح عن كل ما يعرف."

عبد العزيز: "لا، لقد كان هدفه ضم إسحاق لجانبهم لذلك سلم نفسه بالتحديد لمركز الشرطة أين أعتاد العمل، لأنه كان يعمل معه في نفس المركز."

تفاجئ المحقق وقال مستغربا: "أنا أعرف أن المفجر كان شرطيا أيضا، ولكن ما نوع العلاقة التي كانت تربطهما معا؟"

رد عليه عبد العزيز: "لقد كانا يعملان في نفس القسم، لقد كانا أشبه بأصدقاء رغم تفاوت السنوات بينهم، لكن بعد تلك المحاكمة بخصوص عائلة إسحاق، تغير كل شيء، إختفى علي عن الأنظار، وبعد مرور سنة عاد بشكل مشوه، وأصبح شخصا آخر، ونفذ خطته، بضم إسحاق وإستدراج وزير الدفاع السابق شخصا لمركز الشرطة، وفجر نفسه معه، وأنا كنت بالخارج...أبحث عن مفجر خيالي بين مئات الأشخاص...مدير مركز شرطة أعرج، تفجر مركزه أمام أعينه."

سال المحقق الشاب: "وماذا حصل لإسحاق."

عبد العزيز: "لكن ما أعرفه أنه إختفى واستقال بعد ذلك الانفجار."

المحقق الشاب: "هو المطلوب الرقم واحد الأن عالميا، لكن هل تظن أنه هو من فعلها، وفجر ذلك الحفل."

تنهد عبد العزيز ونظر لكأس القهوة أمامه وقال بنبرة منهكة: "كل الدلائل تشير للإشتباه به، لكنني لا اعلم صدقا، فرغم أنه كان يمر بمشاكل نفسية تلك الفترة فلا أظن أنه قد يفعلها...لكنني قلت نفس الشيء عندما وضع ملف علي بين يدي وأخبروني أنه هو من فجر تلك المدرسة، لذلك وبكل صراحة، أنا لا أعلم."

احتسى المحقق الشاب كوب قهوته، ونظر لعبد العزيز بنظرات مترددة، لكن عبد العزيز لاحظته وقال له: "قل مايشغل بالك."

تنهد المحقق مبتسما وقال بنبرة متهدجة: "أردت ان ...أسألك فقط عن موقفك بخصوص...ما أل عليه حالنا اليوم."

فرك عبد العزيز عينيه وقال بصوت متعب: "موقفي؟، حسنا، موقفي هو أنني تعبت من كل هذا، منذ اليوم الأول عندما بدأ كل شيء، يوم تأسيس قوات حفظ السلام، بدأ صوت إطلاق النار يتصاعد في الإرجاء كصوت انفجار الألعاب النارية في سماء ليلة رأس الميلاد، والناس تصرخ لكن خوفا وهلعا من ما كان يحدث. الجثث في كل مكان في الشارع...لقد كان ذلك اليوم يوم بداية عالم جديد، عالم مليء بالقتل والحزن والصراعات القومية، وحتى عندما قررت الذهاب لمدينة بعيدة، لم أسلم من تلك المناظر..."

المحقق الشاب: "لكن معدل الجريمة قل بشكل كبير، أقرب إلى الصفر، والأمن والأمان إزداد في معظم أنحاء العالم، ألا تراها صفقة جيدة؟"

عبد العزيز: "جيدة جدا لشباب اليوم، لكن من عاصر البدايات، لا أظن أنه الآن بخير، معدل الجريمة والأمن و الامان، لم تكن ابدا كافية لسدل الستار والتستر عن ما حدث حولنا، تلك الحافلة التي جعلت وجهك شاحبا من بشاعتها، كنا نراها كل يوم."

المحقق الشاب: "الحياة تفرض عليك التضحيات لتستمر بها."

وقف المحقق الشاب ومد يده لمصاحفه عبد العزيز وقال له مبتسما: "حسنا، هذا لا يهم الان، تلك احداث مرة، وعلينا نسيانها، ألا توافقني يا سيدي؟"

رفع عبد العزيز رأسه لذلك الشاب الذي بدى له متحمسا وكله حيوية ونشاط وصافحه وقال له: "أنت محق أيها الشاب، وأتمنى لك مسيرة

مهنية موفقة."

رد عليه المحقق الشاب: "شكرا، وتشرفت بلقاء سيادتك."

أخرج المحقق الشاب أوراق مالية ووضعها على الطاولة وغادر. أخذ عبد العزيز رشفة من كوب القهوة، وإذا بقناة إخبارية تقطع بث نشرتها الإخبارية لإعلان عن خبر هام، وفي نفس الوقت جلس شخص ما أمامه بينما كان يشاهد عبد العزيز التلفاز.

-قبل نصف ساعة-

داخل مبنى أشبه بعمارة مهجورة، رفع عمر رأسه لوالده، وبحركة مفاجئة سدّد لكمة لوجه كادت ان تسقطه أرضا، وإذا بكل من بتلك الغرفة البنية، المحيطون بطاولة خشبية مستطيلة الشكل عليها بعض الأوراق والوثائق المنتثرة عليها. يخرجون ويصوبون بمسدساتهم على عمر، ومن بينهم شاب يمثل سن عمر، ذهب مسرعا لعمر وحاول ضربه بقبضته، لكن عمر تفادها ونشب بينهم شجار، جاعلا والد عمر الذي كان يضع يده على أنفه الدامي، يصرخ بصوت عالي: "توقفوا!!"

وبالفعل توقف الجميع، بينما إستعاد والد عمر توازنه واقترب إليهم بعكازه وقال لذلك الشاب: "بتعد عنه يا ادم إنه منا."

رد عليه أدم: "ولكن يازعيم، لقد قلل عليك احترامه..."

واخرج الشاب المسدس من خلف سترة بدلته الزرقاء الداكنة، ووضع فوهته على رأس عمر وأكمل كلامه: "وعليه أن يحاسب على ذلك."

وضع أب عمر يده على كتف أدم وقال له: "لديه أسباب لذلك الفعل، أسباب أعرفها أنا وهو فقط، لذا انزل سلاحك وانضم للبقية."

نظر عمر لوالده وقال له بصوت عالي: "تركت أمي تعاني لوحدها وجئت هنا لكي تختبئ بين جرائك أيها الجبان." ضغط أدم بمسدسه على رأس عمر، لكنه لم يكثر له وأكمل حديثه "وحتى في آخر أيام حياتها لم تتساک، ولكنك لا تس... " وقبل أن يكمل عمر جملته، اقترب والده نحوه بسرعه ومسكه من قميصه بقوة وقال له بصوت عالي وهو في حالة صدمة: "ماذا تقصد بأيامها الأخيرة!؟"

رد عليه عمر غاضبا: "لقد سمعتني جيدا، كانت في المستشفى لمدة سنة كاملة، إلى أن توفيت قبل ايام من الآن، وحيدة، هل تسمع وحيدة!."

شد والده على قميص عمر وقال بصوت منخفض وهو يذرف دموع الحزن والأسى على ماسمعه: "إتركونا لوحدها..."

فتح أدم الباب وغادر ولحق به كل من كان بتلك الغرفة، سبعة أشخاص دون احتساب الأب وادم. ظل الأب والإبن لوحدهما الآن، وبينما كان الأب يبكي بدأ يقول بحزن: "قبل يومين، جاء رجل إلى هنا يقول أنه مدير المستشفى حيث كانت تنام به والدتك، يدعي أنها ماتت ذلك اليوم، لكنني لم أصدق، وطردته وهددته أنه إذا عاد او ذكر إسمها مجددا أنني سوف أقطع لسانه، لقد كان مجيئه مريبا، فلا أحد يعرف هذا المكان سوى أنا ومن يعمل لصالحه، لذا طردته ولم أرد أن أصدق..."

ظل عمر ينظر لوالده يبكي بحرقة، وقال له بحزن: "أنا أيضا لم أظلم معها بما فيه الكفاية، لو لم يجديني خالي ذلك اليوم، لما علمت اصلا بمرض والدتي، أو حتى باقتراب أجلها، لذا أنا لا أظن أن بيننا أي إختلاف، فكلانا لا نستحق العيش. لذلك ولتكفير عن ذنوبنا علينا تنفيذ وصيتها."

أفلت الأب إبنة وسأله: "أي وصية."

بدأ عمر يبحث في جيوبه عن الرسالة وفي نفس الوقت يخبره عن فحواها: "لقد طلبت مني أن أساعدك...لقد كانت معي الرسالة، لكنني لا أعرف أين اختفت."

تغيرت ملامح عمر من غضب وحزن، لتوتر بينما كان يبحث عن الرسالة لكن دون جدوى، فالرسالة إختفت.

خرج عمر من الغرفة بسرعة وركض نحو الغرفة حيث كان نائما، ولحق به أدم الذي كان يختلس السمع من خلف الحائط، ثم تبعهم والد

عمر ببطاً. فتح عمر باب الغرفة وبدأ يفتشها شبراً شبراً لكن دون فائدة، فتح آدم الغرفة ودخل، وعندما شعر عمر باليأس استدار لأدم و أمسكه من صدره بقوة وقال له بنبرة حادة غاضبة: "أين هيا!؟" استغرب آدم ثم أبعد عمر عنه قائلاً: "عن ماذا تتكلم أيها المغفل؟"

عمر: "كأنك لم تكن تستمع لمحادثي مع والدي. أنا اتكلم عن الرسالة، الرسالة!!"

أدم: "وكيف لي أن أعرف مكانها، إسأل السيد محمد، والدك فهو من كان معك هنا وأنت غائب عن الوعي."

فتح والد عمر، محمد الباب بقوة ووقف بمنتصف الغرفة مستغرباً وقال لعمر: "لماذا أنت مهتم بها لهذه الدرجة؟"

التقت عمر لوالده بينما كان يبحث في ارجاء الغرفة: "لست مهتم بها، لكنني خائف أن أكون اسقطتها في المنزل عندما اختطفوني رجالك، ويأخذها خالي عيسى، الذي لا طالما كان يبحث عنك ويراقب المنزل ويسألني كل يوم عنك، فلن استغرب أنه الآن داخل المنزل يبحث عن أي دليل يثبت أنني اخبئك عنهم."

زاد استغراب وتساؤل محمد، ثم قال لإبنه: "وإذا وجدها، مالمشكلة؟"

أفلت عمر المخدة واقترب من والده ونظر إليه بنظرات حادة وقال له: "وقتها سوف يعرف مكانك، لان أمي ذكرت بالرسالة المكان أين خبأت عنوانك، وسوف يكون هنا في أي لحظة مع جيش من رجال والده."

إستوعب محمد خطورة الموضوع والتقت لأدم وقال له: "أرسل يحي و مراد للمنزل."

التقت محمد لإبنه قائلاً: "أين خبأت ملك، والدتك العنوان؟"

عمر: "داخل خزان مياه كرسي الحمام."

التقت محمد مجدداً لأدم وقال له: "سمعت، والان إركض يا بني."

غادر آدم الغرفة بسرعة، وقال عمر لوالده وهو ينظر بحذر على النافذة: "علينا أن نذهب، نحن أيضاً!"

سأل محمد ابنه مستغرباً: "ماذا تقصد؟"

اقترب عمر لوالده وقال له: "علينا أن نذهب، علي تنفيذ وصية أمي."

رد عليه والده: "اتفهم تسرعك وتخوفك، لكنني لا استطيع الذهاب معك وترك الجميع خلفي."

ضحك عمر ضحكة مستهزأً من كلام والده ورد وقال له: "أولم تترك والدتي خلفك وترحل؟"

أضاف عمر بنبرة جادة: "لكن اتدري؟ انا لا أريد الخوض في هذا النقاش حتى، كل ما عليك فعله الآن هو أن تأتي معي الان وفي الحال، لأنني لا أهتم لمشاكلك انا اريد تنفيذ وصية أمي لكي ارتاح، هل فهمت؟"

تنهد محمد ونظر لأعين ابنه بكل حزم وقال له: "اتفهم قرارك، لكنني لا أستطيع ذلك، لدي مسؤوليات هنا، مسؤوليات اهم من حياتي."

دخل رجل كبير مقارب لسن محمد، اسمر البشرة، ولحيته قصيرة. أغلق الباب خلفه وقال لمحمد: "إبنك محق، عليك الذهاب."

إستدار محمد لذلك الرجل وقال له: "لا تتدخل يا حازم، هذه مشكلة عائلية."

اقترب حازم لمحمد وقال له في إذنه بنبرة حازمة: "منذ متى وانا اعرفك يا محمد؟ خمس؟ عشر سنوات؟ انا أعرفك جيداً وأعرف طبع شخصيتك العنيد والاهم حس المسؤولية بداخلك، لكن هذه المرة عليك ترك كل شيء خلفك والرحيل، تنفيذاً لوصية زوجتك، والأهم من أجل صحتك."

إقترب محمد لحازم بعكازه الخشبي وقال بصوت خافت له "هيا يا حازم، أنت تعرف أنه ليس بالأمر السيء."

رد عليه حازم بنبرة خشنة: "بل هو كذلك، محمد لا تكن عنيدا."

ضرب محمد بعكازه على الأرض وقال بنبرة حازمة وتعلوه ملامح وجه جادة: "عشرات الأشخاص هنا يعتمدون علي، لا أستطيع تركهم هكذا والرحيل بكل بساطة."

ضرب حازم على كتف محمد بقوة وقال له: "بلي، أنت تستطيع، بالإضافة إلى أنني موجود هنا، كما أن الجميع هنا سوف يتفهم الأمر."

دفع محمد حازم بيده وفتح باب الغرفة وغادر.

حاول عمر ملاحقته بسرعة، لكن حازم منعه بيده وقال له: "دعه وشأنه الآن، إنه هكذا دوما، يفضل حل أموره بمفرده."

فتح ادم الباب عليهم وأراد إخبارهم بأمر مهم لكنه تراجع وقال متسانلا: "أين سيدي؟"

إلتفت له حازم قائلا: "لقد خرج قبل قليل ألم تلتقي به؟"

ادم: "لا، يبدو أنه ذهب لغرفته، سوف عنده."

رد عليه حازم: "مهلا توقف، إنه يريد البقاء لوحده، وأيضا ماسبب هذه العجلة؟ هل بخصوص مراد ويحي؟"

رد ادم: "لا، الأمر فقط..."

حازم: "تحدث!"

وعلى الجهة الأخرى من المدينة. يجلس عيسى على كرسي حمام داخل مرحاض عمومي يعض فوطة بيضاء محاولا إزالة الرصاصة التي أصيب بها بسكينة ساخنة، ويفرغ ألمه عبر عضه للفوطة بقوة.

حين إنتهى سكب عليها معقم ولف الجرح بضمادة بيضاء، ثم خرج من المرحاض يعرج، ومن محطة الوقود متوجها لسيارته، لكنه توقف بسرعة واختبئ خلف التلاجة بمدخل المحل، عندما رأى الشرطة مع نفس أفراد ذلك الفصيل من قوات حفظ السلام تحيط بسيارته التي كانت تثير الشبهات لأثار طلق النار عليها، لذلك مر عيسى على قرابة منهم وهو يعرج مطأطأ رأسه وشعره الطويل يغطي وجهه، وأشر لسيارة أجرة وركب، وقال للسائق: "من فضلك، غابة السعديين."

وبينما كانت الشرطة تفحص السيارة، ظهر القائد وهو رجل في بداية الأربعينات، لون اعينه خضراء، وبشرته بيضاء وملساء، كان ولا زال يرتدي قبعة شتوية سوداء، لدرجة أن الناس نسوا كيف يبدو بدونها.

نظر القائد لمحطة الإستراحة، ثم قرر الذهاب إليها بمفرده. عندما دخل لها بدأ ينظر حوله بدقة ومسدسه في يده كعادته، إلى أن وصل إلى المرحاض، ولاحظ وجود دماء على الأرضية تبدأ من احد تلك المخادع، لذا توجه نحوه بسرعة وصوب بمسدسه نحو المرحاض، وفتحه لكنه لم يجد أحدا، سوى دماء عيسى والفوطة وبعض الأقمشة والمعدات الطبية التي كان يستخدمها، اغلق القائد باب المرحاض غاضبا وبقوة، وغادر المكان، وتوجه نحو فصيله وقال لهم: "لقد إختفى."

رد عليه ذلك الجندي الذي كان يحمل صديقه قبل مدة: "ومالعمل؟"

القائد: "أنا أعرف هويته، لذا سوف أذهب لوكر عائلته."

ركب القائد وفرقة سيارتهم وتركوا الشرطة تكمل عملها.

بينما انطلقت سيارة الأجرة بعيسى. وعندما وصلوا لطريق فارغ أخرج عيسى مسدسه وهدد السائق العجوز قائلاً: "توقف على الجانب الطريق، لا أريد أذيتك."

خاف السائق على حياته لذا أوقف السيارة وقبل أن يخرج أخرج عيسى المال الذي معه وبطاقة عمل وقال له: "خذ هذا المال، والبطاقة خذها للشركة بالعنوان الموجود بها وقل لهم ارسلني عيسى إليكم، وسوف اتأكد بنفسى فما بعد انك اخذت تعويض."

لكن العجوز خرج من السيارة وقال: "أنا لا أنتظر شابا في حالة يرثى لها يرينى ماذا أفعل، فلتنذهب انت وشركتك للجحيم."

غادر السائق العجوز غاضبا، وجلس عيسى على كرسي القيادة، وامسك الورقة ووضعها على مقدمة السيارة وانطلق مسرعا، ولكن قبل ذهابه لمكان عمر وولده، ذهب لأحد مستودعات عائلته، لإحضار بعض المعدات اللازمة لتنفيذ إنتقامه.

لذلك ذهب إليه، وعندما وصل له، خرج من السيارة وتوجه نحو باب المستودع بخطوات حذرة وسلاحه بيده. فتح باب المستودع المظلم، وظل يمشى، وصوت خطواته في هذا المكان الخالي يتردد صداها بوضوح، كل نقرة على الأرض الصلبة تولد صدى يتلاشى ببطء في المستودع الضخم، بدأ يلتف حوله وهو ينادي "أي أحد هنا!".

لكن لا استجابة، فقط صوته يتردد فالمكان كما خطوات أقدامه، وبينما كان يتقدم شيئا فشيئا، وبسرعة فائقة وضع أحدهم فأس على رقبته وأسقطه أرضا بقوة، أطلق عيسى طلقة في السقف، وحدث ثقباً فيه تسللت منه أشعة الشمس الساطعة، حول ذلك الشخص المخفي في ظلمة المكان ضرب عيسى بالفأس، لكن عيسى، وبحركة سريعة تراجع يديه ووقف بصعوبة ثم صوب بمسدسه أمامه بسرعة وبدأ يهدد من أسقطه بصوت قوي: "هي! من انت؟ اجبني!"

بدأت خطوات اقدام ذلك الشخص تتباطئ وتقترب لعيسى شيئا فشيئا، إلى أن إشتغلت انوار المكان وظهر أمام عيسى، رجل في حالة يرثى لها، شعره مجعد أسود طويل ومتسخ، ولحيته سوداء كثيفة، نحيف البنية ومتوسط الطول. إقترب لعيسى وقال له مبتسما وهو يحك رأسه: "مابك يارجل! لقد أخفتني، ظننتك انك أحد أولئك الأشخاص الذين يهربون من العدالة، نسيت إسمهم."

أنزل عيسى مسدسه متفاجأ وإقترب لذلك الرجل وعانقه وهو يضحك ويقول: "حسام، إنه انت، ظننت أنك مت يارجل." رد عليه حسام: "لا، لكن بعد اخر مرة عندما قمت بذلك الخطأ، ارسلني عمي يعقوب هنا لحراسة المكان."

ابتعد عيسى من حسام وأمسكه من ذراعيه وقال له مبتسما: "لقد تغيرت يارجل، كم مر على اخر لقاء بيننا؟ خمس أو سبع سنين؟"

حسام: "لا بل، ثماني سنوات وخمس اشهر وثلاث ايام، وستة عشر ساعة."

إبتسم عيسى، لكنه في الداخل كان يشفق ويعطف على حسام، الذي بدوره لاحظ ذلك من حدة ذكائه لذا غير الموضوع ودعى عيسى لداخل المستودع لضيفاته وتبادل أطراف الحديث معه. وبالفعل دخل الإثنين لغرفة كانت بأخر المستودع، غرفة بالية، بها فراش مهترئ على الأرض، وامامه تلفاز صغير، وبمنتصف الغرفة الصغيرة، طاولة طعام عليها زجاجة مشروب غازي وقربه كأس زجاجي قديم، جلس الإثنين على الطاولة وسكب حسام كوب من المشروب في الكأس وقدمه لعيسى، لكنه رفضه مبتسما وقال له: "لا اريد شكرا."

ولم يكن حسام بالعنيد، اخذ الكاس وشربه دفعة واحدة وقال لعيسى: "هذا المشروب مايجعلني استحمل هذا المكان."

أقترب عيسى بالكرسي وقال لحسام بنبرة مستغربة: "ولكن لماذا قبلت ان تأتي لهذا وتضيع ثماني سنوات من حياتك؟"

رد عليه حسام مبتسما: "لأنني أريد أن أجعل سيدي راضيا عني، وبالخصوص بعد ذلك الحادث، لذا لا تشغل بالك بي، واخبرني أنت، مالذي تفعله هنا، في مستودع بأخر المدينة؟"

تنهد عيسى وقال: "إنه موضوع طويل."

حسام: "لدينا الوقت كله."

إبتسم عيسى إبتسامة خفيفة وقال: "نعم... حسنا أين أبداً."

وبدأ عيسى يحكي لحسام سبب وجوده هنا من الألف للياء.

عندما إنتهى، امئ حسام برأسه وربط شعره الى الخلف، ووقف وقال: "إذن انت هنا لأخذ الأسلحة؟"

رد عيسى: "نعم."

شغل حسام التلفاز وصادف برنامجا إخباريا عن حادثة إحدى عشر سبتمبر التي وقعت قبل أكثر من اسبوع، إلتفت لعيسى وسأله: "هل تظنها من فعل أولئك المفجرين، او كما يسميهم بعض الناس المطهرين، أو ذلك التنظيم حسب ادعائهم؟"

رد عليه عيسى بنبرة غير مبالية: "ليست لدي أدنى فكرة يا صاح بما يحصل."

رد عليه حسام وهو يغير قميصه: "أنا أظن أنهم أولئك المطهرون، وقد عادو مجددا ولكن هذه المرة لفرد سيطرتهم على العالم."

أزال حسام قميصه ليظهر جسده الضعيف، وارتدى قميصا اخر وأكمل كلامه: "فقبل أسبوع من الآن أو أقل حتى، انا لا أذكر جيدا، مرة خمسة عشر سنة، على ميثاق الرياض، والقوانين السامية، ولكن لم يتم تطهير الأرض بنسبة كاملة، لأن التصاريح تقول أن أكثر من أربعين ألف مطلوب لم يتم تطهيرهم بعد، لذا يبدو أنهم عادوا لإكمال ما بدأوه، ومرة واحدة فرض سيطرتهم وبشكل دائم."

إلتفت حسام لعيسى وأضاف على كلامه وهو يحمل قميصه القديم: "لذلك الولايات المتحدة الامريكيه، نسبت الهجوم لتلك المنظمة، لكي لا يتم إحياء موضوع المطهرين مرة أخرى بين الناس."

اقترب حسام نحو عيسى واكمل طريقه وقال: "هيا إتبعني."

وقف عيسى من مكانه ولحق بحسام، الذي اخذه لمخزن أسلحة العائلة، مكان حيث يوجد اي سلاح يخطر على بالك، اقترب حسام لفذيفة دبابة وأمسكها وقال: "هل تريد واحدة منها؟"

أبتسم عيسى وقال مستهزأ: "أنها صغيرة، رأس نووي سيفي بالغرض."

وضع حسام الفذيفة مكانها وقال وهو يحك شعره وينظر حوله: "حسنا، لا أظن أنه من المسموح إدخال الأسلحة النووية، لهذه البقعة الجغرافية."

وضع عيسى يده على كتف حسام وهو يضحك: "لا زلت كما أنت، لا تفرق بين المرح والجد، والان دعنى أرى أفضل أسلحة لديك."

بدأ حسام بخرج بعض المسدسات والأسلحة الثقيلة، والقناصة، وقنابل، ودرع، ثم وضعها على طاولة بمنتصف المخزن وقال لعيسى: "هل تكفي؟"

نظر إليها عيسى متعجبا: "لجيش كامل نعم." امسك عيسى سلاحا ثقيلًا به منظار، وبعض القنابل ودرع، وقال: "هذه تكفيني."

إستدار حسام وأخرج حقيبة، ووضعها على الطاولة، ووضع عيسى أسلحته بها واغلقها وقال لحسام: "هل لديكم هنا سيارة، او شاحنة أو أي مركبة بعجلات؟"

إستدار حسام مرة أخرى، وفتح صندوق خشبي معلق على الحائط واخرج منه عدة مفاتيح ووضعها على الطاولة وقال وهو ينظر إليها، ويأشر على كل واحد منها وما يشغل: "هذه سيارة رباعية الدفع، وهذه شاحنة بدون خلفية، وهذه دراجة نارية، و آخر واحدة، سيارة رياضية."

رد عيسى عليه متسائلا: "كل هذه المركبات، ولا تخرج؟"

رد حسام مطأطأ رأسه: "العمل هو العمل."

اقترب عيسى لحسام وقال له: "تبا للعمل، وتبا لوالدي، خذ سيارة وسوف أعطيك المال، وتستطيع الخروج والعيش كما تريد، هيا!"

حسام بنبرة متقطعة: "انا... انا... أفضل الحياة هنا... لا صراعات... لا ضجيج... لا جثث مرمية او معلقة في الشارع... فقط انا وتلفازي... ومشروبي الغازي، الذي أنتهى وعلي الخروج مجددا لإشترائه."

ظل عيسى ينظر إليه بشفقة، لكن حسام سأله: "هل إخترت؟"

اخذ عيسى اول مفتاح، لسيارة رباعية الدفع، وقال لحسام وهو يحمل الحقيبة التي بها أسلحته: "أشكرك جدا، يا صديقي العزيز، ومن الآن سوف أتي لزيارتك كل أسبوع، لذا إشتري كأسا جديدا لي حسنا؟"

اقترب حسام له وعانقه بشدة وقال له: "شكرا... يا صديقي."

خرج عيسى وحسام من المخزن، ووقف حسام، في مدخل الغرفة وودع عيسى، وبدأ يمشي في حال سبيله، إلى أن نادى عليه حسام وقال له: "مهلا!!"

التفت عيسى له، وعاد وقال له: "ماذا هل غيرت رأيك؟"

رد حسام: "لا بل الأخبار."

والخبر كان، حكام دول العالم، نظموا اجتماعا، بخصوص خطاب رئيس جنوب إفريقيا، حيث تمت مناقشته دون تغطية صحفية، وليخرج الآن، ملك إسبانيا ويعلن عن تخصيصه، هو وباقي رؤساء دول العالم تباعا، طائرة واحدة فقط أو إثنان ستخصص لأولئك المطلوبين وسوف ترسلهم مباشرة إلى جنوب أفريقيا، دون أي عراقيل منهم، وكل رئيس سوف يعلن عن المطار الذي سيخصص في دولته لهذه العملية، في الساعات القادمة.

إلتفت حسام لعيسى ليسأله عن رأيه، لكن عيسى إختفى. ليظهر من خارج المستودع ومعه سيارة التي أخذها من حسام، منطلقا بها بأقصى سرعتها.

ومن داخل المبنى حيث يوجد عمر، يقف الجميع في غرفة حول التلفاز، يستمعون للخبر بدهشة بعد أن أطلعهم آدم بشأنه.

ومن المقهى، يشاهد عبد العزيز الخبر وقربه شخص ما، وقال له: "إقتربت نهاية كل شيء إذن."

6: أب محب

-1998، جنوب ليبيا-

في سهب قاحل وفي ظهر ذلك اليوم الحار، يوجد معقل أحد الجماعات الإرهابية كانت قد إنسحبت من الشمال هنا للجنوب بعد حملة القصف والإغتيالات العنيفة التي شنّها توماس شتوفر قبل سنوات ثارا لوالده أثناء الحرب التي أصبحت تلقب ب"حرب المكانة."

وبأحد الأشجار القليلة الصامدة بذلك السهب، قامت تلك الجماعة بخطف وربط عمر بتلك الشجرة وتركته هناك في حالة مزرية لأيام بدون طعام أو ماء، وعلى جانبه، رجل كبير في السن أصلع ولحيته بيضاء طويلة وحريرية، هو الآخر مثل عمر، مربوط على أحد أذرع تلك الأشجار الهزيلة، ويبدو عليه الإرهاق والتعب أكثر من عمر، وهذا امر عادي فهو أكبر عمرا منه، وجهه الشاحب يظهر مدى معاناة هذا الرجل، والذي كان ينصت لكلام عمر المشجع حيث كان يقول له بصوت عالي كي لا يفقد وعيه: "استحمل يا حكمت، هيا إستحمل ولا تستسلم يا معلمي، لا تفقد وعيك أرجوك..." لكن العجوز لم يكن بصحة جيدة لكي يركز مع كلام عمر، وإكتفى فقط بإنزال رأسه والنظر للأرض القاحلة بكل برود وتعب.

ثم تشكلت إبتسامة خفيفة على وجهه، لاحظها عمر وقال له وهو يحاول فك الحبل من جسده: "نعم إبتسم، إبتسم فسوف ننجو ونضحك على

هذه اللحظات، أليس كذلك؟ أنت من كنت تقول لي هذا الكلام هيا كن قويا!"

إقترب نحوهم أحد أفراد تلك الجماعة بسلاحه وتظهر على وجهه ملامح الإنزعاج والحقد، ثم وضع فوهة سلاحه على رأس العجوز وقال مخاطبا عمر: "هل هذه الجثة الهزيلة هيا من كنت تفقع طبللة أذاننا من أجلها؟"

نظر الرجل مبتسما للعجوز وقال متهكما عليه: "هيا أيتها الجثة أنطق أخر كلماتك!"

رفع العجوز رأسه ببطء وقال وهو ينظر للسماء مبتسما: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله."

غضب ذلك الإرهابي المتطرف وامسك بسلاحه بقوة وقال للعجوز غاضبا: "مت أيها العبد الضعيف."

العجوز: "يارب اغفر لي."

صرخ عمر بكل قوته: "لااااااااا توقف!!!"

لكن لا الكلام ولا الصراخ يوقظ شخص يملئ قلبه الحقد تجاه الدين. أطلق الإرهابي رصاصة على رأس ذلك العجوز وأرداه قتيلا أمام أعين عمر، التي بدأت تذرف الدموع لا إراديا.

-الحاضر-

بعد غروب الشمس، قائد الفصيل 21 لوحده هذه المرة بعد أن أرسل الفصيل لإقامة جنازة للجندي المقتول. وصل لمنزل عائلة أوزغار، بحثا عن عيسى اوزغار، الإبن الأصغر ليعقوب اوزغار، وطرق الباب بقوة، إلى أن فتح له البستاني باب المنزل، ونظر له مستغربا: "كيف لنا أن نساعدك؟"

رد القائد بخشونة: "هل هو هنا؟"

رد البستاني بأستغراب: "من تقصد ياسيدي؟"

أجاب القائد: "عيسى اوزغار، هو الآن ملاحق من طرف قوات حفظ السلام بسبب قتله لأحد أفرادنا."

تنهد البستاني خائب الظن وقال: "أخشى أنك اتعبت نفسك بالقدوم إلى هنا، عيسى لم يعد منذ رحليه صباح اليوم ياسيدي."

القائد: "هل تأذن لي بالدخول والبحث؟"

رد البستاني ببرودة: "أخشى انني لا أستطيع فعل ذلك ياسيدي."

صدر صوت يعقوب من الداخل قائلا: "دعه يدخل."

التفت البستاني للدخل، وتكلم مع يعقوب، ثم فتح الباب واستقبله بانحناءة خفيفة قائلا: "تفضل بالدخول."

دخل القائد للمنزل بعجلة من أمره وتوجه نحو ردهة المنزل، حيث يجلس يعقوب على طاولة العشاء، يطعم زوجته العمياء بالملعقة بروية، التفت له وقال مبتسما: "تفضل إبحث."

تبادل القائد نظرات باردة مع يعقوب، لكنه غير رأيه وغادر.

التفت القائد ليعقوب ومجددا: "أسف على الإزعاج سيد أوزغار."

أما يعقوب برأسه مبتسما إبتسامة خفيفة، ويطعم زوجته في نفس الوقت. رحل القائد واغلق البستاني الباب عليه. ورن هاتف القائد مباشرة

بعد خروجه.

أكمل يعقوب إطعام زوجته التي أوقفته بيدها الهزيلة وسألته: "من ذلك الرجل؟"

يعقوب بحنية: "لا تشغلي بالك به، هيا اكلمي طعامك لتشربي دوائك، ثم تنامين، حسنا؟"

ردة زوجته بحزن: "يعقوب؟"

يعقوب: "نعم يا زهرة؟"

زهرة: "ظننت للوهلة الأولى أنهم أطفالنا، عمران ويوسف وعيسى وحتى ملك، لقد إشتقت إليهم، هل سوف تخرج ملك من المستشفى قريباً؟ أمل أن تخرج قبل خروج يوسف من السجن."

غادر البستاني وصعد للأعلى تركا يعقوب يواجه كلام زوجته الجارح، وقال وهو يحاول جمع شتات نفسه: "سوف تخرج قريباً، وسوف نجتمع كلنا مرة أخرى، والأنا آخر لقمة، افتحي فمك."

أكملت زهرة العشاء مع زوجها، ثم نادى على الخادمة التي تعنتت بزهرة وغادر إلى مكتبه، حيث كان ينتظره هناك البستاني، يتابع ذلك الخبر العاجل الذي هز أركان العالم.

فتح يعقوب الباب وذهب لمكتبه مباشرة، مخاطباً البستاني: "أرى أنك إلتصقت بالتلفاز، ما الأمر يا جميل؟"

رفع البستاني جميل صوت التلفاز، والتفت ليعقوب قائلاً: "أعلنت كل الدول الموقعة على ميثاق الرياض منحها طائرة للمنبوزين، ما رأيك بهذا الخبر؟"

إرتدى يعقوب نظاراته الطبية، وقال وهو يتابع الأخبار: "بيدو أنهم يريدون التخلص منهم، خمسة عشر سنة من المطاردة أنهكتهم. لذا قدم لهم رئيس جنوب إفريقيا الحل على طبق من ذهب."

اقترب البستاني جميل، ليعقوب وجلس على مقعد مقابل له وقال له متسائلاً: "بحقك هل تظن حقا أن خمسة عشر سنة لم تكن بالمدة الكافية لطرح مئة ألف منبوز أراضاً؟"

رد يعقوب متهمكاً: "بطبع لا، إن مالداهم الآن من أسلحة وأجهزة استخباراتية، لن تستعصي عليهم تحديد مكان بقية المطلوبين."

يعقوب: "لكن أظن انهم يماطلون، ففوات حفظ السلام وكما أخبرني محمد، أنهم يعدلون على اللائحة، يزيلون كبار الشخصيات ويضعون مكانهم أشخاصاً بريئين وعندما ينتهون سيبدأون مجدداً ويقتحمون تلك الأحياء المليئة بهم."

رد البستاني: "الموضوع، موضوع قوة وسلطة ولا سلام كما يدعون."

يعقوب: "بالضبط، الناس فرحوا فرحاً جما لأن سيرغي كوزيتسوف أغتيل قبيل إعدامه، لكن مالا يعرفونه، أن سبب إعدامه من الأساس ليس بسبب جرائمه، فلو كان ذلك هو السبب حقا، لسجن أغلب رؤساء العالم ومن معهم. إذن فالسبب وبكل بساطة، أنه تصادف مع حملة الانفجارات تلك، وكان في حالة ضعف والكل أصبح ضده فجأة عندما سجن، غير ذلك، لكان الآن في قصره الفسيح. لذلك بدأت حملة تزوير تلك، لخوف كبار الشخصيات على سلطتهم، لكن، لا أحد يستطيع إثبات هذه الجريمة."

وهم في خضم حديثهم الدسم، رن هاتف يعقوب الخطي، أمسك يعقوب سماعة الهاتف، وقال له حسام بصوت مرتفع: "سيدي يعقوب!"

رد يعقوب مستغرباً: "ماذا هنالك يا حسام؟"

رد حسام: "عيسى كان هنا."

نظر يعقوب للبستاني ورفع حاجبيه وهو ينظر للتلفاز، أطفئ البستاني التلفاز فوراً، ورد يعقوب على حسام: "هل اخذ الأسلحة؟"

حسام: "نعم ياسيدي."

يعقوب: "هل أخبرك إلى أين هو ذاهب؟"

حسام: "لا، لكنه أخبرني عن السبب."

يعقوب: "حسناً إذن... حسام؟"

حسام: "امرك سيدي!؟"

يعقوب: "انت تعلم انه بإمكانك أخذ ذلك المال والخروج من هناك متى ما أردت؟"

حسام: "أعلم ياسيدي، لكنني أفضل البقاء هنا."

يعقوب: "حسام؟"

حسام: "سيدي؟"

رد يعقوب بنبرة منخفضة: "أنا أسف."

سكت حسام ولم يجب سيده، ثم اعاد يعقوب السماعه مكانها وتنهد حزناً، وقال: "إنه حسام، أخبرني ان عيسى اخذ الأسلحة من المخزن ورحل ليكمل إنتقامه."

سأل البستاني يعقوب: "وهل ستتركه يواجه ذلك لوحده؟"

يعقوب: "نعم."

البستاني: "هل أستطيع على الأقل الذهاب وإعادته؟"

وقف يعقوب وتوجه نحو باب الغرفة وقبل ان يفتحه إلتفت للبستاني جميل وقال له: "إفعل ماتشاء يا جميل، انا لم افرض عليك يوماً القيام بأي شيء لأجلي أو لأجل اولادي."

ثم غادر يعقوب مكتبه.

من داخل المبنى حيث يعيش محمد(عمش) واتباعه، نرى عمر الآن يقف بين رجال والده يشاهدون ذلك الخبر الذي اعتبره عمر حينها فرصة لا يجب ان تهدر ليحقق وصية والدته، لذا خرج من الغرفة بسرعة، ولحق به أدم، وأمسكه من ذراعه وقال له: "إذا وضعت يدك عليه مرة أخرى سوف اقطعها، هل سمعت؟"

أزال عمر يده وقال له: "وإذا فعلت ما شأنك بنا يا هذا؟"

إقترب ادم إليه، وأمسكه من قميصه ليفعل عمر المثل، وبدأ الإثنين بتبادل نظرات كره و غضب، وقبل ان يبدأ بينهم شجار مرة أخرى، اقترب حازم نحوهم وأبعدهم وقال للثنين بكل جدية: "هل تمزحان معي؟ هل تظنان أن هذا وقت المناسب لهذه الشجارات الصبيانية التافهة؟"

إبتعد عمر عنهم وصعد نحو والده بسرعة، حاول أدم ملاحقته لكن حازم منعه وقال له: "أنت تعال معي." امسك حازم ادم من ذراعه بقوة واخذه لغرفة حيث التقى عمر والده سابقاً، اغلق حازم الباب وقال لأدم وبقية من في الغرفة: "انت إبقى هنا ودع الشاب يحاول اقناع والده

في ضرورة رحيله، ونحن هنا سوف نجهز أنفسنا فالدعوة عيسى نسبة قدمه مع قوات حفظ السلام عالية، لذا علينا تجهيز أنفسنا لحمايته منهم، فطالما ضحى قائدنا بالغالي والنفيس في سبيل حمايتنا، لذلك علينا رد الدين وحمايته، مفهوم؟"

وافق الكل بحماس، وبدأوا بالاستعداد لما هو قادم.

ومن الطابق فوقهم، يبحث عمر عن والده ويفتح كل باب أمامه لإيجاده

التحق به حازم وقال له وهو ينظر لباب يقع في بنهاية الممر: "إنه هناك في جحره غارق في همومه لوحده."

توجه عمر نحو الباب وأضاف حازم على كلامه وهو يقف إلى جانب درج: "لقد عانى بما يكفي بخصوص والدتك! منذ ترحيله لك لحمايتك، ومنذ مغادرته منزله وترك زوجته خلفه، تغير محمد كثيرا لم يعد الشخص الذي كنت أعرفه، كان يشتغل دون كلل او ملل طوال تلك المدة لكي ينفذ أكبر عدد من الناس ولكي يشغل نفسه لأطول مدة زمنية ممكنة. كان يراقبك على الدوام أنت والدتك، وعندما إختفى أترك بعد ذلك الحادث، جن جنون الرجل، وفعل المستحيل لإيجادك إلى أن مرض مرضا شديدا يفنك يوما بعد يوم، وهذا سبب كلامي معك الآن. أفتع محمد، أفتع ان يذهب معك، لا أريد أن أرى صديقي وأخي العزيز وقائدي في حالة ضعف بعد اليوم."

إلتفت عمر لحازم ورمقه بنظرات باردة وأوما لحازم وفتح ذلك الباب ببطء.

دخل عمر بهدوء، ليرى والده يجلس خلف مكتبه، وملامح والحزن تبدو على وجهه الشاحب المليء بالتجاعيد الناتجة عن كل ماواجهه في حياته من صعاب ومأسي متتالية ولحيته الكثيفة التي كانت اخر همه.

أغلق عمر الباب واقترب نحو والده، وجلس في كرسي مقابل له وقال له بنبرة هادئة تميل للحزن: "طالما كانت تحاول التكلم بشأننا أنا وأنت، لكنها كانت تغير الموضوع في نفس اللحظة، خوفا من أن اغضب وأتركها لوحدها مجددا... لكنني ماكنت لأفعل ذلك أبدا لم أفرقها ولا ليوم واحد، في سبيل الشعور براحة البال لبعض الشيء... لكن... ذلك لم يكن مجددا، اراها كل يوم وحالتها تتدهور شيئا فشيئا أمام عيني إلى آخر ليلة لي معها ولم استطع فعل شيء سوى مشاهدتها..."

تكلم محمد وقال وهو ينظر لصورة تجمع مع زوجته وعمر وهو صغير: "لقد أخبرني جميل أنك رحلت بعد ذلك الحادث ولم تتلفت ورائك أبدا، كدت أن أنجن حينها مع اشغال العمل المتراكمة علي، لكن بعد ذلك أدركت أنك أصبحت رجلا كبيرا، رجلا تربي على يد رجل صالح، الشيخ حكمت، إعتنى بك وعلمك طوال تلك المدة إلى ان توفاه الله ذلك اليوم."

إبتسم محمد واخرج من درج مكتبه صورة واعطاها لعمر، كانت صورة لمحمد مع حكمت.

وقال محمد: "سبحان الله كان الخيار الأنسب لك، رجل صالح عاش من السنين وخاض التجارب والصعاب ماتخوله لتربية جيل صاعد، ونعم رجل بحق... أتذكر بالضبط اليوم حين إلتقيته وخلفه ذلك الطفل، يعيشان لوحدهما في العراء وفي ذلك البرد القاسي، إصطحبتهما معي إلى هنا، أخبرني بعدها أنه كان إمام مسجد ولكنه أصبح هاربا من قوات حفظ السلام لسبب رفض إخباري به. وهو الآن يحمل على عاتقه حماية ذلك الطفل الصغير، لذا عقدت معه صفقة، أن يتكلف بحمايتك ويعتني بك لأجل غير مسمى، وانا سوف أعتني بذلك الطفل. أذكر انه وافق مباشرة لأنه كان يبحث عن الفرصة للهرب من البلاد لأنها تذكره بماضيه الحزين، و انتمنتته عليك كما انتمن علي الطفل، الطفل هو آدم بالمناسبة، (إبتسم دون إظهار اسنانه) الشاب الذي لم تكف عن الشجار معه منذ وصولك إلى هنا."

رد عمر بنبرة مكتومة وهو ينظر للصورة: "لقد أخبرني عن سبب هروبه... لقد قتل أحد المتشردين، وجده ذات يوم يضرب ابنه بقوة وكاد أن يقتله، لذا لم يتمالك نفسه واحد صخرة من الارض وضربه على رأسه و... لذا كان دائما طوال رحلتنا يصلي ويدعو الله ليغفر له ذنبه (رفع عينيه) وإن شاء الله ذنبه مغفور."

بدأ محمد يذرف الدموع فجأة وهو يقول: "إن شاء الله."

لاحظ عمر دموع والده وقال له مستغريا: "مابك تبيكي؟"

رد محمد وهو يبكي بحسرة: "على من أضحك بكلامي؟! تركتك تواجه أنت وحكمت الموت لوحكما، رجل عجوز لا حول ولا قوة له، وشاب في مقتبل العمر لا يفقه في الحياة شيئا، يواجهان أصعب التحديات هناك، وانا هنا بين رجالي في حصن أمن، تاركا طفلي يواجه

الحياة وتاركا زوجتي تواجه المرض لوحدها، فما فائدتي هنا إذا لم اكن إلى جانب كل واحد منكما، افسدت عائلتي وكل شيء."

طأطأ عمر وجهه من الحزن وقال: "ذلك اليوم، كان اول يوم أرى فيه شخصا يموت امامي واول واخر مرة ازهق أرواحا بيدي، بدون رحمة إنتقاما لمعلمي وسندي بتلك الرحلة عديمة الرحمة. يومها أيضا فهمت درسا مهما، درسا أخبرني الشيخ حكمت عنه لسنوات، درس أخبرني أنني سوف افهمه عاجلا أم أجلا، وهو، أن الحياة محايدة ولا ترحم."

-1998، جنوب ليبيا-

أظلمت سماء ذلك اليوم الكئيب، كما أظلمت الدنيا على أعين عمر. عمر الذي بقي على ذلك الحال طيلة اليوم، وجهه شاحب عديم المشاعر والملاح من الصدمة التي تلقاها أمامه، موت سنده ورفيق دريه طوال الست سنوات معه، معلمه، الشيخ حكمت، الذي علمه الدروس وكيف يعيش وعلمه، دينه، طوال تلك السنين، وجعل حكمت من عمر، رجل واعيا يفكر بالمنطق ولا يتسرع، قليل الكلام وكثير التحليل والفهم، لكن كل ذلك تغير عندما ظهر نور سيارة قوي من بعيد يقترب شيئا فشيئا، إلى ان لاحظ احد افراد تلك الجماعة وبدأ يطلق النار عليه بشكل عشوائي وهو يأمره بالتوقف، لكن دون فائدة، السيارة اكملت طريقها وقامت بدهس ذلك الإرهابي وخرج منها العديد من الأشخاص بأسلحتهم وكشافاتهم الضوئية.

بدأوا بسرعة بإطلاق النار على جميع افراد تلك الجماعة بينما توجه احدهم وهو نفسه البستاني جميل، نحو عمر الذي كان ينظر لجثة حكمت والذباب يحوم حولها، إستعاد البستاني بالله من ذلك المنظر البشع وأطلق سراح عمر بسرعة، وامره بالذهاب للسيارة، لكن عمر بسرعة، سرق مسدسا كان يضعه جميل على خصره، وركض بأقصى سرعته نحو خيمة تلك الجماعة، من أجل شخص واحد لا غير، قاتل حكمت، بدأ عمر يطلق النار بتهور على تلك الخيمة الكبيرة، وخلفه جميل يحاول تهدئته لكن عمر إزداد غضبا عندما رأى هدفه يهرب لداخل الخيمة.

الشيء الذي جعل عمر يقوم بأكثر حركة متهورة هدمت كل ماعلمه إياه حكمت. قام عمر بالركض نحو الخيمة وخلفه فرقة جميل تطلق النار لحمايته. ثم دخل لتلك الخيمة وبدأ يطلق النار عشوانيا على كل من هناك، صغيرهم وكبيرهم، لم يهتم ظل يقتل ويقتل إلى أن دخلت الفرقة بسرعة نحو الخيمة لتجد عمر قام بقتل كل شخص موجود بتلك الخيمة، إلى شخصا واحدا، الشخص الذي قتل معلمه، ليتفرغ إليه، يجلس في ركن الخيمة متوسلا عمر أن لا يقتله، يتسول من أجل حياته، فهو لا زال شابا صغيرا مثل عمر لا يفرق بين الصبح والغلط وعندما يعمي الغضب بصيرته فهو لن يعي بأس ما فعله مثل عمر القادم نحوه، همه الوحيد هو قتله بأبشع طريقة دون تفكير في النتائج.

سحبه عمر من قميصه المهترئ، ورماه خارجا، وأخذ صخرة من على الارض، وحملها بكل قوته، وضرب ذلك الشاب على رأسه مرة تلو الأخرى حول أنظار جميع من كان هناك إلى أن فجر عمر رأسه بالصخرة، ورغم ذلك واصل سحق رأسه وهو يبكي بحرقة ويصرخ بكل بحزن، حتى أسقط الصخرة، ورمي مسدسه بعيدا وذهب نحو جثة حكمت، وأغلق عينها بيديه وفك وثاقه، وأخذ يحفر قبرا لجثمانه بصخرة حادة وجدها قربه، اقترب جميل بمجرفة وقال له: "دعني اكمل عنك ياقتي". لكن عمر لم يكثر له وأكمل حفر القبر بنفسه دون مساعدة من أحد.

حل فجر ذلك اليوم، وتوضأ عمر بماء بئر كانت قرب الخيمة، وصلى الفجر ثم صلاة الجنازة على جثمان حكمت مع جميل ورجاله، وعندما انتهوا دفن عمر حكمت، ورحل بعيدا دون أن يوقفه جميل واكتفى بالنظر إليه والقول: "صاحبك السلامة يابني."

-الحاضر-

مسح عمر دموعه وأعاد الصورة لمحمد، لكنه أخبره أن يحتفظ بها، ثم قام عمر بطيها ووضعها داخل سترته. وقال له والده فجأة: "أنا أترك والدتك خوفا على حياتي..."

رفع عمر وجهه ونظر لوالده، وأكمل محمد كلامه: "سبب تركها هو ما أفعله حاليا."

محمد: "سنة 1987 ثم تأسيس جماعة مسلحة مناهضة لحكومة حفظ السلام، أسسها شخص غامض لا يعرف بإسم لذا كل واحد يلقبه بإسم ما. بعد حرب المكانة، جعلني نائبا عنه إلى أجل غير مسمى، وعندما أخبرته عن السبب، قال بالحرف...

"سوف أجد أصل كل هذا."

ورحل ولم يعد إلى يومنا هذا، أصبحت المسؤول عن ادارة هذه المنظمة بإسم عمش، لكن الجماعة تضررت بشكل كبير بعد الحرب، لذا قررنا العودة خطوتين للخلف والاكتفاء بتحرير السجناء المظلومين وحماية المظلومين بصفة عامة."

قاطع عمر وسأله: "من هم هؤلاء المظلومين؟"

محمد: "تلك اللانحة بعد الحرب تعرضت لتحريف كبير، حيث تمت إزالة أسماء كثيرة واستبدالها بأسماء عشوائية لا ذنب لهم، لذا نحن نقوم بإنقاذ مانستطيع من أولئك الأشخاص الذين تمت إضافة أسمائهم للانحة، لتستر عن المذنبين الحقيقيين."

تنهد محمد وأضاف على كلامه: "للحظات أظن أنه فقط هرب وخلف ورائه جماعة لازالت إلى اليوم متأثرة بالحرب... لكنني سوف اكمل فقط."

طرق أحدهم باب المكتب، ونادى عليه محمد بالدخول، ليدخل رجلان الباب، وأقبل الباب خلفها وقال احدهم لمحمد: "أيها الزعيم، ذهبنا للمنزل كما امرتنا لكننا لم نستطع الدخول."

رد عليهم محمد: "ولما؟"

رد ذلك الشخص: "لأنه محاط بقوات حفظ السلام، كما أن المنزل مليء بأثار الرصاص، وهذا إن دل على شيء دل على ان إبنك قد يكون على حق وعيسى في طريقه إلى هنا، او ماهو أسوأ، أن قوات حفظ السلام هيا من وجدت تلك الرسالة."

وقف عمر بسرعة وضرب على سطح المكتب بقوة وهو ينظر لوالده وقال له: "علينا الرحيل من هنا في الحال!"

دخل حازم للمكتب، وقال: "لقد جهزنا كل شيء، محمد علينا إخلانك الآن قبل تفاقم الأمور هنا."

وقف محمد وحاول مرة أخرى الرفض لكن عمر سبقه وقال له وهو يتبادل النظرات معه: "قلت قبل قليل أنك أفسدت كل شيء أليس كذلك؟ حسنا! هذه الآن فرصتك لإصلاح ماأفسدت، حقق وصية زوجتك وهيا بنا نرحل من هنا." إقترب حازم نحوهم وقام بسحب محمد بروية وخلفهم عمر يراقب الأوضاع من نافذة المكتب.

من خارج المبنى، والذي يوجد بأحد الأحياء التي يقطن بها المذنبون، أحياء تبدو من النظرة أولى انها شبه خالية، إلى ان تعداد سكانها في كل بقاع العالم يتعدى الخمسين ألف نسمة، ما يجعلها أيضا مناطق خطيرة وصعبة الولوج من طرف قوات حفظ السلام برا خوفا من نشوب حرب عصابات كبيرة وإتساع رقعتها لحرب شاملة أخرى، لذا تكتفي حاليا بمحاصرة الأحياء بشكل غير مباشر خوفا من إدانة الأمم المتحدة هذا الفعل كجريمة في حق الإنسانية نظرا لتواجد الأطفال والمدنيين بتلك الأحياء.

خرج محمد وحازم، وعمر من خلفهم يراقب بتخوف، أمام صف من خمس سيارات سوداء كاتمة مع العديد من الرجال المسلحين، يقفون بكل شموخ أمام قائدهم، قائدهم الذي ضحى بحياته وصحته من أجل إنقاذهم وحان الان وقت رد الدين.

توقف محمد امام ذلك المنظر المهيب أمامه، ولم يتمالك نفسه إلى ان بدأ ذرف الدموع مبتسما، دموع فخر لرؤيته لكل هؤلاء الرجال يقفون أمامه في سبيل حمايته، إقترب حازم لعمر من خلف محمد وأمسكه من كتفه وقال له: "إسمع، أريد منك اخذه..."

أخرج حازم مسدسا من خلف سترته وقدمه لعمر، لكن عمر رفضه. رفضا قاطعا، وأبعده بيده بقوة، لكن حازم أصر وقال له: "أنا اعلم، لكن لمرة أخيرة فحسب أتفقنا؟ إنسى كل ماحدث في الماضي وصب تركيزك فحماية والدك!"

تردد عمر وهو ينظر لذلك المسدس وتذكر تلك الليلة القاتمة، لكن في نفس الوقت نظر لوالده وتذكر رسالة والدته، وامسك المسدس بقوة ونظر لحازم الذي أمأ له برأسه مبتسما، أخذ عمر السلاح ووضع خلف حزام سرواله، وتقدم مع حازم نحو والده. إلتفت محمد نحو حازم وقال له: "هل فعلت كل هذا أيها الأبله؟"

إبتسم حازم وقال وهو يربت على ذراع صديقه: "هيا إذهب يا صديقي، لقاءنا القادم سيكون هناك، بإذن الله."

إبتسم محمد، وصافح صديقه ثم عانقه وودعه والتفت لإبنه وأمأ له، ورد عمر بالمثل، رغم خوفه الشديد في داخله من قدوم عيسى أو

قوات حفظ السلام في أي لحظة، لكنه تجاهل مخاوفه ولحق بوالده.

موكب حماية محمد وخلفه حافلة تقل قلة من المنبذين بالحي الذين طلبوا الذهاب مع الموكب للمطار، قلة هم من أرادوا الرحيل بينما ظل العديد من قاطنة ذلك الحي في منازلهم، رفضوا فكرة المغامرة بأرواحهم وحياتهم من أجل حريتهم.

-بعد نصف ساعة-

وصل قائد الفصيل 21، لمركز قيادة قوات حفظ السلام بالمنطقة، حيث إتصل الرئيس بقائد الفصيل شخصيا، بعد ان خرج من منزل أوزغار وأمره بالقدوم للمركز في أقرب وقت ممكن لمناقشة ما أعلنه رؤساء دول العالم.

المركز عبارة عن بناية بيضاء ضخمة من بها اعمدة في مدخله من الرخام الأبيض الناصع، مكونة من خمس طوابق، و قبة زجاجية في سطح البناية، فوقها راية بيضاء ترفرف عاليا، بمنتصفها شعار حكومة حفظ السلام، شعار مكون من أسد ذهبي شامخ، عاقد العزم، يمثل السلطة والقوة. تحيط به أغصان زيتون ذهبية، رمزا للسلام والوثام، ويحيطهم سياج شائك أسود، وكأنه يقيدها، لكنه في الأصل يحميها.

دخل قائد الفصيل 21 بعد أن جاء لوحده، لأنه ارسل باقي الفصيل للقيام بجزارة عسكرية للجندي المقتول من طرف عيسى. فتح القائد الباب الخشبي الضخم للمركز، وأول من استقبله هو الميثاق السامي المعلق على ردهة المركز.

الميثاق السامي به قاعدتين أساسيتين، وهما، "وجب إعادة حكم الإعدام بالدولة"، وثانيا، "السماح لحكومة حفظ السلام بالتصرف في شأن الإمساك بالمدنيين دون تدخل من الشرطة أو الجيش الخاص بالدولة"، كما يحتوي على القوانين الذي إذا اخترقها أحد ما، يعتبر مذنباً، وسيتم وضع اسمه باللائحة.

تقدم القائد بمشيئته المتسارعة داخل المركز، وصولا لقاعة الاجتماعات الرئيسية الموجودة بالطابق الثاني، وقف القائد امام باب القاعة و التفت ليمينه ويساره، ثم تنهد وأعاد نظرتة الباردة، وأصلح قبعته السوداء، ودفع باب القاعة بقوة، ودخل بكل حزم وهيبة على من يوجد داخل تلك القاعة، والتي كانت عبارة عن قاعة ضخمة بها طاولة مستطيلة، طويلة وعريضة، يجلس على كل جانب منها العديد من الرجال، وعلى عكس القائد، فهم يرتدون بدل فاخرة مختلف ألوانها بين الأسود والبني والزيتي وحتى الرمادي، بينما القائد كعادته بدلتة العسكرية السوداء واكمامه المرفوعة كأنه سوف يستجوب أحدهم، وبالطبع قبعته الشتوية.

أغلق القائد الباب خلفه، وتقدم نحو الطاولة وجلس على كرسيه الخاص، فكل كرسي أمامه اطار فوق الطاولة به رقم فصيله، وبما أن عدد الجالسين حول الطاولة هم خمسون شخصا، فعدد الفصائل الموجودة بالدولة بشكل رسمي هم 50، متفرقون حول الدولة في مختلف المدن والجهات.

طأطأ القائد رأسه بينما الجميع حوله يتبادلون أطراف الحديث و يفقهون فيما بينهم، شعر القائد بالانزعاج ورفع وجهه ونظر إليهم باستحار، ثم ضغط على زر مكبر الصوت أمامه وقال: "ألن نبدأ هذا الإجتماع؟ لدي جنازة عليا حضورها."

سكت الجميع ونظر أجمعين بنظرات مختلفة، إلى أن أجابه قائد الفصيل الثاني بنبرة هادئة تصحبها إبتسامة بريئة: "نحن ننتظر الرئيس ليأتي."

شعر القائد بالغضب الشديد بعد سماعه كلامه، ووقف غاضبا غير مكترث بحرمة المكان الذي هو فيه الآن، وأراد أن يرحل، لكن الباب خلفه قد فتح ووقف جميع من كان بالقاعة، إقترب الرئيس ببطء نحوهم وأمرهم بالجلوس ثم جلس هو أيضا في مكانه، ونظر للقائد بنظرات غير مبالية وقال له متسانلا: "أحمد، هل هنالك خطب ما؟"

نظر القائد أحمد، لرئيس، ثم جلس مكانه، وأعاد الرئيس أنظاره على الأوراق التي دخل بها.

رفع أحد تلك الأوراق وإرتدى نظارته الطبية على عيونه البنية المنتفخة: "حسنا، لنبدأ اجتماعنا."

فتح الرئيس أزرار قميصه الأبيض العلوية، وأكمل كلامه: "جميعنا شاهد أو سمع ذلك الخبر، منح رؤساء دول العالم طائرة واحدة للمنبذين بدولتهم، لمهلة يوم واحد، قرار أخبرنا الرئيس الأعلى، توماس شتوفر به، لم تتم مناقشته بخصوص هذا القرار بصفتة رئيس حكومة حفظ السلام التي ساعدتهم على دوام في جعل العالم لما هو عليه حاليا. لذا نظرا لهذا القرار الذي اعتبره الرئيس شتوفر خيانة

للميثاق، ومهينا لنا كحكومة حفظ السلام، وبموجب البند الثاني، قرر الرئيس مخالفتهم، وأمر بملاحقة المنبذين في طريقهم للمطارات، وقتلهم.

7: نداء الواجب

-الولايات المتحدة الأمريكية، ولاية تكساس، مدينة دالاس، 1987-

يجلس ريتشارد شتوفر القائد العسكري لحكومة حفظ السلام، في مكتبه مع أحد الأشخاص يتحاورون فيما بينهم بخصوص أمر سري:

ريتشارد يقول بلهجته البريطانية: "هل أحضرت لي الوثائق بخصوص دار الأيتام؟"

حمل المعني بالأمر حقيبته السوداء من على الأرض ووضعها على سطح المكتب، ادخل الرمز، وفتح قفلها، ومن ثم أخرج الوثائق والمستندات، وقدمها لريتشارد، الذي بدأ يقرأها، ويقول: "ممتاز، والأُن اذهب وإبحث عن كل جندي قومي متعصب، يعشق بلده."

أغلق الرجل حقيبته، وأصلح نظارته الطبية، وغادر المكتب.

ثم دخل شخص آخر، هذه المرة كان يرتدي بدلة عسكرية برتبة مرموقة، جلس على يمين ريتشارد، والذي سأله ريتشارد دون مقدمات: "كم عدد المتطوعين للجيش حالياً؟"

رد العسكري: "أكثر من خمسين ألف جندي، مع ارتفاع العدد كل يوم."

لكن!

ليس كل من تطوع سوف ينضم للجيش، فعلياً اولاً، مراقبة سجله الجنائي، وكذا حالته الصحية والعقلية، حيث لاحظنا ومن خلال معاينته لهم، أن نسبة كبيرة من المتطوعين هم جنود ورجال أمن سابقون، اغلبهم تم طردهم أو استقالوا في سن مبكرة لأسبابهم الخاصة."

إبتسم ريتشارد إبتسامة مآكرة لا تظهر من كثافة شاربه الرمادي بحواف صفراء: "لا داعي لذلك، فما نريده بالتحديد، جنودا دوافعهم هيا من تقودهم.. الإلتقام، طالما لدينا جنود يقودهم الإلتقام فنحن سنمتلك القوة

وقف العسكري وقال: "إذن سنقبل طلبات المتطوعين؟"

رد ريتشارد: "نعم، فأمامنا معارك ضارية علينا خوضها."

-الحاضر-

الفصائل الخمسين لقوات حفظ السلام، تنتمي إلى ثلاثة كتائب:

الكتيبة ط (كتيبة الطوق الأمني): تتولى مهمة حراسة الأحياء السكنية للمذنبين بشكل غير علني، تلك الأحياء تقطنها أعداد هائلة من المذنبين ولكن بسبب قيود الأمم المتحدة ومنظمة حقوق الإنسان، تم منع قوات حفظ السلام من دخول الأحياء وتصفييتهم، نظراً لتواجد النساء والأطفال والأبرياء هناك، لذلك تكتفي قوات حفظ السلام فالوقت الراهن بمحاصرة الحي من بعيد بهذه الكتيبة المكونة من عشرين فصيل، كل منها يتكون من 35 إلى 40 جندي تقريباً.

الكتيبة ص (كتيبة الصيادين): مخصصة لمطاردة المذنبين، يضم عشرين فصيل، يتراوح عدد الجنود في كل منها بين 15 إلى 20 جندي مختار بعناية. الفصيل 21 كان مكون من 20 جندياً، لكن بعد وفاة أحدهم صباح اليوم، أصبح العدد 19.

الكتيبة ح (كتيبة الحرس السجني): مختصة بحراسة السجون، وتضم عشر فصائل، كل منها تتكون من 40 إلى 60 جندي تقريباً.

للإشارة أن هذا التقسيم مطبق بكل الدول، وليس فقط هنا.

وكل كتيبة لها مكتبها الخاص وقائدها خاص.

بالإضافة إلى الجيش الأساسي للحكومة، وهو جيش نظامي مدعوم من جميع الدول بشكل إلزامي، لديه العديد من الثكنات العسكرية في عدة مدن ومركزه العسكري الرئيسي في مدينة سالوييفو شرق دولة أنترسول، وقد استقر هناك بعد إنهاء الحرب الأهلية التي اندلعت إثر مقتل الرئيس السابق سيرغي كوزيتسوف.

الحرب كانت بين المؤيدين للرئيس وكان هدفهم الوصول للسلطة واستكمال ما بدأه رئيسهم، والطرف الآخر الراض لسياسات الرئيس السابق، هذا الطرف والمدعوم من المجتمع الدولي لإنهاء تلك الحرب طلب رئيسه ديميتري ديالتوف تدخل جيش حفظ السلام الدولي، والذي بدوره بادر لإنهاء النزاع بتفويض من المجتمع الدولي، وبقي الجيش ليؤسس قاعدته العسكرية هناك إلى يومنا هذا.

بالعودة لقاعة الاجتماعات داخل مقر حكومة حفظ السلام.

رد قائد الفصل 41 متهمًا على كلام الرئيس قبل قليل: "إن الرئيس الأعلى قرر إنهاء كل شيء، أظن أن عليه قصف تلك السجون وإراحتنا من شقاء حراستها."

نظر إليه الرئيس وقال له: "إن لم تكن على قدر المسؤولية فلنتحى من منصبك وأخرج من هذا الباب فوراً."

رد القائد 41 حانيا رأسه: "لم أقصد ذلك، أنا أعتذر."

تتهد الرئيس ونظر إلى الأوراق وقال: "لقد أمر الرئيس أيضا بمحاصرة الأحياء بشكل رسمي ابتداء من فجر يوم غد، دون اكرات لمطالب منظمات حقوق الإنسان تلك. الفصائل المكلفة بحراسة الأحياء من بعيد يوم غد، سوف تشدون الحصار عليها، والفصائل المكلفة بمطاردة المذبذبين لا داعي لأن أتكلم فمهمتمكم واضحة، فقط توخوا الحذر بخصوص تلك الميليشيات الملقبة بكتائب الثوار، فلقد بدأ إسمهم ينتشر في كل مكان هذه الأيام، لذا وجب التنبيه."

بدأ القادة يوشوشون مع بعضهم البعض إلى القائد أحمد الذي ظل ينظر للرئيس، محاولا كبح فضوله، وعدم طرح سؤاله، ينظر لمكبر الصوت بلهفة وعندما تجهز، قائد الفصل 12 سبقه وسأل الرئيس: "ألن يجعل هذا الأمور تنقلب علينا، أعني حكومة مستقلة من تمويل دولي، تقلب الطاولة عليهم هكذا، لا يبدو لي قرارا صائبا."

نظر الرئيس إلى القائد 12 ورمقه هو الآخر بنظرات خالية من المشاعر وقال له: "طالما الحكومة لم تخرق أي بند من بنود الميثاق، فنحن على ما يرام... هل لدى أحدكم أسئلة أخرى أم فقط نهي الإجتماع؟"

أراد وقتها القائد أحمد أن يسأل ويغذي فضوله، لكنه فضل السكوت والاكتفاء بالاستماع، حيث وقف قائد الفصل 25 وانحنى لمكبر صوت وقال غاضبا: "أسف ياسيدي الرئيس لكن هذا محض هراء، بينما نحن الآن نطارد المذبذبين، العديد من الإرهابيين الذين أزهقوا منات الأرواح وحولوا العالم إلى ما عليه حاليا، ينعمون بالحرية ولا أحد منا يعلم أين هم حاليا، ولو حتى فرد واحد منهم، بينما شخص ارتكب جريمة واحدة سوف يدعم، من وجهة نظري أرى أن علينا إعادة فتح تحقيق بخصوص أولئك الإرهابيين."

نظر الرئيس لقائد الفصل 25 وتجاهل كل كلامه السابق وركز على عبارة واحدة من كلامه وسأله عنها: "وما الخطب بعالمنا الحالي، أليست الحياة في يومنا هذا آمنة ومستقرة، نسب الاجرام والعنف اقتربت لصفر، ولا زالت تنخفض لدرجة أننا بدأنا نقلص من أعداد الفصائل وتعداد أفرادها، هل لديك اعتراض عن سياستنا أيها القائد؟"

إرتبك القائد وبدأ ينظر للقادة حوله بتوتر، ثم جلس ولم ينطق حرفا واحدا، مستوعبا حينها أنه كان يلعب بالنار.

وقف الرئيس الأعلى ووقف معه الجميع وقال وهو يرتب ملفاته: "حسنا، سوف نهي الإجتماعنا لليوم، لقد ضقت ذرعا من اسئلة المراهقين هذه، غدا يوم حافل، إستعدوا له جيدا، لكي يعم السلام في الأرض."

خرج الرئيس من القاعة وقال مخاطباً نفسه: "سحقاً لا زال لدي اجتماع آخر مع قادتهم... إصبر كل شيء سينتهي عما قريب." استدار الرئيس على يمينه بعد أن كان يواسي نفسه، ورأى رجل في الردهة، كبير في السن يرتدي قبعة شمسية مهترئة وسترة صوفية زرقاء يتكأ على الحائط، اقترب الرئيس منه وسأله: "أنت المكلف بتلك المهمة؟"

لم يرد عليه صاحب المعطف وأضاف الرئيس على كلامه: "هذا يعني أنه قرر ذلك وانتهى..."

تبسم الرئيس ابتسامة ماكرة ثم نظر من الأعلى ليرى العديد من رجال يرتدون بدل عمال صيانة يجلسون في ردهة المقر، ثم غادر لمكتبه.

بعد مرور ساعة وخمس دقائق، وصل القائد أحمد لمقبرة الشهداء، هناك وجد الجندي الذي كان يحمل جثة رفيقه، يقف الآن أمام قبر فارغ في الظلام الدامس، إقترب القائد له ونظر للقبر الفارغ باستغراب وقال له الجندي: "لم يسمحوا لنا بدفنه بهذا الوقت المتأخر، لذا تم اخذ جثته لثلاجة الموتى وسوف ندفنه غذا مع صلاة الظهر."

نظر الجندي لقائده وقال له: "كيف سارت الأمور هناك أيها الزعيم."

نظر القائد لمجنده وقال له: "جيدة على ما أعتقد... غذا صباحا سوف نبدأ عملية مطاردة عالمية للمنبوزيين في اتجاههم نحو المطارات، عملية لا علم لأحد بها خارج نطاق حكومة حفظ السلام"

نظر الجندي لظلام دامس أمامه: "أهذه النهاية أيها الزعيم؟"

نظر القائد للسماء وتنهّد قائلاً: "ربما قد تكون البداية، من يعلم..."

نظر الجندي لقائده بحزم وقال له: "إذا كانت هذه النهاية حقاً ووجدنا ذلك القاتل دعني أنا من أقتله أيها الزعيم."

النظر القائد لمجنده ببرود وقال له: "ألن تظل هنا، وتحضر جنازة مهدي؟"

الجندي: "بأي وجه سوف أقابل والديه، وبأي صفة سوف أحضر جنازته، وكيف لي أصلاً أن أنسى المنظر...؟"

سكت الجندي لوهلة ثم أضاف على كلامه متحسراً على وفاة صديقه: "لذا يا زعيم أنا اترجأك أن تدعني أنا من أقتله إذا وجدناه!"

نظر القائد إليه مجدداً ببرود وقال له: "سأدعك... لكن تذكر أنك لست شخصاً يبحث عن إنتقامه، بل جندي يؤدي واجبه، هل هذا مفهوم يا عصام؟"

الجندي عصام: "مفهوم أيها الزعيم... لكن؟ ألم نحصل بعد على أي رأس خيط يوصلنا له، أعني حتى السبب خلف كل هذه الجلبة، لقد بدى على وجهه الإصرار رغم الكم الهائل من الرصاص الذي يترامى عليه."

القائد: "كل ما نعرف هو اسمه، عيسى اوزغار، ويريد قتل عمش، لكن لم أجد السبب وراء ذلك بعد، يمكن انه يريد الإنتقام، و إتصل بنا لنساعده، لكنه وبشكل ما قرر قتل فرد منا والفرار بفعلته."

أنصرف القائد وقال مغادراً المقبرة: "إذهب ونل قسطاً من راحة أيها المجند، ينتظرنا غذا يوم حافل."

غادر الجندي عصام هو الآخر بعد القائد وذهب لمقر إقامته وإقامة كل أفراد قوات حفظ السلام المسلحة، بإقامة سكنية مخصصة للجنود بالقطاع فقط، الموجود ب(القطاع ن) جهة الشمال العلوي، حيث أن الكتائب الثلاثة مقسمة على ثلاث جهات بالدولة، شمال والوسط والجنوب كل جهة هي الأخرى مقسمة لثلاثة مناطق، المنطقة العلوية، واليمنى، والشمالية، وكذلك كل منطقة مقسمة لما بين إثنين لثلاثة قطاعات، حسب حجم المنطقة.

كل تلك المناطق بها عدد من الجنود من كل كتيبة، فمثلاً الجهة الشمالية والتي تجري بها الأحداث الحالية، وبالضبط المنطقة العلوية، تنقسم لثلاثة قطاعات:

"ن.ف.ق" بها 3 فصائل من الكتيبة الصيادين، مقسمة بالتساوي على القطاعات الثلاثة بالمنطقة. كما يوجد 6 من كتيبة الحصار، هيا الاخرى مقسمة بالتساوي، وفرقة واحدة من كتيبة حرس السجون، متواجدة بالقطاع "ف" أين يتواجد السجن الخاص بالمنطقة العلوية، بالإضافة إلى أن هذه الأرقام غير ثابتة، فقد تتغير على حسب الحاجة.

دخل عصام للعمارة أين يقيم ثم وصل للطابق الثالث حيث يعيش ووصل لباب شقته والتفت خلفه ليجد أن باب شقة الجندي مهدي المقتول صباح اليوم مفتوحة، إستغرب عصام وأخرج مسدسه ودخل للشقة بخطوات بطيئة وحذرة، إلى ان بدأ يسمع صوت بكاء أحد ما، من غرفة النوم، إقترب عصام للغرفة ودفع الباب ببطء، لكن الباب أصدر صريرا مزعجا، أسكت من كان يبكي، واقتحم عصام الغرفة بسرعة، ليلمح طفلا صغيرا، يختبئ خلف السرير وهو يبكي بصمت، إقترب نحوه عصام ببطء وتعرف عليه حينها وخبأ المسدس خلفه ظهره، وابتسم له ابتسامة خفيفة وانخفض إليه وقال له: "أنت أخ مهدي أليس كذلك؟"

بدأت عيني الطفل الصغير تمتلئ بالدموع ثم بدأ يضرب عصام على صدره بقوة ويقول له بصوت عالي وهو يبكي: "لماذا؟ لماذا تركت أخي الكبير يموت؟ لماذا!!!؟"

عانق عصام الطفل صغير بقوة وبدأ يبكي هو الآخر ويجيب الطفل بحرقة: "أنا اسف، أسف لأنني لم أكن على قدر المسؤولية، أسف لأنني لم أحمي مهدي، لم أحمي صديقي وأخي والعزيز على قلبي، أسف لأنني سببت لكم الحزن والبؤس في قلوبكم... لكنني سوف أنتقم له..."

أبعد عصام يديه عن الطفل وبدأ يمسح له دموعه وينظر إليه مبتسما، وأكمل كلامه: "سوف انتقم له، هذا وعد مني، وعد رجال، لن ادع موت مهدي يروح سدى."

دخل شخص اخر للغرفة وشغل مصباح الغرفة وقال لعصام: "إنه أخ مهدي، لقد وجدته امام باب العمارة وأدخلته."

التفت عصام لذلك الجندي وقال له: "من الجيد أنك أحضرته، لأنني وعدته وعد الرجال، أليس كذلك أيها البطل؟ والأن هيا لأستلقي على هذا السرير اخذ إلى النوم، ليس بذلك السرير الجيد لكنه سيغي بالغرض."

وقف عصام وإقترب من الجندي وقال له في أذنه بصوت خافت: "دعه يغفو وسوف أخذه لمنزله بنفسي."

رد الجندي: "حسنا... أمر آخر، هل إلتقيت بالقائد؟ لأنني سمعت بعض الكلام على عملية ضخمة أو شيء من هذا القبيل."

غادر عصام الغرفة وقال له: "لنناقش الأمر خارجا دع الفتى ينام."

أغلق الجندي الباب وترك الفتى يحاول النوم متمسكا بصورة أخيه الكبير.

جلس الإثنين على طاولة طعام خشبية وبنية اللون، ووضع ذلك الجندي ذراعيه على سطح الطاولة وقال وهو ينظر لعصام: "وإذا ماذا قال لك الزعيم؟"

ظل عصام ينظر للغرفة حيث ينام الطفل سارح البال لم يسمع حتى لكلام رفيقه، إلى ان فرقع بأصابعه، والتفت عصام لجهته وقال له وهو يمسك جبينه: "أنا أسف لم أسمع ماقلته."

وقف الجندي وذهب للمطبخ المفتوح على منزل وبدأ يحضر القهوة، وخرج من المطبخ وقدم كوب قهوة لعصام مبتسما: "خد كما تعجبك لكي تستفيق قليلا."

اخذ عصام القهوة وأخذ رشفة وقال: "انت الأفضل يا زيد في صنع القهوة."

ابتسم عصام وطأطأ رأسه قليلا وقال: "لطالما كان يطرق باب عليك لكي تحضرها له، ذلك الأحق كان يظن أنه هو محور الكون."

ضحك زيد وقال: "كان يشرب القهوة أكثر من الماء، حتى أصبحت أسنانه صفراء كذهب."

ضحك عصام ضحكة خفيفة ثم تنهد وقال: "فعلا، لكنه رحل الآن... انا أحسده، لقد ارتاح من عناء الإستيقاظ مع الخامسة صباحا كل يوم."

تغيرت ملامح زيد ووضع الكوب وقال: "أتظن ذلك فعلا؟"

شرب عصام ماتبقى من الكأس وقال: "نعم، لقد مات وهو يؤدي عمله، من لا يرغب في ذلك؟"

زيد: "أعني هل فعلا سوف يرتاح بعد كل ما قمنا به من قتل وتعذيبنا لناس عزل... حتى طريقة موته لم تكن بال..."

قاطع عصام زيد بضرب يده على الطاولة بقوة وهو يستشيط غضبا ثم قال: "أولئك السفلة ليسوا بناس عزل بل هم شر خالص دمرو أنفسهم بنفسهم، لم يقل لهم أحد أن يخرقوا القانون وقتل أو فعل جرم ما... يبدو أنك رجعت لذلك السم هو ما جعلك تتفوه بهذا الهراء."

ضحك زيد: "جديا يارجل أنا فقط امزح معك."

أخذ عصام ينظر لكوب القهوة وقال: "انت تعلم انني لا أحب أن أمزح بخصوص هذا الموضوع، وفي هذا الوقت بالتحديد...."

رد زيد: "المهم، لتغير الموضوع، أخبرني ما الذي أخبرك به القائد؟"

عصام: "أخبرني الزعيم أن الرئيس الأعلى أصدر أمرا بملاحقة المذنبين الذاهبين للمطار الدولي، بداية من صباح يوم غد."

رد زيد بإندهاش: "يارجل حقا؟!"

عصام: "نعم، اظن ان שתوفر طفح كيله من لعبة القط والفأر الذي يلعبها مع المذنبين وكان تصريح الرؤساء هو القشة التي قسمت ظهر البعير."

زيد: "أنا أتفهمه، كل محاولاته لإنهاء هذا كانت تفشل، إما بسبب قرارات حقوق الإنسان تلك، أو بمعارضة رئيس ما وتأجيل القرار لأجل غير واضح."

وقف زيد ومعه كوبه وكوب عصام وقال لعصام: "حسنا، يبدو أن القهوة لم تعطي مفعولها، لذا سوف أذهب للنوم، لكي أحصل على القليل من الطاقة للغد."

التفت عصام لزيد وسأله: "هل تحسنت؟"

نظر زيد إليه وقال مبتسما: "لا زالت كما هي، لكنها ستتحسن..."

رد عصام: "أتمنى ذلك يا صديقي... تصبح على خير."

زيد: "وأنت من أهل الخير يارفيقي."

اغلق زيد باب الشقة وترك عصام لوحده ينظر للكوب في صمت تام.

وقف عصام وذهب لتفقد الطفل الصغير، فوجده يغط في نوم عميق، إقترب عصام نحوه وحمله بين يديه بلطف وأخرجه من الغرفة ومن العمارة نحو سيارته ليقله لمنزله. وضع عصام الطفل لينام في الكراسي الخلفية لحين وصوله، وركب السيارة وانطلق نحو منزل مهدي. بعد مرور عشرين دقيقة وصل عصام للمنزل، وإذا به يرى والد مهدي الكبير في السن، يجلس على مدخل باب المنزل وقد قضى عليه التعب.

اخرج عصام الطفل واقترب نحوه وقال: "سيد مختار!"

فتح السيد مختار عينيه ببطء وعندما رأى ابنه نائم على حضن عصام، وقف منصدما، واخذ طفله ونظر لوجه عصام وقال له: "شكرا لك يا بني!"

رد عصام: "لا شكرا على واجب ياسيدي."

استدار عصام وغادر نحو سيارته وإذا به يسمع صوت الطفل من الخلف يخبره: "أرجوك لا تمت مثل أخي، لا أريد أن أخسر أخ كبير ثاني."

فتح عصام باب سيارته والتفت لجهتهم، لكن الأب دخل مع ابنه للمنزل. دخل عصام السيارة وغادر عائدا لشقته الصغيرة.

وهو في طريقه الذي يمر على حي المذنبين المحوط بسياح شائك عليه بعض الألواح المعدنية والخشبية، ثم احظ في ذلك الظلام دامس تواجد سيارة سوداء إنارتها الامامية تشع فوق تلك هضبة، أراد أن يذهب ويعرف من يوجد بها، فموقعها يعتبر ممنوعا على العامة لأنه موقع تستخدمه قوات حفظ السلام الكتيبة ط، لمراقبة الحي من بعيد.

لكن جهاز اللاسلكي خاصته فجأة صدر منه كلام مفاده: "نداء للفصائل بالقطاعين ن.ق"، الفصيل 21 و 22، لقد شوهد موكب من خمس سيارات يحمي حافلة بيضاء في طريقهم للمطار، يحتمل أنها تقل المطلوب رقم واحد، عمش، أكرر..."

عندما سمع عصام الخبر نسي أمر تلك السيارة المريبة وانطلق بأقصى سرعة بسيارته نحو الثكنة العسكرية المتواجدة على مقربة منه.

وصل عصام للثكنة، وإذا به يجد قائده، يخرج سلاحه من باب السيارة المفتوح

إقترب عصام نحو قائده الذي كان ينظف سلاحه وقال له: "هل سمعت النداء ياسيدي؟"

نظر القائد لعصام وقال له: "وماذا نفعل كلنا هنا إذا؟"

عصام: *معك حق."

القائد: "إذهب والتحق برفاقك بالداخل، قائد الفصيل 22 يقوم بعمل خطة هناك."

عصام: "كيف وصلوا بهذه السرعة؟ أعني الفصيل 22"

القائد: "يوجد قائد الفصيل 22 لوحده لقد كان معنا في الإجتماع."

عصام: "فهمت... لكن أيها الزعيم، لماذا لا تأتي انت ايضا."

حمل القائد سلاحه وبدأ يتفحصه وقال: "لا أحب الخطط، هيا إذهب."

دخل عصام للثكنة ولغرفة الاجتماعات الرئيسية، ووجد كل فرقته وقائد الفصيل 22 يدرسون خطة للتصدي لذلك الموكب الذي قد يزيد عددها في أي لحظة.

انضم عصام لهم، حيث كان يقوم قائد الفصيل 22 بجهاز خطة بفرقتهم، وكانت الخطة كالاتي:

سوف يقوم الفصيل 22 بمحاصرة حدود قطاعهم القطاع ق- لأن المطار موجود بذلك القطاع، القطاع ق- ثم سيقوم قائد الفصيل 22 مع أعضاء الفصيل 21 وقائدهم بمحاولة إيقاف ذلك الموكب قبل الوصول حتى لحدود القطاع ق.

رفع عصام يده وقال: "هل تم التأكد من أن ذلك الموكب يخص عمش او اي مذنب؟"

رد احد قائد الفصيل 22: "لقد شاهد الفصيل من (القسم ط) الموكب وهو يخرج من حي المذنبين."

سأل أحد الجنود: "شاهدوا فقط!، إذن هذه عملية مبنية على محض أقوال وتكهنات أن عمش موجود بذلك الحي، رغم أننا لم نره قط داخله أو حتى خارجه، ولا نملك إلا صورة قليلة له."

صفق القائد بيده وقال: "توقف عن التثرثرة أيها المجند، نحن ننفذ فقط الأوامر لا تلعب دور المحقق، هيا تجهزوا سوف نذهب الان، هذه مهمة مستعجلة."

خرج الفصيل 21 مع القائد 22 من الغرفة، متوجهين نحن مرأب التكنة العسكرية، بعد أن ارتدوا ملابسهم العسكرية وتسلحوا بأسلحتهم وقنابلهم وخناجرهم، بقي عصام لوحده بالحمام لم يلحق بهم بعد.

يغسل وجهه بالماء المثلج في هذه الليلة الباردة، ورفع وجهه الشاحب للمرأة وبدأ يتأمل وجهه عليها، وجهه الشاحب الأبيض وعيونه السوداء الباردة، تنظر لوجهه باحتقار، وإستصغار لذاته، وإذا به يقوم بكسرها دون أن يشعر، وظل ينظر لها بغضب إلى أن طرق عليه قائده الباب قائلاً: "هل أنت مختبئ؟"

نظر عصام للباب ثم فتحه ومر بجانب رئيسه كأنه لا يوجد قربه وذهب لينظم لرفاقه.

-الواحدة ليلا بعد منتصف الليل-

ركب الجميع في أربع سيارات مدرعة سوداء اللون تحمل شعار حكومة حفظ السلام على مقدمتها باللون الأبيض، وإنظم لهم القائد أحمد وركب بأخر مدرعة بينما ركب قائد الفرقة 22 في المدرعة التي تقودهم، وانطلقوا نحو الطريق السيار الوحيد الذي يؤدي للمطار، للحاق بذلك الموكب في أسرع وقت ممكن، والقبض على عمش الذي اربكهم لسنين.

وهم في طريقهم ولكسر الملل بدأ الجنود في الحديث مع بعضهم البعض من داخل المدرعة الأولى بمقدمتها. حيث سأل أحدهم سؤال هام: "إذا كان عمش يوجد فعلا بذلك الموكب، هل سنقوم بقتله بكل بساطة؟"

أجابه أحد الجنود: "أظن أننا سنقبض عليه وسوف يسجن بسجن القطاع ف."

أحد الجنود: "أوافقك الرأي، سمعت أن أغلب قادة المليشيات وحتى المرتزقة وأي شخص شارك او كان له يد بحرب المكانة ضدنا، هو الآن بأحد السجون الخاصة بحفظ السلام."

قال الجندي زيد: "وماذا إذا كان هناك أناس آخرون إلى جانب عمش؟"

نظر الجميع لزيد ورد احد الجنود ساخرا: "سنقتلهم بالتأكيد، ماذا تتوقع سوف نتعشى معهم؟!"

بدأ الجميع يضحك، إلى زيد الذي ظل مطأطأ رأسه في صمت، إلى أن سمع قائد الفصيل 22 يخاطب السائق، لأن زيد يجلس خلف حاجز من حديد يفصله عنهم، لذا فهو سيسمع كل شيء يدور بينهم، حيث قال قائد الفصيل 22: "هل أرى أم يتهيا لي صف من السيارات السوداء تغلق علينا الطريق من أسفل الجسر؟"

إلتفت زيد لنافذة ثم رأى سيارة سوداء بزجاج أسود تقترب بسرعة بشكل مريب، أمعن زيد النظر لسيارة باستغراب، لكنها بدأت تسرع وتسرع إلى أن سبقت المدرعة، وعندما إقتربت مدرعة قوات حفظ السلام لأسفل الجسر، فُتح الباب الأمامي بتلك السيارة وألقى أحدهم حقيبة على طريقهم، وعندما أصبحت الحقيبة أسفل المدرعة مباشرة، وقبل أن يستوعب حتى السائق او القائد 22 لما حصل للتو، بدأت الحقيبة تصدر صوتا مزعجا حادا، ثم انفجرت انفجارا ضخما رفع المدرعة عاليا وقلب رأسها على عاقبها في منظر مرعب، ترى امام عينك مدرعة ثقيلة تطير في الهواء.

ثم أضاءت الكثير من السيارات السوداء من فوق الجسر وأسفله إنارتها الساطعة ورأى جميع الجنود الذين خرجوا من المدرعات، الكم

الهائل من تلك السيارات التي تحاصر قافلته الفولاذية، وأدركوا حينها أنهم في خضم مهمة ليست كسابقاتها من المهمات.

خرج قائد العصابة التي تحاصرهم من سيارته فوق الجسر وأخرج معه سلاحه الثقيل، وقال بصوت عالي والحماس يظهر بعينه: "فلتبدأ الحفلة يا رجال!!"

ثم وضع رجله على سياج الجسر وحمل سلاحه وصرخ بصوت عالي وهو يشاهد رجاله يشتبكون مع قوات حفظ السلام: "باعتباري قائد بكتائب الثوار، أعلن بدء عملية انتقامية لأرواح شهداء حادث الحافلة!!"

8: قافلة الموت الحديدية

-قبل يومين-

في غرفة العناية المركزة بأحد المستشفيات الخاصة، تتواجد امرأة رأسها ملفوف بالمضادات، مستلقية بلا حراك في سبات عميق على سرير المستشفى، ويقف على زاوية الغرفة زوجها وبين يديه ورقة مكتوب بها: "إذا قررت فصل الأجهزة عني، إفضلهم في تاريخ أفضل يوم عندنا يوم..." أكمل الزوج رسالة زوجته بنبرة مكتومة والدمعة تسيل من عينه: "يوم...لقائنا."

رفع الزوج عينيه للطواقم الطبي بالغرفة وقال لهم بتردد: "افصلوا الأجهزة..."

-الحاضر : الواحدة وعشرون دقيقة بعد منتصف الليل-

داخل المدرعة التي انقلبت إثر ذلك الهجوم المباغت، كان الجنود الستة فاقدين للوعي، ومن بينهم زيد الذي بدأ يستعيد وعيه تدريجياً. محسباً بألم حاد في ذراعه اليسرى، والتي بدأ أنها قد كُسرت. حاول زيد الوقوف، متجاوزاً جثث رفاقه المغشى عليهم، متجهاً نحو الباب. بينما يحاول فتحه، وصل إلى أذنيه أصوات تبادل إطلاق النار في الخارج. لذا جمع زيد كل ما تبقى له من قوة وحاول دفع الباب، لكن يده الوحيدة لم تكن كافية. سحب سلاحه من على ظهره، وأطلق النار على القفل، لكن المحاولة باءت بالفشل أيضاً.

أسقط سلاحه على الأرض من الإحباط، وبدأ يضرب الباب بقيضته و يصرخ طالباً النجدة. إلتفت إلى الجدار الحديدي الذي يفصله عن مقصورة القيادة. تقدم ببطء وانحنى ليرى من خلال النافذة. وإذا به يرى زجاج السيارة قد تلطخ بدماء السائق، وجثته ممددة على المقعد فوقه، دماها تتساقط ببطء، قطرة تلو الأخرى، أمام عينيه.

إرتعب زيد وتراجع للخلف بسرعة وأمسك رأسه بكتفي يديه رغم أن يده اليمنى متضررة، وبدأ يتمتم كالمجنون لوحده: "علي الخروج من هنا... علي العودة لأطفالي... لا يجب أن أذع اطفالي بدون أب كما تركتهم والدتهم بدون أم... أرجوك يا إلهي ساعدني... أعرف أنني شخص شرير لكن أرجوك من أجل عائلتي علي أن أخرج من هنا! أنا لا أريد أن أموت وحيداً!!!!!"

ثم وقف مجدداً وركض فوق جثث رفاقه هذه المرة وأعاد الكرة بضرب الباب مجدداً وركله طالباً النجدة بأعلى صوته، إلى أن سمع صوت غير مألوف يقول خلف الباب: "فليراجع الجميع!!"

تبسم زيد، وتراجع للخلف وسحب معه أحد الجنود قرب الباب، مستعداً للقاء منقذه، وإذا بقفل باب المدرعة ينفجر من الخارج، ثم اندفع زيد نحو الباب مبتهجاً، لكن من فجر وفتح قفل الباب لم يكن أحد أفراد فرقته ولا شخص ينوي مساعدته، من فتح الباب هم العصابة التي هاجمته قبل قليل.

تراجع زيد للخلف مذعوراً ورفع سلاحه وصوبه على الباب قائلاً: "تراجعوا وإلا..." وقبل ان ينهي زيد تهديده، دخل قائد تلك العصابة شخصياً وبدأ يقتل كل الجنود المغمى عليهم بدم بارد وخطأ على جثثهم وتقدم نحو زيد قائلاً ببرود: "كيف وجدت هذا؟ وحشي؟ غير إنساني؟"

سقط زيد على ركبته من الصدمة وتحجر في مكانه، غير قادر على استيعاب ماذا حصل للتو، ثم حنى برأسه وبدأ يشاهد الدماء التي تتسلل

من جثة الجندي أمامه وصولاً لركبته ولطخت سرواله الأسود.

أخرج قائد العصابة نفساً ثقيلاً، وتربع قرب جثة أحد الجنود داخل المدرعة واتكأ على الجدار وقال: "قبل يومين، وبعد أن نجح رجال عمش بإقتحام سجن بنو هاشم وقاموا بتحرير المظلومين كعادتهم، طلب مني أحد جنودي، كان الأخ الذي لم تلده أمي، وأخذ مكان أخي الذي غدر بي، على كل حال، طلب مني أن أقوم بتهريبه هو وزوجته مع أولئك المظلومين الذي حرر عمش والذين سيرسلهم لأحد القرى الريفية بالشمال لأحد رجالنا، كان المسكين يظن أنه سوف يجد الراحة التي لم يجدها في أي مكان في العالم هناك، نظراً لكونها قرية منعزلة على العالم، سكانها بسيطون، وغير مذنبين، لذا وافقت حينها، وأرسلته البارحة فجرًا معهم لتلك القرية، ودعته وودعني، شكرني وشكرته على خدمته، ورأيت سيف لأول مرة يبكي، و انطلقت بهم الحافلة بعيداً..."

وقف القائد وسحب زيد من كتفه ورفع قائلاً: "هلا أخبرتني بما حدث فما بعد ؟"

أدرك زيد حينها ماكان يقصد ذلك الرجل، لذا رفع وجهه الشاحب له وبنظرة حزينة غير مبالية قال: "اقتلني..."

أسقطه الرجل ثم أمسكه من شعره البني العسلي القصير وقال له وهو حاني ظهره وينظر له: "سأقتلك، لكن الآن أنظر لجثث رفاقك! راقب الدماء وهيا تنزف منهم، راقب أرواحهم وهيا تصعد لخالقها، راقب كم أنكم ضعفاء بلا أسلحتكم!، راقب وأشعر بنفس الإحساس الذي أحسست به عندما رأيت تلك الحافلة بذلك المنظر المقزز!! عندما رأيت أخي وحنجرته قد شقت والدماء بها قد يبست، وزوجته قربه رأسها ملطخ بدماء!!"

صرخ زيد قائلاً وهو يحاول عدم رؤية جثث رفاقه: "لم نكن نفعل ذلك عن العمد!! نحن فقط ننفذ الأوامر، نحن فقط عبيد لأسيادنا مقابل المال والحرية."

ضحك ذلك الرجل بشدة وهو ينظر لزيد الضعيف المدمر والمنكسر وقال له: "وأين أسيادك الآن؟ في حصونهم، في منازلهم الدافئة مع عوائلهم أليس كذلك؟! لكننا سوف نقضي عليهم الواحد تلو الآخر... عليهم وعلى عبيدهم الآن أن يحسوا بطعم الظلم والخسارة الذي عشناه طوال هذه السنين!"

رد عليه زيد بصوت عالي وهو ينظر إليه بنظرات حزينة: "هل تظن أنني مهمت؟! أنا لا أهتم لأي شخص منهم، انا ما أريده حالياً وماأكثرت له هو فقط أن أخبر أطفالي بالحقيقة هذا ماأريد في هذه الحياة، أقتلني إذا أردت لكنني غير مهمت، لكن أرجوك دعني أقم بأخر مكالمة لي معهم!"

رمى له الرجل هاتفه الخاص وقال له: "الديك دقيقة."

أمسك زيد الهاتف بسرعة واتصل على عجلة من أمره، وعيونه لا تتوقف من البكاء كالطفل الصغير، إلى أن رد عليه صوت بنت صغيرة بريئة: "مرحباً!"

ابتسم زيد لا إرادياً وقال: "حلوتي، كيف حالك؟"

رد إبنته مستغربة: "أبي هذا أنت؟! هاتف من هذا؟"

زيد: "لا يهم، أخبريني كيف حالك وكيف هيا أحوال الدراسة معك أنت ولؤي؟"

الفتاة: "نحن بخير ياأبي، لكن لؤي لا،(همست بصوت خافت)لأنه رسب في إمتحان الرياضيات."

ضحك زيد وقال: "سوف يعوضه أنا متأكد...سوسن؟"

ردة سوسن: "نعم؟"

زيد: "هلا ناديتي لؤي لكي أخبركم بموضوع هام يخصكم."

وضعت سوسن الهاتف وركضت لغرفة لؤي، واحضرتة معها بسرعة، وأمسك لؤي الهاتف: "أبي؟"

رد زيد وهو يحاول كبح دموعه الغزيرة: "إبني كيف حالك هل أنت بخير؟"

رد لؤي بنبرة غير مبالية: "جيد وأنت؟"

زيد: "في أحسن الأحوال... إسمع أريد أن أخبرك بأمر ما قبل أن أرحل!"

لؤي: "وما هو؟"

زيد: "بخصوص والدتك... لؤي... لقد توفيت والدتك منذ مدة ولم أستطع إخباركم بخصوص ذلك الأمر."

سكت لؤي ولم يجيب والده من الصدمة: "أنا أسف يا بني، أسف لأنني أخفيت عنكم هذا الأمر الهام، أنا حق..."

أنهى لؤي المكالمة قبل أن يكمل زيد اعتذاره.

توقف زيد عن البكاء وأعاد الهاتف لذلك الرجل الذي كان بدوره يستمع: "حسنا، تستطيع قتلي."

سحب قائد العصابة مسدسه من سترته الخضراء الداكنة وصوبه على زيد الذي أغلق عينيه متقبلا لمصيره بعد أن أفصح عن ما كان يضيق صدره، منتظرا فقط لحظة اختراق الرصاصة لرأسه، لكن قيل أن يضغط على الزناد، تراجع القائد في آخر لحظة وأعاد مسدسه وقال لزيد: "أتعلم؟ سوف أدعك ترحل لكي تعيش وترى بأمر عينيك رفاقك وهم يموتون وستشهد على هذا العالم وهو يعيش أيامه الأخيرة، مع أطفالك هذا إذا سامحوك."

إنفتت القائد ونادى على بعض من رجاله لكي يقوموا بأخذ زيد، لكن وبحركة صادمة، أخذ زيد السلاح الذي كان قريبه، ووضع فوهته أسفل فكه، وقبل أن يطلق الرصاصة وتنطلق داخل رأسه، إنطلقت قبلها الذكريات أمام عينيه...

شريط حياته بالكامل ظهر أمام عينيه. يوم إنضمامه لقوات حفظ السلام، واللحظة التي وقع فيها على تلك الورقة، وقسمه بالخدمة على أكمل وجه يمكن، يوم لقائه الأول مع زوجته، ثم زواجهم، وحضيمهم بطفلهما الأول بإبنتهم سوسن، ثم إبنهم لؤي، وتذكر أيضا يوم تعرضت زوجته بإحدى ليالي لحادث سير مميت، وظلت في غيبوبة لمدة أربع سنوات، إلى أن قرر زيد قبل يومين أن يربحها وفضل أن تموت بسلام...

"ارتاحي أيتها الأميرة النائمة."

مع نهاية الذكرى، ظل زيد مبتسما، إبتسامة بريئة تشق وجهه والدموع تسيل من عينيه، الدموع هذه المرة دموع فرح وسلام بعد أن شاهد ذكرياته السعيدة والحزينة كلها لمرة واحدة، وتذكر كم أنه كان سعيدا بين عائلته، وكم أنه نادى على كل مافعله طوال سنوات خدمته بقوات حفظ السلام...

"سأفتدكم يا أطفال، أمل أن تسامحوني."

وأطلق النار وانتحر. إنتحر بعد معاناة من أفكاره وكوابيسه، من كلام الناس وكلام أطفاله، انتحر لأنه لم يعد يتحمل تأنيب الضمير الذي كان يعيشه طوال مدة خدمته العسكرية مع قوات حفظ السلام، سنين من القتل وتعذيب البشر، سنين من تحطيم الذات وكسر النفس وقتل الرحمة بداخله، وفي الأخير فاز الشر بداخله وأطاح به.

إنفتت ذلك الرجل ورفاقه بسرعة، لجثة زيد، ثم تنهد وقال لهم: "لقد كان صبورا جدا."

ومن خارج المدرعة، لازالت إشتباكات بين الفصيل 21 من قوات حفظ السلام والعصابة التي حاصرتهم من فوق وتحت جسر.

كان قائد الفصيل 21 أحمد، يحتمي خلف أحد المدرعات ويطلب الدعم عبر جهازه اللاسلكي. وخرج من مخبئه وبدأ يطلق النار عليهم الواحد تلو الآخر رفقة جنوده المتبقيين، محاولين الوصول للمدرعة أين يوجد زيد وبقية الجنود، لأن العصابة قامت بمحاصرة تلك المدرعة وإستعمالها كدرع من رصاص قوات حفظ السلام. ومن فوق الجسر يقوم أحد أفراد العصابة من داخل سيارته بإطلاق النار عشوائيا على الطريق بسلاحه الرشاش الضخم المركب على السيارة.

الإصابات من كلى الطرفين بدأت ترتفع وذخائر قوات حفظ السلام بدأت تنقص هيا أيضا، لكن تقدمهم المدروس نحو المدرعة كان فعالا وعدد قتلى العصابة خير دليل. إلى أن صاحب الرشاش من ذلك الجسر هو العائق الوحيد لتقدمهم بسرعة أكبر، الشيء الذي جعل القائد أحمد يترك عصام القناص الخاص بالفصيل 21 في آخر مدرعة بموكبهم يحاول قنص صاحب الرشاش دون أن يراه، حيث كان متربصا له من داخل مقصورة القيادة، هو وسلاحه القناص، ينتظر فقط الفرصة المناسبة لكي يهشم رأسه، توقف صاحب الرشاش عن إطلاق النار لحين تعبئة الذخيرة، لاحظه القائد أحمد ثم نبه عاصم بسرعة عبر جهازه اللاسلكي، إستعد عصام وأخذ نفسا عميقا، وضغط على الزناد وأطلق رصاصة إنطلقت مباشرة نحو صاحب الرشاش و هشمت جمجمته.

عندما رأى القائد أحمد الرشاش توقف، أعطى الإشارة لفرقتة وبدأ بالتقدم بشكل أسرع والإجهاز على كل مرتزقة أمامهم، وبالفعل أدى قتل صاحب الرشاش مفعوله ووصل الفصيل 21 نحو المدرعة المقلوبة بسرعة بعد أن قاموا بقتل كل فرد عصابة يظهر أمامهم قبل أن ينسحبوا بأمر من قائدهم، إقترب القائد أحمد نحو باب المدرعة، وفتح الباب بسرعة والخوف والقلق استولى عليه خوفا من فقدانهم،

فتح الباب ولم يجد القائد أمامه سوى جثث جنوده والدماء تكسوهم كما لو أنهم سبحو في بحر من الدماء، ورأى زيد أمامه متكأ على الجدار الذي يفصل عن مقصورة القيادة، والدماء تسيل من رأسه.

أغلق القائد عينيه من ذلك المنظر البشع وتراجع للوراء خطوتين ووضع راحة يده على جبهته وبدأ يصرخ بصوت عالي ويقول: "أيها السفلة البؤساء، لأقتلنكم الواحد تلو الآخر!!"

دخل أفراد بقية أفراد الفصيل داخل المدرعة للإطمئنان على رفاقهم، بينما تراجع القائد أحمد للخلف واتكأ على مقدمة المدرعة خلفه ليجمع شتات نفسه، ثم رفع رأسه للجسر، وإذا به يرى قائد العصابة، رجل في بداية الخمسينات من عمره، نحيف الوجه، لديه شاربه اسود ولحيته كثيفة، وحواجبه كثيفة، وشعر اسود طويل يصل لكتفه، تبادل الإثنين نظرات باردة، ثم قال قائد العصابة بصوت عالي وصارم: "أيها القائد!! العين بالعين والسن بالسن والبادئ الأظلم، هذا الثمن مقابل قتلكم لركاب تلك الحافلة، ولأنني كريم تركت لك بقشيشا داخل المدرعة، أمل أن يرضيك!!"

ركب سيارته مع باقي رجاله، وغادر المكان، نظر القائد أحمد للمدرعة أمامه، وخطا نحوها ببطء، وفي لحظة إدراك سريعة، استوعب أحمد كلام قائد العصابة، وركض نحو المدرعة بسرعة مناديا على باقي فصيلة للخروج منها، لكنه تأخر، لأن المدرعة انفجرت قبل أن يصل، إنفجارا قويا دفعه للخلف وارتطم بالمدرعة خلفه، وسقط أرضا، ورأى بأعينه أفراد فصيلة المتبقيين يموتون حرقا، محاولين الخروج من المدرعة وأجسامهم تحترق كليا ويصرخون من الألم إلى أن سقط آخر فرد منهم أمام قائدهم.

أبيد الفصيل 21 عن بكرة أبيه لم يبقى به إلى عصام وقائدهم أحمد، الذي تجمد في مكانه من الدهشة العارمة التي إنتابته، فصيلة مسح بالكامل في رمشة عين. وفي نفس الوقت صدر عبر مذياع المدرعة التي يتكئ عليها، كلام أنهم سوف يرسلون دعما لعين المكان بشكل عاجل.

من بعيد خرج عصام من المدرعة بسرعة، وركض مسرعا نحو أسفل الجسر بعد أن سمع صدح صوت إنفجار عنيف هناك. وعندما وصل عصام لأسفل الجسر، وجد المدرعة المنقلبة تحترق وجثث رفاقه الجنود المحترقة تملئ باب المدرعة، كما يوجد البعض منهم خارجها وصولا لقائدهم، الذي ظل متحجرا في مكانه لا يفعل شيئا.

تهاول عصام على ركبتيه تحت وطأة الصدمة مرة أخرى، لكن هذه المرة ليست لجندي واحد، بل لكل أفراد فصيلة المتبقيين وعددهم تسعة حيث أن تسعة آخرون لقو حتفهم، سبعة داخل المدرعة حين قتلهم العصابة، والبقية قتلوا أثناء الهجوم والتصدي لهم.

تخادل رأسه للأسفل، وبدأ يبكي بلا صوت ويضرب الأرض الملساء بقيضتيه من الحسرة وبدأ يقول بنبرة صوت يائسة والدموع مازالت تدرف من عيونته الحزينة: "لماذا؟ لماذا يحصل هذا لي؟"

بدأ يضرب بكلتا يديه على الأرض بقوة إلى أن بدأت تنزف الدم ويصرخ ويقول: "لماذا علي مشاهدة جميع من أحب يموتون الواحد تلو

الأخر! لماذا أنا دائما عاجز هكذا!؟"

وقف القائد أحمد ونظر لعصام المحطم بكل برود وركب المدرعة، وتكلم عبر راديو وقال: "هنا قائد الفصيل 21 من الكتيبة صاد، لقد أبيت الفصيل وقائد الفصيل 22، إنتهى."

نظر عصام للمدرعة، وقف ومسح دموعه بكم سترته وخطا نحوها، وركب قرب قائده وقال له: "والآن ماذا؟"

القائد: "سوف نكمل مهمتنا."

مسح عصام وجهه بكلتي يديه وقال: "حاضر أيها الزعيم."

وعلى بعد أربع كيلومترات منهم ينطلق موكب حماية محمد وباقي المذنبين بالحافلة، السيارات الخمسة رباعية الدفع السوداء، تحيط الحافلة البيضاء من كل الجهات لحمايتها على أكمل وجه، الحافلة التي تمتلئ بالمذنبين من ذلك الحي عشرات منهم مختبئين داخلها منتظرين فقط لحظة فتح الأبواب للهروب بحياتهم نحو الملاذ الأيمن.

-الثانية بعد منتصف الليل-

لازال الموكب في طريقه نحو المطار دون حصول أي عقبات في طريقهم طوال هذه المدة، الشيء الذي جعل اغلبهم يشعرون بالريبة وعدم الارتياح من هذا الهدوء المرعب، لذلك لم يضعوا أسلحتهم جانبا أبدا.

ومن داخل السيارة الأخيرة التي تحمي الحافلة من الخلف، رأى سائق تلك السيارة بالمرأة الداخلية، مدرعة سوداء منطلقة بسرعة من خلفهم، إنفتحت لرفاقه بالسيارة وقال لهم: "جهزوا أسلحتكم فهم قادمون!"

وقال نفس الشيء عبر جهازه اللاسلكي، لكن هذه المرة قبل ان ينهي كلامه، إختترقت رصاصة رأس الراكب خلفه، ورأسه، وكسرت زجاج السيارة وضوء الحافلة الخلفي أمامهم، سقط رأس السائق على مقود السيارة وبدأت تفقد توازنها، إلى أن امسك الراكب قربه المقود وبدأ يستعيد السيطرة، ومن خلفه رفاقه بدأوا بإطلاق النار بأسلحتهم النارية على المدرعة، كما أن البقية من باقي السيارات ومن داخل الحافلة زاد من سرعته، واخرج باقي الرجال أسلحتهم عبر النوافذ بحذر للتصدي للعدو بأقل الخسائر.

بدأ القائد أحمد هو الآخر يزيد من سرعة المدرعة، وبدأ يضرب مؤخرة سيارتهم بقوة وعصام من قربه يطلق النار مرة عبر سلاحه القناص ومرة بالمسدس، إلى ان أخرج قنبلة وأزال إبرة الحماية منها ورمها بقوة عبر زجاج السيارة المنكسر داخل السيارة، وأنفجرت بهم بقوة، واستغل القائد أحمد الأمر وضربها بالمدرعة ودفعها بعيدا، وتوجه للحافلة وبدأ بضربها بعنف، ثم بدأ عصام يطلق النار عليها بعشوائية، إلى أن باقي السيارات بدأ تحاصرهم من اليمين والشمال بالرصاص، وكادو أن يخرقو زجاج المدرعة الأمامي من شدة الرصاص الذي ظل ينطلق نحوهم مثل قطرات المطر الكثيفة في ليلة عاصفة.

لكن هذا لم يجعل الثنائي يخاف بل العكس قام القائد أحمد بخفض السرعة قليلا، وفتح نافذة قربه وبدأ يطلق النار بيد ويمسك المقود بيد. إلى أن رصاص حراس الموكب ردهم بشدة وقامت رصاصة بجرح ذراعه واسقط المسدس بالطريق، وظن القائد أحمد حينها أنها النهاية، إلى أن سمع صوت من جهاز الراديو: "إلى القائد الفرقة 21، سوف يتم إسقاط الموكب يرجى الإبتعاد عنه في أسرع وقت ممكن، نكرر..."

ومباشرة ضغط القائد على فرامل المدرعة بقوة، وسمع من فوقه صوت طائرة هليكوبتر وهيا تحلق فوقهم. توقف أفراد فرقة حماية الموكب عن إطلاق الرصاص ظننا منهم أنهم ماتوا، وعاد الجميع إلى داخل السيارة، وإذا بأدم الجالس بالمقعد الأمامي بالسيارة التي تقود الموكب، يسمع صوت مريب، صوت مروحية تحلق فوقهم .

من فوق الموكب على علو منخفض، تحوم مروحية عسكرية فوقهم، وبدأت تطلق النار بمدفع رشاش وهشمت الموكب بالكامل، ولم تكتفي بذلك فحسب حيث قامت بإسقاط قذيفة متفجرة بمنتصف الموكب ودمرته بالكامل.

-الثانية ونصف بعد منتصف الليل-

رابطة الموكب إنكسرت ودمرت جميع السيارات والدماء منتشرة في كل مكان، وجثث المذنبين المفحمة ملقاة على الأرض بأطفالهم وحولهم العديد من المدرعات وسيارات الإسعاف والشرطة تضوي الطريق بأنوارها، كما تم القبض على جميع من نجى وسوف يتم إرسالهم للسجن بالقطاع ف.

ومن بين كل تلك السيارات المنفجرة القائد أحمد وذراعه اليسرى لازالت تنزف الدم من مكان الإصابة، يقف أمام بابها المفتوح وينظر لأدم وقطعة من زجاج السيارة كبيرة إخرقت صدره، ويرفض الإجابة على أسئلة أحمد.

سحب القائد مسدسه بيده اليمنى وصوبه على أدم الذي إبتسم وهو يكح دمه وقال له مبتسما: "إفعلها، طالما سيدي بخير فأنا لا أهتم." رد القائد ببرود: "للأسف، قائدك وسبب عيشك، جنته تفحمت مع باقي المدنيين."

مرة أخرى بدأ أدم يكح الدم في حالة يرثى لها، وبدأ يضحك رغم ذلك. إقترب قائد وحدة التحقيق الجنائي لحفظ السلام المكلف بمعاينة المكان وتحليله مع باقي مجموعته، والتي لا يتم استدعائهم إلى في الحالات الخاصة، وقال للقائد أحمد: "هل لي بكلمة معك أيها القائد؟"

إلتفت له القائد ورد عليه: "ماذا هناك؟"

نظر المحقق الجنائي بنظراته الطبية إليه ببرود وقال له: "لا يوجد هناك أي أثر لعمش بين جثث المذنبين."

ثارت ثائرت القائد وأمسك المحقق الجنائي من ثوب بدلته السوداء وقال له بصوت عالي: "ماذا تقصد أن لا أثر له!؟"

رد المحقق الجنائي بهدوء: "كما سمعت أيها القائد، لا أثر له، وسوف نرسل فرقة للبحث عنه."

أضاف المحقق: "والآن هل تستطيع أن تبتعد عني؟"

أفلت القائد أحمد المحقق، وضرب بقبضته على السيارة من الغضب، وإذا به يسمع من داخلها صوت قهقهة أدم، تقدم نحوه أحمد ووضع المسدس على جبهته وزمجر بصوت عالي: "أين هو، عمش!!!!؟"

رد أدم بهدوء وهو يبتسم ابتسامة ماكرة: "في المطار."

فقد القائد أحمد صبره من كل أجوبة أدم المستترة وقال له غاضبا: "إن هؤلاء الأشخاص من أطفال ونساء وعجز مجرد تمويه عن رئيسكم، ضحيتكم بهذا الكم الهائل من الناس من أجل شخص واحد!؟ نحن لم نكن لكم الكره عبثا!"

كاد أن يطلق القائد أحمد النار على رأس أدم ويفجر دماغه، إلى أن جاء رئيسه، قائد كتيبة الصيادين، سعد الدين هجيل، ونادى عليه بصوت حازم: "أيها القائد؟ ماذا تظن نفسك فاعلا؟"

تقدم نحوه القائد ووقف قربه ونظر لأدم وقال: "إنه مصدر معلومات مفيد لنا، إذهب لسيارة الإسعاف لكي يفحصوا جرحك وأنا سوف أتكلف به. وبسرعة فلدينا مهمة أخرى، سوف نقتحم الحي، لدينا أخبار تفيد أن الأشخاص الذين هاجموكم يتجهون نحوه، لذا هذا سبب كافي يمنحنا الحق للتوغل بالحي، وخصوصا بعد هذه الحملة العنيفة منا."

نظر القائد أحمد له بإحترام، وغادر نحو سيارة الإسعاف عابس الوجه عاقدا حاجبيه بشدة، وقبض يده بإحكام.

وصل لسيارة الإسعاف المصفوفة بمنتصف الطريق، جلس القائد في مدخلها الخلفي، وجاء طبيب وقال لأحمد: "هل لا نزعت سترتك؟"

رفع أحمد وجهه لطبيب قائلا: "هل هذا ضروري حقا؟"

الطبيب: "نعم كي يتسنى لي تنظيف وتعقيم جرحك ولف الضمادات على ذراعك."

زفر أحمد منزعاً، ثم بدأ بإزالة الدرع من صدره، بيد واحدة، وحاول الطبيب ان يساعده، لكن احمد أبعد يده قائلاً: "لم أطلب لذا لا تفعل."

رمى الدرع على الأرض، وأزال القميص الأسود من على جسده، لينصدم الطبيب عندما رأى الكم الهائل من الحروق الكبيرة والندبات المنتشرة في صدره ومعدته، لكنه لم يبدي أي ردة فعل، إلا ان أحمد ومن خلال نظراته فهمه وقال له: "هل أحببت اللوحة الفنية على جسدي؟"

إقترب الطبيب مع المعقم وادواته لتعقيم الجرح قائلاً بتوتر: "يا إلهي لا طبعاً، بل متأسف على ما أصابك."

ابتسم أحمد مطأطأ رأسه وقال: "لا حاجة للتأسف أيها الطبيب، هذه فقط ذكريات قررت أن تبقى معي."

رد الطبيب: "حسناً، أمل أنك تخطيتها."

أحمد: "نعم..."

أكمل الطبيب تعقيم الجرح، وبدأ يلف الضمادات على ساعده وابتعد خطوتين قائلاً: "هذا سيفي بالغرض إلى أن تصل للمستشفى ويقومون بغرزها."

وقف أحمد وارتدى قميصه ودراعه واقترب للطبيب وربت على كتفه قائلاً: "شكراً لك."

ومشى نحو السيارة أين يوجد ادم، وقبل أن يصل أمسكه عصام من ذراعه وقال له بعجالة: "سيدي هل حقا عمش غير موجود؟"

إلتفت القائد أحمد لعصام وقال له: "نعم هذا صحيح."

قبض يده بإحكام وقال: "تبا! هل هذا يعني أنه الآن في طريقه نحو المطار؟"

القائد أحمد: "نعم، أخبرني الشاب بالسيارة انه الآن بالمطار لكن ذلك مستحيل فالطريق بعيدة، وأيضا... سليل أوزغار لا زال يلاحقه، لذا إذهب!"

استغرب عصام وسأله: "أذهب أين؟"

القائد أحمد: "لمطاردته والحضي بانتقامك، أليس ذلك ماتريده؟"

عصام: "وأنت؟ ألن تأتي معي؟"

القائد أحمد: "لا أظن ذلك، سوف أحضى أنا أيضا بانتقامي."

صفع القائد أحمد عصام بشكل خفيف وقال له: "كل ذلك الكلام الذي أخبرتك عنه عن الإنتقام وفصل العواطف وذلك الهراء، إنسه، إذهب الآن وفجر دماغه."

عصام: "لكن لقد تم تعيني لأقوم بتمشيط الغابة مع باقي الجنود، كيف سوف اهرب."

القائد أحمد: "أنا سوف أتكلف بذلك والآن إذهب."

تراجع للخلف وأضاف على كلامه: "سوف نلتقي فيما بعد، أيها المجند."

تراجع عصام هو الآخر وركب بتلك المدرعة التي جاء بها مع قائده ورحل بسرعة، وحاول بعض الجنود منعه لكن القائد أحمد ردهم قائلاً: "تركوه، انا من أمره بإكمال مهمته."

مر أحمد من بينهم وقال مخاطبا نفسه: "انا قادم....ياأخي."

-الحاجز الأمني بين القطاع ن و القطاع ق-

صف طويل من السيارات ينتظر دوره للمرور بين حاجز أمني من الشرطة، حيث تقوم الشرطة بأخذ بطاقة التعريف الوطنية من السائق لكي تعرف إذا كان شخصا عاديا او مذنبا، وإذا كان مذنبا سوف يتم تسجيل إسمه في قائمة خاصة برحلة التي ستنتقل فجر هذا اليوم، لإحصاء عددهم.

تقدمت أحد السيارات وغادرت الحاجز نحو القطاع قاف، وجاء دور السيارة التالية، طرق الشرطي على زجاج السيارة، وفتحت النافذة ببطء وظهر عمر خلف الزجاج، وأعطى بطاقته الوطنية للشرطي بهدوء.

9: المراقب.

-قبل وصول عمر ووالده لنقطة التفتيش-

قبل أن يركب محمد داخل السيارة السوداء أمامه بالموكب المتجه نحو المطار، سحبه رجل عجوز قصير بعكازه الخشبي من ذراعه بقوة وقال له: "تعال معي."

إلتفت محمد لذلك الرجل وقال له: "أيها العم مصطفى ماذا يجري؟"

نظر إليه مصطفى وقال له: "فلتأتي معي، فكرة وجودك مع ذلك الكم الهائل من الأشخاص قد يعرض حياتهم للخطر، وخصوصا إذا سرب أحدهم معلومة أنك موجود معهم، لذا من الأفضل أن تذهب لوحدك في طريق مختلف...وبما أنني رئيس هذا الحي لا أريد سماع أي عذر مفهوم؟، فحياة رعيتي أهم إلي من نفسي ومنك!"

نظر حازم إليه وقال له: "إنه محق، لا اعرف كيف لم أفكر بهذا الأمر، إذهب أنت وعمر معه، وأنا سوف أخبر أدم والبقية بالذهاب بدونك."

لحق محمد مع ابنه عمر بالعم مصطفى داخل الحي، حيث أخذهم لأحد مراتب المهجورة بأخر حي ظاهريا وشكليا فقط، فتح العم مصطفى قفل باب المرأب، وأشعل المصباح الوحيد هناك، ليظهر المرأب المليء بالعديد من الأرفف والصناديق المليئة بالمستندات والأسلحة، قال محمد وهو ينظر باستغراب للمرأب: "هل سوف نختبئ هنا؟"

ضرب العم مصطفى بعكازه على ساق محمد وقال له: "هل بدأت تفقد بصرك أم ماذا، ألا ترى الباب على الأرض."

إقترب العم مصطفى نحو الباب ببطء وعندما أراد رفعه اقترب إليه عمر ليساعده، لكن العجوز طرده بعكازه وفتح الباب لوحده وهو يقول: "هل رأيتني استغيث بالمساعدة يا ابن محمد؟"

نظر العم مصطفى لهما وقال: "هنا انزلا لتحت واستمرا بالمشي للأمام ستجدان باب آخر مثل هذا..."

رمى العم مصطفى بمفاتيح سيارة وأكمل حديثه: "ستجدان نفسيكما في مكان خارج الحي اعتدنا التهريب فيه منذ سنوات، وعندها سترىان سيارة سوداء قديمة لا تلفت الأنظار إركابها وغادرا حسنا؟"

رد عليه محمد: "لقد قمنا بتهريب عمر به بالماضي مع حكمت، والأن سأهرب منه..."

تقدم محمد نحو العم مصطفى وقبل يده قائلا: "فلتبق بصحة جيدة حسنا أيها العم؟"

أبتسم العم وقال له: "الأعمار بيد الله يا بني، والان هيا إذهب، علي ذهاب أنا أيضا، وإلا سوف تفجر فاطمة طبله اذني من العتاب لأنني لم أأخذ دوائي بعد."

خطى العم مصطفى ببطأ نحو الباب و التفت لعمر وقال له: "أيها الشاب! إحمي هذا الرجل فهو بمثابة إبن لي."

نظر العم مصطفى لوجه عمر وقال له مبتسما: "لقد كبرت حقا، لكن لازلت قليل الكلام كعادتك."

-الحاضر-

ومن الحاجز الأمني بين القطاع ن و ق، يمد عمر بطاقة تعريفه الخاصة مرتديا قبعة صيفية زيتية على رأسه، وسترة سوداء طويلة على جسمه، إنحنى الشرطي للسيارة وأشر بكشافه الضوئي داخلها، ليرى محمد بالخلف مستلقي على الكراسي يغط في النوم، ويغطي جسمه بلحاف أخضر، وقبل ان يتمعن الشرطي فيه كونه هو وكل من يعارض القوانين السامية يعتبر خائن للإنسانية ويجب إبادته، وتمنع عليه تلك الرحلة.

بدأ عمر يثرثر عليه لكي يشتته وفي نفس الوقت يضع يده على المسدس خلف سترته: "أرجوك ياسيدي، أبي مريض وعلي أخذه للمستشفى في أقرب وقت ممكن...فلتتظر في حالنا وتسرع أرجوك."

انزعج الشرطي من ثرثرة عمر وقال له وهو يدق بهراوة على السيارة: "هيببي! فلتكف عن هذه الثرثرة وأيقظ والدك بسرعة."

غضب الشرطي وصرخ قائلا: "إفتح وإلا منعك من المرور، هيا إفتح!"

تنهد عمر، وفهم ان أسلوب الخضوع لن ينفع لذا فتح قفل باب السيارة الخلفي، واخرج الشرطي مسدسه وفتح الباب بسرعة، وأدخل رأسه ويديه لداخل السيارة، وفي نفس الوقت يضع عمر قدمه على دواسة البنزين ويفكر في الإنطلاق بالسيارة وقتله بداخلها.

والمشكل الأكبر هو أن قوات حفظ السلام وصلت للمكان وبدأت تفتش كل السيارات من مؤخرة الصف، ثم بدأ يسمع عمر صوت إطلاق النار من الخلف، والشرطة لم تستطع فعل شيء بسبب الميثاق وقسمهم تجاهه، ووقفوا بأماكنهم مثل التماثيل عديمة الفائدة.

إرتبك عمر حينها وكاد أن يضغط على دواسة عندما رأى عبر المرأة قوات حفظ السلام تتقدم عبر صف السيارات شيئا فشيئا وتقتل كل مذنب داخل سيارته، إلى أن أظهر محمد نفسه للشرطي لحماية إبنه، ولكن حينها الشرطي تراجع وقال له: "لا تخف ياسيدي لن أذعهم يروك." "إلتفت الشرطي لعمر وقال له: "أنت! فلتحمي هذا الرجل لقد أنقذ جدي من أولئك السفاحين، سوف أذعكم تمررون، ولكن إحدروا فهم منتشرون بالقطاع ق وسلطتنا عليهم محدودة بخصوصكم."

أخرج الشرطي رأسه من السيارة وضرب على السيارة بقوة وقال لعمر: "هيا فلتذهب، هناك العديد من السيارات تنتظر دورها!"

نفذ عمر أوامر الشرطي وهو في حالة صدمة غير مصدقا لما حصل قبل قليل، هل كانت هذه صدفة، أم نتيجة ما ضحى محمد لأجله لسنوات؟

ركض أفراد قوات حفظ السلام نحو السيارة وبدأوا بالإطلاق عليها، لكن الشرطي منعهم قائلا: "هذه منطقة حكومية لا شأن لكم بها!"

وضع الجندي فوهة مسدسه على صدر الشرطي قائلا: "كن مطيعا مثل رفاقك وإلا أحدثت ثقبيا بصدرك."

لكن الشرطي لم يحرك ساكنا وقال لرفاقه: "كم علينا أن نصبر اكثر لهؤلاء القتلة، ندعهم يقتلون ويفسدون ونحن نشاهد كالأصنام، فما فائدة كل سنوات تدريبنا وقسمنا لأداء إن لم يكن لأداء الواجب وحماية المظلوم ومعاقبة الظالم، هل كانت مجرد شعارات رنانة نرددها بينما الواقع شيء آخر!!؟ إذا كان كذلك فانا لن ادعهم يفعلون مايشاؤون وسوف أطبق ماتعلمته وسأقف بطريقهم حتى لو كلفني ذلك حياتي!!"

لكن أفراد الشرطة لم يتحركوا قيد أنملة، فلقد اعتبروا كلامه، ماهو إلا طعم سوف يؤدي بهم إلى التهلكة كما سيفعل برفيقهم الأن.

ضحك جندي قوات حفظ السلام مع رفاقه وجهاز سلاحه لكي يطلق، لكن الشرطي لم يتحرك وظل واقفا خلف مخرج الحاجز بكل شهامة.

وضع الجندي إصبعه على الزناد وكاد أن يطلق النار عليه بلهفة، لكنه تلقى نداء عاجل عبر جهازه اللاسلكي يخبره أن يعود هو ورفاقه أدراجهم ويدع المذنبين يرحلون في سلام.

أسقط الجندي سلاحه بقوة من الغضب ونظر لأعين ذلك الشرطي الشجاع وهدده بسبابته: "إختفي!! هل سمعت!!؟ إختفي!!! هل سمعت!!؟ لأنني إذا رأيتك مرة أخرى لن أرحمك!!"

نظر له الشرطي وقال له مبتسما: "أطع سيدك وارحل من هنا قبل أن يعاتبك بشدة."

رحل أفراد قوات حفظ السلام بسياراتهم، وأكملت الشرطة عملها، إقترب أحد أفراد الشرطة لذلك الشرطي وقال له وهو يضحك: "هل تريد ان تكون بطلا أم ماذا؟"

نظر له الشرطي بجدية، ثم انتزع شارة الشرطة من ذراعه واسقطها قائلا: "نعم!، كنت أظن أن عملي كشرطي سوف أصبح مثل والدي، لكن... ذلك زمان وهذا زمان آخر.."

ثم غادر ذلك الشرطي في حال سبيله، وذهب لمحطة الحافلات ينتظر الحافلة ليرحل. وبينما كان ينتظر، وقفت أمامه سيارة سوداء، لم يكترب الشرطي لها فقد كان غارقا في همه، بدأ زجاج السيارة الأمامي ينزل ببطء، ونادى عليه أحدهم من داخلها قائلا: "أنت!"

رفع الشرطي وجهه وقال ببرود: "إذهب في حال سبيلك."

فتح باب السيارة الخلفي وقال له من في داخلها: "إركب لمصلحتك، هم يراقبونك الآن كونك تكلمت بالحق."

تعجب الشرطي من كلامه وشعر ببعض الخوف، وفتح باب السيارة الأمامي أين كان يتكلم ذلك الشخص، وخرج منها رئيس قسم الشرطة السابق، عبد العزيز وقال له: "تريد ان تصبح بطلا؟، تعال معنا."

بالعودة لعمر والديه. إجتاز عمر الحاجز الأمني بسلام، وأكمل قيادته وهو يضحك بصوت عالي من الصدمة ويقول لوالده الذي أزال اللحاف من فوقه: "هل رأيت، لقد تركنا نمر بسلام يا أبت... سكت عمر حينها ورد عليه والده مبتسما وهو يرى الفرحة على وجه ابنه: "لم أرك مبتسما هكذا منذ ان كنت طفلا صغيرا..."

تنهد واكمل قائلا: "تلك الغمازات التي ظهرت لك، ذكرتني بوالدتك، ضحكته كانت كالمرهم على جروحي الداخلية والخارجية."

تبسم عمر قائلا: "أتعلم؟ رغم انها كانت تعاني بالمستشفى إلى أن الضحكة لم تفارق وجهها البشوش، وحتى قبيل وفاتها بيوم، كانت تبسم وتضحك معي كما لو أنها بصحة وعافية..."

قبض عمر على مقود السيارة بقوة: "لم تكن تريد أن تظهر لي حجم معاناتها، إلى أن طبيبتها كان تخبرني على حالتها بكل فترة وعن الألم الذي تشعر به وتقاومه... لقد كانت تقاوم لأخر يوم في حياتها من أجلنا، (نظر من مرآة السيارة لوالده) لذلك أنا نسيت كل ما حدث في الماضي وأركز الآن فقط على تنفيذ وصيتها، لكي تتيقن أنها تركت خلفها ابنا سيفعل المستحيل من أجل حماية والده."

إبتسم محمد وقال لإبنه وهو ينظر له بفخر: "لقد تغيرت كثيرا، ماذا حصل طوال تلك السنين، أعني بعد موت حكمت؟"

عمر: "كنت أهرب، وأهرب..."

محمد: "نهرب من همونا إلى أبعد نقطة ممكنة، إلى أنه وفي كل مرة نطن اننا نسيناها، نجدها قربنا، لم تفارقنا أبدا. وها نحن الآن، نهرب منها مرة أخرى."

إبتسم وأضاف على كلامه متهمكا: "ولكننا الآن نهرب بالسيارة في الظلام الدامس لا أظن أنها تستطيع مجاراتنا."

بدأ عمر يضحك مع والده على كلامه الساخر، ولم يدم الأمر طويلا، حتى جاءت طلقة نارية من الخلف وفجرت العجلة الخلفية، وفقد عمر

سيطرته على السيارة، واخترق السياج الحديدي على حافة الطريق، واصطدم مع جذع شجرة بقوة وفقد عمر وعيه، بينما محمد لم يحصل له شيء، وخرج من السيارة بسرعة محاولاً إنقاذ ابنه بأقصى سرعة، إلى أن فقد هو الآخر فقد وعيه، بعد أن ضربه عيسى بمقبض مسدسه على رأسه.

نظر عيسى لمحمد الملقى أرضاً بنظرات حقد وكرهية، وصوب عليه بمسدسه، وكاد أن يطلق على رأسه، لكنه تراجع في اللحظة الأخيرة، وفتح باب السيارة على عمر وقام بإخراجه من السيارة وهو ينزف جرح بجبهته، وربط عيسى يديه وفعل نفس الشيء مع والده، وبدأ يسحبهما داخل الغابة المظلمة.

-1992-

يجلس ولد على أريكة بنية في صالة منزله يشاهد الرسوم المتحركة على التلفاز في صمت، ومن خلفه صوت مرتفع لنقاش حاد يقع في الغرفة المجاورة له، ولكي لا يسمع الولد صوتهم. رفع من حدة صوت التلفاز، ونهض من على الأريكة وجلس على الأرض مقابلاً التلفاز بهدوء. ثم فتح باب الغرفة المجاورة بقوة وخرج منه محمد غاضباً ويقول للشخص الذي كان يناقشه: "سأرسله مع حكمت، سوف يكون بأمان معه."

توجه محمد، لولده وانحنى إليه وأخذ جهاز التحكم عن بعد و أطفئ التلفاز، وامسكه من ذراعيه بحنية وقال له مبتسماً: "عمر! بني، سوف تذهب من هنا لفترة إلى أن تهدأ الاوضاع حسناً؟"

أما عمر برأسه لوالده، ثم تنهد محمد قائلاً: "هاه، يبدو أنني لن أكون موجوداً عندما ستتكم مجدداً."

وقف محمد وأمسك بيد ولده وقال له: "سوف أأخذك الآن، لكن قبل ذلك، أدخل وودع والدتك في الغرفة."

أقلت محمد عمر وخطا عمر نحو والدته في صمت كعادته، ثم فتح الباب على صوت بكائها، دخل للغرفة، وتقدم نحوها في صمت بوجه بارد، فوجدها جالسة على حافة السرير تضع كلتا يديها على وجهها وتبكي بحرقة، والكثير من أكياس الدواء مرمية في الأرجاء.

ظل عمر واقفاً أمام أمه لا يحرك ساكناً ولا ينطق بكلمة، ولا كأنه مكترث لها، ظل على هذا الحال لبرهة، ثم استدار وعاد لوالده ولم يودعها، وأمسك والده من يده مبتسماً وغادر الإثنان المنزل.

بعد مرور خمس ساعات، وصل محمد وعمر إلى حي المذبذبين، وهناك التقى عمر لأول مرة حكمت، توجه محمد وعمر نحوه، وقبل أن يصلا قال محمد لعمر: "ذلك الرجل العجوز هو من سوف يرافقك، حكمت."

صافح محمد حكمت وسلم الإثنين على بعضهما البعض، وانحنى حكمت لعمر، ومسح على شعره الأسود الحريري مبتسماً وقال له: "ماشاء الله نسخة صغيرة من محمد... دعني أقدم لك نفسي أولاً، انا حكمت، العجوز الذي سوف يرافقك ويعتني بك جيداً، لكن لا تحتقرني، أنا رجل عجوز لكنني قوي جداً."

نظر عمر لوالده بخصوص لهجة حكمت، وقال له: "إنه فلسطيني لكنه عاش وتربى في ليبيا، المكان حيث ستعيش لبعض الوقت إلى أن تهدأ الاوضاع هنا."

نظر محمد لحكمت وقال له متهمكماً: "لا تدعه يدمن زيت الزيتون والزعتر."

حكمت: "لا أظن انه سوف يقاومها، أليس كذلك يا عمر؟"

لكن عمر لم يجبه واكتفى بالصمت ومراقبتها، نظر حكمت لمحمد، ثم تنهد محمد قائلاً: "هو على هذه الحال منذ تلك الحادثة، لم يعد يتكلم كسابق، لقد اعتاد أن يكون ثرثاراً كثير الأسئلة."

نظر حكمت لعمر مبتسماً وقال له: "سوف أجعله يتكلم معي ويسألني دون توقف."

فتح المرأب من خلفهم وخرج منه العم مصطفى وهو يصرخ عليهم قائلاً: "ها لا وقت لدينا، أين الطفل!؟"

تقابلت عين مصطفى وعمر مع بعضهم البعض، ليبتسم مصطفى لا إراديا ويقبل عمر من رأسه وقال له: "سوف تكون بخير يا بني لا تخف".

عاد مصطفى مجددا للمرأب ولحق به البقية، وفتح الباب الأرضي لوحده، وقال لهم: "هنا، أحد الأنفاق تحت أرضية أين نقوم بتهريب الأسلحة والاكل منها، في آخر النفق، ستجدان حافلة في إنتظاركما بها مكان سري."

حمل حكمت الحقائب وعمر حقيبته الصغيرة، وإقترب والده له بسرعة وعانقه بشدة وهو يبكي ويقول: "حاولت أن امنع نفسي لكن لم أستطع، إعتني بنفسك يا بني جيدا وإستمع لكلام حكمت، وعد إلينا سالما، أنا لا أعلم كم سنفترق لكنك ستعود وسوف نعيش كعائلة نحن ثلاثة مجددا، حسنا!؟".

أفلت محمد عمر، الذي مجدد لم يبدي أي ردة فعل، ثم قام محمد وصافح وعانق حكمت وقال له: "رافقتكم السلامة، ولا تقلق بشأن ادم فهو بأيدي أمينة، لذا كن لعمر كأب ثاني له واعتني به."

رحل حكمت وعمر والدموع لم تفارق وجه محمد حينها، وضع مصطفى يده على كتف محمد وقال له: "إصبر يا بني، فإن بعد العسر يسرا".

-2000، جنوب ليبيا-

قبل أن يلتقي عمر بخاله عيسى بساعات.

يقف لوحده في السهب الفاحل حيث كان مخطوفا هو وحكمت من طرف تلك الجماعة، وها هو الآن يقف أمام قبر حكمت، قبر الرجل الصالح الذي عمله ورباه وجعله على ما هو عليه الآن، بدأ عمر يذرف الدموع في صمت وهو ينظر للقبر، ممسكا بحفنة من ترابه بقوة وحببات التراب والحصى تتساقط من يده الخشنة.

مد قبضته فوق القبر وأسقط التراب وأخذه الريح العليل، وقال عمر بصوت متألم: "شكرا لك، وإلى لقاء اخر لنا بالسنة القادمة، إذا إستطعت الصمود أكثر...".

-الحاضر-

إستيقظ عمر من غيبته ووجد نفسه متكأ على جذع شجرة ورأسه ينزف ويؤلمه، أراد عمر أن يضع يده على رأسه، وإذا به يجد نفسه مربوطا على الجذع، ورأى أمامه والده هو الآخر مثله وعلى رأسه سلاح موجه من طرف عيسى.

أصيب حينها عمر بالجنون قلبه بدأ يبيض بشدة محاولا إبعاد الحبل عنه وفك أسره، ويهدد عيسى بصوت عالي، وفي أعماقه هو مرتبك وخائف جدا، خائف أن يعاد نفس الحدث الذي وقع له مع حكمت، لذا زاد انفعاله أكثر وبدأ يركل بكلماته رجليه بقوة ويصرخ كالطفل خوفا على والده.

أبعد عيسى سلاحه عن محمد اقترب لعمر ببطأ وقال له: "لماذا كذبت علي يا ابن أختي؟"

إنحنى عيسى إليه وأكمل كلامه: "كنت أراقب والدتك كل يوم منذ اختفائك أنت والدك لسنين، وذهبت بنفسي لإحضارك، لكي تخرج والدك من جحره، انتظر... ثم انتظر... وانتظر، أنتظر اللحظة التي سوف يظهر فيها، لكنه لم يظهر. لكن تلك الرسالة، تلك الرسالة التي خلفت وراءك يا ابن أختي، هيا من اوصلتني إليكم، لذا، انا اشكرك من اعماق قلبي، لأنك تركتها واشكر اختي العزيزة لأنها ساعدتني حتى وهيا ميتة."

صوب عيسى مسدسه على محمد، وإذا بعمر يرتعب، وبدأ بترجي عيسى لا شعوريا وهو يرتجف من الخوف: "لا، لا، لا، لا، أرجوك، أرجوك لا تفعلها، لا تفعلها أنا أترجأك، لا تفعلها أرجوك، أرجوك!!"

وقف عيسى ورمق ابن اخته بنظرات غاضبة وهو يغلي من داخله وعروق وجهه بدأت تبرز، ورد على عمر: "لماذا؟ لماذا تكثرت لهذا

السافل؟ هذا السافل الذي ترك والدتك تموت، هذا الحقير الذي أرسلك مع ذلك العجوز وظل هنا مختبئاً كالجرذ، أخبرني فقط لماذا، ألم تخبرني بالمقبرة أنك لن تسامحه، ماذا حدث الآن؟!"

جمع عمر شتات نفسه ورمق خاله بنظرات حادة وقال له: "هو لم يتخبي يوماً، لقد كان طوال تلك السنين، يكرف ويسهر الليالي لإنقاذ المظلومين، كان يستطيع بكل سهولة الهرب معي ومع أمي إلى مكان بعيد و نعيش حينها في سلام وأمان، لكن لا، أبي كانت لديه مسؤوليات، كانت لديه أنفوس عليه إنقاذها، وعائلات، وحصن عليه حمايته، وكان المقابل هم نحن، وأنا وأممي تفهمنا، وأممي ساندته ودعمته... وأنا الآن فهمت وسامحته."

قاطع عيسى كلام عمر وقال له وهو يستشيط غضباً: "كلا لم تفعل! بل كانت تعاني لوحدها، خلفها ورائه ورحل، ما بك يا عمر هل غسل والدك دماغك بهذه السرعة؟"

قرر عمر مواجهة خاله بالكلام لحين قطع الحبل عبر فرقه مع غصن صلب يقع مباشرة أعلى يديه: "بل فعلت، فأنا من كنت أعتني بها طوال مدة مكوثها بالمستشفى، وهيا من أخبرتني، لقد شجعت وأمرته أن يرحل وأن لا يعود مجددا كي لا تكون هيا عبأ عليه، لقد أخبرتني بكل هذا، وأنا وليس أنت، فأنت لم تأتي يوماً لزيارتها، بل إكتفيت بالمراقبة، راقبتها وهيا بالمنزل لوحدها لسنين، راقبتها وهيا تعاني في المستشفى، ولم تجرباً لو لمرة واحدة أن تكون اخا وتذهب وتقبل رأسها وتساندها كما على الاخ ان يفعل! والأن تريد أن تقوم بدور الاخ الجيد؟!"

ترجع عيسى ووضع يده على رأسه وقال وهو بائز عاج: "أصمت، فقط أصمت!!"

عمر: "أنت لم تحبها من الأساس كونها الطفلة المحبوبة لوالديها، حتى أنك أحضرتني لإيجاد والدي والإنتقام منه لقتل أخيك وليس لتركة والدي كما ادعيت... تبحث عن الإنتقام لإرضاء أخيك، لكنك نسيت أنك وبماذا كانت لتشعر لو قتلت زوجها وسندها إنتقاماً لأخيها الذي..."

صرخ عيسى بقوة وقال: "لقد كانت كل شيء بالنسبة لي!!! لكنني... لكنني لم أقدر نعمة وجودها بجانبني إلى بعد زواجها وإنجابك، ثم مرضها، ثم... لم أستطع، لم أقدر على مواجهتها، لم استطع رؤية أختي تحتضر أمام عيني..."

نظر عيسى لمحمد بنظرات مرعبة وقال: "إلى أن ظهرت أنت كاللعنة المتسلطة على عائلتنا، دمرتنا وسلبتني كل ما أملك!!"

رد عليه محمد بصوت عالي: "انا لم أفعل أي شيء خاطيء، أنا فقط تزوجت بأختك بموافقة من والدك، وكونت عائلة صغيرة ل11 سنة رائعة..ظننت حينها أنني حققت كل ماطمحت لفعله في حياتي، زوجة لا مثيل لها، طفل جميل، عائلة صغيرة مثالية.(نظر محمد لأعين عيسى بغضب) إلى أن خرج يوسف من السجن وتغير كل شيء، كاللعنة المتسلطة على عائلتي، هو من دمر كل شيء وليس أنا، بسببه لم أعد قادراً على رؤية عائلتي مرة أخرى!"

عيسى: "أصمت، لا تنطق إسمه بفمك النجس!"

محمد: "بل أنت من ستصمت ودعني أنهى كلامي، لقد سكت وصبرت على ماكان يأتييني من أخيك وأنظر ماذا حصل لنا، هل تعرف حتى لما قتلت اخيك، الذي كان بمثابة أخ لي من الأساس؟ إذن دعني أخبرك... أخبرك بالقصة الحقيقية وحينها أنت قرر..."

-قبل 11 سنة-

يجلس محمد في مكتبه يخطط مع حازم وبعض من رجاله للهجوم على ناقلة للسجناء، وبينما كانوا يدرسون الأمر، إتصلت ملك بعمر، لذا قام عمر بايقاف الاجتماع بشكل مؤقت، خرج من المكتب مبتسماً ومتحمساً لسماع صوت زوجته الذي ينعش قلبه وينسيه ثقل المسؤولية التي عليه، اجاب عمر على اتصال زوجته، لكن بدلا من سماع صوتها الهادي، سمعها تبكي وتقول: "حمدا لله أنك أجبت..."

اقتصر بدن محمد حينها ظنا منه ان قوات حفظ السلام عرفوا منزله، لكنه ركز مع زوجته ورد عليها بسرعة: "مالذي يجري يا ملك؟!"

ردت ملك وهيا ترتعش من الخوف وتبكي بشدة: "إنه يوسف لقد عاد مجددا وهو الآن يركل الباب بقوة ويصرخ.. إنه يريد إقتحام الباب وأخدي معه بالقوة، أرجوك تعال وانقذني، تعال وافعل شيئا قبل عودة عمر من المدرسة."

عقد محمد حاجبيه من الغضب وقال مخاطبا نفسه بعد أن أنهى المكالمة: "لقد تجاوزت حدودك يا هذا!"

ثم ركض مسرعا خارج المقر توجه مباشرة نحو المرأب وخرج من النفق الخاص به، نحو سيارته وإطلق بسرعة نحو المنزل وهو خائف في حالة إقتحام يوسف الباب في أي لحظة واختطاف زوجته ملك، أو ماهو أسوأ أن يعرف ما يفعل محمد ويتصل بقوات حفظ السلام حقا عليه.

بعد نصف ساعة من الطريق، وصل محمد لمنزله، وخرج من السيارة بإستعجال وركض نحو المنزل ومعه مسدسه بيده، وعندما وصل، وجد الباب محطما، وسمع صوت صراخ زوجته في الداخل، اندفع محمد نحو المنزل، ووصل لغرفة المعيشة هناك وجد يوسف أخ ملك الكبير، يمسكها من يدها بقوة ويحاول سحبها معه بالغضب، وهيا تبكي بشدة.

عندما رأى محمد ذلك المنظر وكيف أن زوجته تهان أمامه، ويدها حمراء من شدة مسكة أخيها، صوب محمد مسدسه، وأطلق على يوسف الرصاص لا شعوريا على ظهره، وسقط أرضا جثة هامدة أمام أخته، ركض محمد نحو زوجته وحضنها بشدة ووساها: "انت بخير الآن لا تخافي، لن ادع أي شخص يلمسك مجددا!"

لكن زوجته قالت كلمة واحدة وهيا تنتظر أمامها: "عمر!"

إلتفت محمد وإذا به يرى عمر الصغير، يقف ساكنا لا يتحرك بوجه شاحب أبيض كالثلج، وهو يرى جثة خاله ودمائها بدأت تجري على أرضية المنزل إلى أن وصلت لعمر ولامست حذائه الأبيض الصغير.

-الحاضر-

أكمل محمد كلامه: "وهل تعلم، والدك، والد يوسف الذي قتلته بيدي، لم يعاتبني حتى عندما عرف بذلك الخبر، بل أعتذر مني، بعد أن أصبحت مذنبا لأنني أنقذت إبنته من ذلك الوحش، ولأنني سوف أواجه المصاعب منذ تلك اللحظة بعد ان كشفت هويتي، فلقد كان مساندا لي مثل إبنته فما أفعل."

وقف عيسى توجه نحوه وهو يصرخ قائلا: "كاذب.. كاذب... لقد رأيت والدي أمامي وهو يبكي على إبنته."

محمد: "يبكي من الحسرة، فأنا أعرف السيد يعقوب، ابتلي ببلاء عظيم، كلفه صحته وجهده، فلا تكن الابن الرابع الذي عليه دفنه في المستقبل وتتركه مع والدتك لوحدها في ذلك المنزل الفسيح. اذهب تب إلى الله، عش حياتك، تزوج، أنجب أولادا وأحفادا لوالديك، واجعلهم سعيدين ولو في آخر أيام حياتهما."

ومن بين الأشجار، خرج البستاني نحوهم مرتديا سترة عسكرية، مع باقي فرقته، إقترب نحو عيسى محاولا تهدئته: "توقف يابني لا تفعلها."

مد البستاني يده لعيسى قائلا: "هيا تعال معي!"

نظر عيسى إليه وبدأ ينظر حوله وأمسك رأسه قائلا: "لا أستطيع أنا لا أملك مكان اذهب إليه بعد الآن والدي كان محقا نحن ندمر أنفسنا بأيدينا."

قطع عمر الحبل بعد عناء، وركض مهاجما عيسى، إلى أن أمسكه أحد افراد فرقة البستاني، وعندما رأى عمر وجهه، بدا له مألوقا، وقال له ذلك الجندي: "أمل أن اللكمة التي أعطيتك لم تكن مؤلمة؟"

إستوعب عمر حينها هويته، هو من قام باختطافه صباح اليوم لكنه كان مقتنعا: "كيف لم افهم؟"

إلتفت البستاني قائلا: "أنا من أمرهم بإخراجك من المنزل، لأن عيسى بلغ عن وجود والدك بالمنزل، لذلك أخرجناك بسرعة وأخذناك لوالدك."

عاد البستاني مجددا ليعسى ووضع يده على كتفه وقال له: "هيا يا بني، لنأخذك من هنا!"

نظر عمر ليعسى وقال مخاطبا إياه: "تعال معنا!"

إقترب نحوه أكثر واكمل كلامه: "لقد قرأت الرسالة، تعال معنا، ودعنا نحقق وصيتها الأخيرة!"

لم يجب عيسى على أين منهم، بل نظر لمحمد وقال بصوت هادئ: "لقد فزت مرة أخرى."

نظر عيسى لعمر وقال له: "سوف نلتقي مجددا يا ابن أختي."

حمل عيسى حقيبة أسلحته وتوجه نحو الأشجار وإختفى بينهم.

ركض عمر نحو والده، وقطع الحبل عنه، ورفع بروية، وتوجه نحوهم البستاني قائلا: "تعاليا معنا، سوف نأخذكما للمطار."

-قبل ساعة-

من داخل قبو منزل يعقوب، كان البستاني يجهز نفسه، ونزل يعقوب إليه قائلا: "إذا قررت مساعدته؟"

نظر البستاني ليعقوب وهو يغلق سترته: "حسنا أنا لا أريدك أن تدفن جثمانا آخر، ظهر لك لن يتحمل، لذا سأذهب للبحث عنه."

إقترب يعقوب للبستاني وقال له وهو ينظر للأسلحة المعلقة على الحائط أمامه: "جميل؟"

رد البستاني: "أمرك يا سيدي."

يعقوب: "أريدك أن تذهب وتحمي محمد وحفيدي، لذا إبحث عنهم وساعدهم، وعد بحفيدي سالما."

نظر البستاني ليعقوب قائلا: "أمرك ياسيدي، وبخصوص عيسى؟"

يعقوب: "فقط لا تدعه يقتل محمد وسوف يكون بخير."

-الحاضر-

ومن خارج الغابة، خرج عيسى نحو سيارته السوداء، ووضع حقيبته بداخلها، وأخذ نفسا عميقا وقال مخاطبا نفسه ويضع قبضته على زجاج باب السيارة: "أمل أنك لم تغضب مني يا أخي لأنني لم أنتقم لك. لكنك كنت شخصا سيئا منذ البداية، وإستحققت ماذا حصل لك."

أغلق عيسى باب السيارة الخلفي، وعندما توجه نحو الباب الأمامي، ووضع يده على باب السيارة، سمع صوت تكسر أغصان الأشجار الصغيرة والأوراق الذابلة والمتساقطة على الأرض، وقال ظننا منه أنه البستاني: "لا حاجة لملاحقتي يا عمي جميل، فأنا سأختفي لبعض من الوقت فقط."

رد عليه عصام من الخلف بغضب: "سوف تختفي للأبد."

سكت عيسى حينها، والتفت بسرعة مصوبا بمسدسه، ليجد عصام يصوب هو الآخر بمسدسه، وفي أقل من ثانية أطلق الإثنين النار على بعضهما البعض، عيسى أصاب عصام في صدره، وعصام أصاب عيسى بعينه اليمنى مباشرة، ثم سقط عيسى على سيارته متكأ عليها، وسقط عصام على ركبته مبتسما وينظر ليعسى قائلا: "فلترقد بسلام يا مهدي." وسقط المنتقمان قبالة بعضهما البعض.

سمع عمر والبقية صوت تبادل إطلاق النار ذاك، وركض البستاني بسرعة وهو يخاطب نفسه قائلا: "لا تفعلها أيها الأحمق لا تفعلها!"

وصل البستاني خارج الغابة، لكنه لم يجد لا عيسى ولا عصام ولا حتى السيارة.

10: عشرون سنة من الشقاء.

في سيارة سوداء رباعية الدفع، بداخلها عمر ومحمد والبستاني وإثنين من رجاله.

قال محمد للبستاني: "هل أنت متأكد أنك ذهبت بالإتجاه الصحيح؟"

رد البستاني: "نعم، لكن لا أعلم أين إختفى لا هو ولا حتى سيارته، وإن قلنا أنه رحل، فما قصة تبادل إطلاق النار ذلك في أن واحد."

محمد: "من الأحسن أن لا تخبر يعقوب عن هذا الأمر، فسنة لا يسمح له بخبر صادم آخر بنفس الأسبوع."

ظل عمر ينظر إليهما في صمت، ممسكا مسدسه بيديه اللتان ترتعشان، ثم بدأ يراقب الطريق عبر النافذة بخوف. لاحظ البستاني ذلك وحاول تهدأته: "لا تخف لا أحد يلاحقنا."

إلتفت عمر لهما وابتسم بشكل خفيف وطأ رأسه، ثم قال له والده: "هناك شيء ما يشغل بالك، أليس كذلك؟"

نظر لهم عمر، وتذكر حينها سؤال كان دائما يخطر بذهنه وارتى حينها أنها الفرصة المناسبة، لذا سأل البستاني: "كيف وجدتنا ذلك اليوم؟ وما سبب علاقتك أصلا بوالدي، ولماذا دائما تتقذني؟"

نظر البستاني لمحمد وقال له: "ألم تخبره؟"

رد محمد: "لم أخبره كل شيء بالتفصيل."

أعاد البستاني أنظاره لعمر وقال له: "قد تظن أن والدك وجدك بينهما عداوة بما أنه قتل ابنه وترك ملك لوحدها، لكن بالعكس، السيد يعقوب ومحمد، لم تتغير علاقتهما قط، منذ اللحظة التي اتلقاه بها و....."

-1979-

بضواحي مدينة أزيلال المغربية، حدث زلزال قوي هز أركان المدينة وهدم العديد من المنازل وقتل العديد من الناس، لقد كان حدثا مرعبا بحق، وفي خضم تلك الفاجعة، كان هنالك شاب اسمه محمد شياع، هاجر للتو من القرية التي يقطن فيها أملا في إيجاد عمل يكسب منه قوت يومه ويرسله لوالديه بالقرية أين يقطنون، ولكن هو ينقذ ناس من بين الركاب سمع أحد المارة يقول بصوت عالي لأحد الأشخاص، أن الزلزال وصل للجنوب وانه للتو عاد من أحد القرى الواقعة هناك، وأن كل القرى بتلك المنطقة هلكت، ولسوء حظ محمد فبتلك المنطقة تقع قريته.

قفز محمد من بين الركاب، وركض بمنتصف الطريق، يطلب المساعدة من السيارات والشاحنات المارة لكي تقله لقريته، لكن لم يقف له أحد، كل شخص كان مشغولا بأموره، لكن هذا لم يمنعه، بل أكمل محمد ركضه نحو قريته بالساعات دون توقف.

وبينما كان محمد يركض في الظلام الدامس، سمع صوت صافرة سيارة، لكنه لم يكثر، إلى أن بدأ صاحب السيارة بمناداته قائلا: "أنت أيها الرجل، تعال وساعدني وسوف أقلك لأي مكان تريد."

إلتفت له محمد وهو يركض وقال له: "لقد تبت من مساعدة الآخرين."

رد عليه ذلك الرجل: "ومنذ متى يتوب الناس من فعل الخير، وكلانا نعلم أنك لن تصل لمراكك، قبل أن تنتهش الذئاب جسدك."

إلتفت له محمد ونظر لسيارته، وتنهده وقال في خاطره: "هذه المرة فقط."

وركض نحو صاحب السيارة، وقال له: "بماذا تريد مني مساعدتك يا...؟"

مد صاحب السيارة يده قائلاً: "يعقوب."

مسح محمد عرقه بملابسه وقال له: "حسنًا يايعقوب ماذا حدث للسيارة؟"

إقترب يعقوب إليه قائلاً: "لقد انفجرت إحدى الإطارات وناديت عليك لمساعدتي بتثبيت الاحتياطية."

عمر: "وسوف تقلني لوجهتي؟"

يعقوب: "لو كانت بالمريخ."

إنحني عمر للإطار وقال: "ليست بالمشكلة العويصة، لحسن حظك أن لدي بعض الخبرة بهذا المجال."

بدأ محمد في تركيب الإطار، وبعد القليل من الموت إنتهى من تركيبه، وركب يعقوب بسيارته وفتح قفل الباب قائلاً: "تعال إركب."

ركب محمد بالسيارة الفاخرة. وهم في طريقهم، طرح يعقوب سؤالاً: "أين بضبط تريد ان تذهب في هذا الليلة الهانجة؟"

محمد: "لقد سمعت أحدهم يقول أن الزلزال وصل للقرى البعيدة، وعائلتي تقطن بوحدة منها، وأنت مالذي جاء بك إلى اللامكان؟"

قبض يعقوب على مقود السيارة بشدة وقال: "أبحث عن صديق لإبني لقد كان هو المتسبب في سجنه."

توتر محمد حينها وقال: "وإذا وجدته ماذا ستفعل له؟"

تنهد يعقوب وقال بحزن: "لا أدري حقاً، أنا هنا فقط من أجل زوجتي، لكن بالنسبة لي، فأبني هو من عليه تحمل مسؤولية أفعاله."

محمد: "لكنه يظل إبنك."

يعقوب: "وهذه هي المشكلة، رغم أنني دائماً أخبره أنه سيتحمل مسؤولية أفعاله، إلى أنني هنا الآن أبحث عن صديقه."

نظر يعقوب لمحمد وقال له: "عندما ستحظى بعائلة ستفهم ما أعنيه، مسؤولية صعبة..."

بعد مرور ساعتين، وصل الأخيران للقرية التي كانت مظلمة وساكنة كقرية أشباح، أخرج يعقوب كشافاً من صندوق سيارته، ومنحه لمحمد، الذي أمسكه بسرعة، وركض به لداخل القرية، يلتفت ليمينه وشماله، ولا يرى سوى المنازل المحطمة وصوت عوي الذئب والكلاب، أحس محمد حينها بضيق في صدره من التوتر، وظل يهدأ نفسه: "سيكونان بخير انا متأكد." وصل محمد لمنزله، وكل ذلك الكلام المطمئن الذي كان يحفز به نفسه على الصمود ذهب مع مهب الرياح، عندما رأى أمامه منزله محطم بالكامل، وكأنما نيزكا ضخماً سقط عليه ودمره.

بدأت الدموع تسيل من عيون محمد المرتعبة وبدأ ويخطو للمنزل المحطم ببطء، وإذا به يرى من بين الركاب، العديد من الذئب تنهش في جثث والديه بوحشية، تراجع محمد لخطوتين للوراء ولم يستوعب حينها ماذا يرى أمامه من وحشية المنظر، جثث والديه تمزق أمامه من طرف الذئب.

وصل يعقوب من خلفه وعندما رأى المنظر أمامه استعاذ بالله من بشاعة ما رآه وسحب محمد من ذراعه قائلاً: "تمالك نفسك حسناً؟ هيا بنا لنذهب."

أبعد محمد يد يعقوب عنه، وركض نحو الذئب محاولاً طردهم برمي الصخور عليهم والصراخ في وجههم، نظر له أحد الذئب وقائد تلك المجموعة الصغيرة، تحجر محمد في مكانه وهو ينظر للذئب، وإذا بيعقوب يطلق النار على الأرض ليخيفهم، وبالفعل هربت الذئب في الحين، وركض محمد لجثث والديه وبدأ يبكي ويحضن جثثهم ودمائهم لطحته.

بعد فترة بدأ محمد يحفر العديد من القبور لوالديه ولكل قروي لقا مصرعه في هذه الليلة الكئيبة بمساعدة يعقوب، وعندما انتهوا، ذهب يعقوب وإرتدى سترته، وعاد لمحمد الذي وجده يجلس أمام قبوري والديه ويقول بصوت هادئ: "لقد وجدت عملا للتو في المدينة، كنت على وشك إرسال المال لكم، لكنه للأسف كان أيضا ضحية لهذا الزلزال المدمر... كان علي البقاء معكم هنا ونموت معا..."

إقترب يعقوب لمحمد وقال له: "سوف تأتي معي!"

محمد: "لا داعي لذلك أنا بخير هنا."

يعقوب: "لا تتغابي علي، لن أدعك بقرية الأشباح هذه، سوف تأتي معي ولن أعيد كلامي، والان هيا قف وتعال معي."

مد يعقوب يده لمحمد، الذي بدوره نظر له لبرهة بصمت، ثم أمسك بيده بقوة.

بعد مرور يوم كامل على تلك الفاجعة التي أصابت محمد، وصل الإثنين لبيت يعقوب الفاخر، حيث رحب يعقوب بمحمد كفرد من عائلته، ووظفه معه كحارس شخصي، وتدرّب على يد البستاني في نفس الوقت، ومرة الأيام والأشهر، وأصبح محمد جزءا من عائلة اوزغار، حيث أصبح يتناول الطعام معهم في طاولة العائلة، لشدة قرابته بيعقوب كونه حارسه، والأهم أنه يدين له بالكثير كونه أنقذه من فوهة الفقر والدمار، ومنحه حياتا جديدة لم يكن ليحلم بها من الأساس.

-1980-

مرت سنة على عيش محمد مع العائلة، لقد تحسن حاله كثيرا، كسب بعض الوزن بعد أن كان نحيفا من قلة الاكل، شعره اصبح طويلا وصل لحدود فكه، ولحيته كبرت هيا الأخرى.

في أحد الأيام نادى يعقوب على محمد لمكتبه، دخل محمد المكتب، ليجد يعقوب وقربه ابنه عيسى والبستاني ينتظرون دخوله، أغلق محدد الباب وتقدم للداخل ببطء، إلى أن وصل أمام المكتب وقال ليعقوب: "ناديتني ياسيدي؟"

يعقوب: "نعم(اشر بيده على الكرسي) تفضل إرتح!"

جلس محمد، وأكمل يعقوب كلامه: "أخبرتني جدران هذا المنزل العتيق، أنك تنظر لملك بكثرة، نظرات ليست عادية، نظرات عاطفية، أليس كذلك؟"

احمر وجه محمد حينها ولم يستطع الإجابة، ثم إبتسم يعقوب واكمل حديثه: "أنت شاب وسيم بالفعل، لم أذكر أنني اخبرتك بهذا، هل أنت في علاقة أو شيء من هذا القبيل؟"

نظر محمد ليعقوب بسرعة وقال له بتلعثم: "لا، لا، أنا لست من من يحبون تلك العلاقات الزائفة."

يعقوب: "ماذا تقصد، إشرح أكثر."

محمد: "حسنا، أنا لا أحب هذه العلاقات، كونها علاقات محرمة خارج إطار الزواج، وأيضا مضيعة للوقت والمال ولا هدف منها، انا عن نفسي إذا أحببت فتاة، فما سأفعله هو طلب يدها من والدها، والزواج منها بحلال."

نظر يعقوب للبستاني، ثم أعاد نظر لمحمد وسأله: "وإذا لماذا لم تطلب يدها مني؟"

صدم عيسى من كلام والده، لكن لم يبدي اي ردة فعل، بينما أحمر وجه محمد أكثر عن ذي قبل، وبدأ يتلعثم في كلامه من الإحراج، إلى أن وقف يعقوب، وجلس قبائله وأمسكه من يديه وقال له مبتسما: "انا موافق يابني."

نظر محمد لعينون يعقوب الصافية، وبدأت عيونته تدمع، شيئا فشيئا، ثم مسحها بسرعة ونظر لعيسى والبستاني وقال لهما: "هل أستطيع أن أبقى لوحد مع سيد يعقوب لفترة؟"

غادر البستاني وعيسى الذي كان ينظر لهم بغضب، وأغلق الباب، وأنتظر محمد لثواني للإطمئنان، ثم نظر ليعقوب وقال له: "هناك شيء علي أن أخبرك به، سر إكتفيت من إخفائه عنكم، لم أعد استحمل إخفاء هذا العبء الثقيل عن شخص طيب مثلك، شخص إنقته بصدفة، قدم لي حياة جديدة وفتح لي باب مستقبل مشرق، لكن... انا سأضحى بكل شيء منحتة لي."

إبتسم يعقوب وشد على أيدي محمد وقال له: "أنتك هو صديق إبني الذي كان السبب بدخوله السجن."

صدم محمد حينها وسأل يعقوب: "ول... لكن... كيف عرفت؟"

يعقوب: "لقد عرفت منذ اللحظة التي إنقينا بها، اختلفت أمر الإطارات المنفجر، أنا من فجره عمدا، وجئت بك لمنزله كذلك عمدا وعشت مع عائلته، وتناولت الطعام معهم، ليس لكي تعترف، أو لكي تسحب شهادتك، لا، لا، انا جلبتكم معي، من اجلي انا، لكي أعرف، من هو هذا الشاب الذي تسبب في سجن ابني، هل هو شخص طماع وجدها فرصة من ذهب للغنى، ظلم إبني لجشعه، ام أنه شاب طيب القلب، ضابط لنفسه، يحترمه الجميع ويحترم نفسه قبل كل شيء، ومن خلال ماعشته معك، تبين لي أمر واحد، أنه من المستحيل لشاب بهذه الصفات أن يسجن إبني ظلما. لذا من فضلك أخبرني عن السبب لكي أتيقن اكثر من كلامي، ونغلق هذا الكتاب للأبد."

طأطأ محمد رأسه وبدأ يحكي ليعقوب: "كان يوسف أقرب صديق لي، كونه أول شخص تعرفت عليه بالمدينة، لكن تبين لي أنه شخص سيء وشرير، يحب الاستهزاء بالآخرين، يظلم ويسرق فقط للمتعة، كنت أحاول قطع علاقتي معه، كونه يسبب لي المتاعب في عملي، وكان في كل مرة يخبرني، أنه سوف يتوب وشيء من هذا القبيل، لكن دون فائدة، يعود لعاداته القديمة، إلى أن قام في أحد الأيام بأمر لا يغتفر، وتجاوز كل الحدود المسموحة، حيث قام ب..."

استوقفه يعقوب قائلا: "حسنا هذا يكفي، أنا أعرف كل هذا، لهذا السبب كنت بتلك المدينة، لكن هل تعلم مدة عقوبته؟"

محمد: "ثلاثة عشرة سنة."

يعقوب: "إذا هل أنت مستعد لذلك اليوم، وهل ستحمي إبنتي وأعلى ماعندي من كل اذى؟"

محمد: "سوف اعاملها كملكة الملوك، لن أسمح لشيء بالمساس بها، حتى ولو كلفني ذلك حياتي."

إبتسم يعقوب لوجه محمد وقال له وهو يمسح على ذراعه بحنية: "إذا لقد حصلت على موافقتي، بقيت الخطوة الأهم، والفاصلة، هو رأيها، لذا تحلى بالقوة، وإذا وافقت فمرحبا بك بالعائلة، وإذا لم توافق، فلا زالت تعمل مع العائلة وتعتبر جزءا لا يتجزأ منها."

قبل محمد يد يعقوب، وبعد ذلك اليوم، تقدم محمد لملك أمام عائلتها، ووافقت ملك بكل خجل وسرور، وتزوج عمر وملك في حديقة المنزل، في جو من البهجة والسرور، حتى عيسى الذي كان يكره محمد، كان مبتسما وسعيدا على غير عادته، كونه لم يرى أخته الكبرى سعيدة هكذا منذ أن كانت صغيرة، فبعد المأساة التي حصلت لهذه العائلة، فقدت ملك بريقتها وإبتسامتها الساحرة لسنين، وهاهنا الآن وبسبب زواجها من رجل طيب مثل محمد، بدأت تستعيد روحها المرححة وشخصيتها القديمة التي دفنتها شيئا فشيئا.

مرة الشهور مجددا، ورزق الزوجان بطفل رضيع، قرر محمد حينها بموافقة من ملك، أن يسميه عمر، تيمنا بإسم والده المرحوم. بينما كان يسميه جده يعقوب بنور، كونه النور الذي أثار عليهم المنزل وعمره بالإيجابية والسعادة بعد أن كان مغمورا بالحزن والكآبة، حتى عيسى بدأت الإبتسامه تعود لوجهه هو الآخر عندما حمل عمر بين يديه، وعادت السعادة لهذا المنزل وعاشو في سلام لفترة من الزمن.

لكن دوام الحال من المحال، في أحد الأيام، وبينما كان عمر يزيل سنه مساعدة والده وجده، طرقت ملك الباب، ونادت على محمد لتكلم معه بإنفراد دون فتح الباب.

دخل الإثنين لغرفتهما، وجلست ملك على السرير وأرخت رأسها للأسفل جعلت محمد يشعر بالقلق والارتباك، وسألها بصوت حنون: "ماذا بك يا عزيزتي، وجهك شاحب على غير العادة؟!"

قالت ملك بصوت خافت متعب: "انا مريضة يا محمد!"

ذهب محمد وجلس إلى جانب زوجته، واتكأت برأسها على كتفه وقال لها: "سوف نذهب للطبيب وسيكون كل شيء على مايرام!"

ملك بنبرة يائسة والدموع على عيونها: "لا، إنه مرض فتاك أخبرني الطبيب أن سنواتي معدودة."

صدم محمد حينها صدمة لم يشعر بها في حياته إلى في يوم موت والديه، بدأ قلبه ينبض بسرعة، ثم وقف بإستعجال وانحنى على ركبته أمامها وقال لها وهو يحاول عدم البكاء في محاولة لبث الأمل بداخلها: "لا تقلقي، سوف تتبعين العلاج وتصبحين بخير، أنا متأكد..."

وضعت ملك يدها الدافئة على وجهه وقالت له مبتسمة بصعوبة: "لا أريد أن أراك حزينا مجددا هل سمعت؟ لا أريد أن أرى محمد الماضي الذي رأيته في أول مرة دخلت باب هذا المنزل، أريد منك ان تكون سندي في معاناتي، إلى أن..."

مسح محمد عينه، وقال لها بتلثم: "لا... لا... تقولي ذلك... سوف أكون بجانبك دائما، لن يحصل لك شيء."

ابتسمت ملك وقالت: "محمد! لنرحل من هذا المنزل! أنا لا أريد أن تحس أُمي أو أبي بأي شيء، أنا أريد فقط العيش معكم أنتما الإثنين لبقية عمري."

سمع الإثنين صوت بكاء إبنهما عندما نجح باقتلاع سنه، وقال لها محمد: "ليكن ماتريدين يا أميرتي!"

بعد ذلك اليوم العصيب على محمد، قررت العائلة الصغيرة الرحيل من المنزل، والذهاب للعيش بمنزل اخر بعيد عنهم، ورغم محاولات محمد وملك في اخفاء أمر مرضها عنهم، إلى أن يعقوب في النهاية علم بذلك...

-1986-

جاء يعقوب كعادته الأسبوعية لمنزل ابنته واصطحب معه حفيده عمر، لتنزله معا، واخذه هذه المرة لحديقة ألعاب افتتحت حديثا، وجلس كالعادة على كرسي خشبي يشاهد بإبتسامة، حفيده يلعب بمرح بتلك الألعاب، وعندما تعب جاء وجلس قرب جده، واخرج له يعقوب عصيرا وقطعة حلوى، وقدمها له، وبينما كان عمر يؤكل، توقف فجأة وقال لجده: "جدي؟"

يعقوب: "نعم يا نور عيني؟"

عمر: "مايها أُمي؟"

استغرب يعقوب وقال له ضاحكا: "لماذا؟ هل منعتك من اللعب بالألعاب الجديدة لساعة متأخرة؟"

عمر: "لا! لقد رأيت الدماء تخرج من فمها بالمطبخ! وسمعت أبي يبكي في الحمام لوحده، هل هنالك خطب ما يا جدي؟"

صدم يعقوب من ما سمعه، لكنه لم يرد إظهار ذلك لحفيده لذا طمأنه قائلا: "لا، كل شيء سيكون على مايرام، أمك متعبة قليلة فحسب!" وبسرعة جمع أغراضهم، وذهبوا لمنزل محمد، ثم بدأ يعقوب يطرق الباب بقوة وهو مرعوب بداخله، يحاول إنكار مااستوعبه حينها.

فتح محمد الباب، ودخل عمر يجري للمنزل وهو ينادي أمه، نظر محمد ليعقوب ورحب به: "تفضل ياأبي بالدخول، لم..."

أمسك يعقوب محمد من قميصه بقوة، وسحبه لعنده وضربه مع الجدار قائلا وعيونه ستنفجر من الغضب: "أيها الحقير! لماذا لم تخبرني أن ملك مريضة؟!"

حنى محمد رأسه من الخجل وقال ببرود: "هذه رغبتها، هيا لم ترد..."

صفع يعقوب محمد بقوة وهو يبكي ويقول: "كان عليك إخباري! هل سمعت؟ كان عليك إخباري أنا فقط!!"

فشلت أرجل يعقوب في إبقائه صامدا، وجلس على سلالمدخل الباب وقال: "إنه مرض وراثي بالعائلة، لقد مات أخي الصغير بين يدي

بسببه، لقد كان طفلا صغيرا لم يرى العالم بعد..."

جلس محمد إلى جانبه وقال له: "لكنها سوف تعيش، انا متأكد، علينا فقط الإعتناء بها وسيكون كل شيء على مايرام."

نظر يعقوب لمحمد ورد عليه: "أتمنى ذلك، فأنا لم أعد أتحمّل فقدان فرد آخر من عائلتي."

حاول يعقوب أن يقف لكنه لم يستطع رغم صحته الجيدة، وساعده محمد وأدخله للمنزل.

وبأواخر سنة 1987 بدأت حرب المكانية في العالم بأسره، قوات حفظ السلام ضد الميليشيات المسلحة، وبعد مرور سنة انتهت هذه الحرب بفوز قوات حفظ السلام، وكسابقاتها من الحروب، لم تخلف ورائها سوى الدمار والقتلى والإعاقات الدائمة، وكانت أيضا نقطة تحول جديدة في مسار حياة محمد عندما إلتقى بذلك الرجل الغامض المصاب على حافة طريق في ليلة ممطرة وعاصفة، عندما كان عائدا من رحلته الشهيرة التي يقوم بها كل فترة من أجل دواء لزوجته الذي لا يباع في مدينته.

-1989-

وصل محمد لباب مكتب يعقوب، محمد والذي أصبح في حالة مزرية على غير عادته منذ يوم علمه بمرض زوجته، حيث أصبح يرتدي ملابس بالية، ومعظفا أسود طويل يصل لركبته، وشعره أصبح طويل ومبعثر ومتسخ وعيونه السوداء المنتفخة والحمراء من قلة النوم.

فتح محمد الباب بوجه شاحب ونظرات باردة، وجلس أمام مكتب يعقوب، وقال له: "الذي شيء أريد اخبارك به!"

انزل يعقوب الجريدة، ورد عليه: "انا اسمعك."

محمد: "لقد أصبحت قائدا لجماعة من المذنبين."

أزال يعقوب نظاراته وقال له: "ولماذا؟"

محمد: "أظن أنني وجدت هدفي من هذه الحياة، وهو إنقاذ المظلومين والمستضعفين!"

ضرب يعقوب على سطح المكتب وقال له بنبرة خشنه: "وماذا عن إبنتي؟! هل تريد أن ترى رصاصه تخترق رأسها في اليوم التالي!؟"

رد محمد: "أنا أريد فعل هذا من أجلها، من أجل أن يشفيها ربي لحسن أفعالي."

بدأ محمد يبكي ويقول بنبرة مكتومة: "رغم أنني وعدتها ووعدتك أنني سوف أحميها بما أقدر، إلى أنني لم أعد أتحمّل رؤيتها مريضة وضعيفة، حالتها تسوء يوما بعد يوم أمام ناظري وأنا مكتف الأيدي لا أعرف ماذا أفعل لها! لقد تعبت حقاً من كوني ضعيفا هكذا! وكوني لا استطيع القيام بأي شيء لأجلها..."

وضع محمد يديه على وجهه في صمت، ووقف يعقوب وتوجه نحوه وعانقه، ثم بدأ محمد لا إراديا بالبكاء بصوت على حضنه، ويعقوب يمسح على شعره ويقول له: "إذهب يا بني، إذهب وأنا سوف أحميها."

ومنذ ذلك اليوم رحل محمد لحي المذنبين الذي تأسس حديثا وكان سريريا عن العامة لمدة طويلة، وأصبح محمد يزور عائلته بين الفينة والأخرى، ليطمنن على صحة زوجته وعلى ابنه الوحيد عمر، وبقي على هذا الحال ينتقل من من الحي للمنزل، ويشرف على عمليات إقتحام السجون لإنقاذ المظلومين فقط، وهكذا مرة الأيام، إلى يوم قتله ليوسف ومن ثم أصبحت الأمور تأخذ منعطفا أكثر وحشية، وضعت محمد بين خيارين يا أن يترك كل شيء ويهرب مع زوجته وإبنه، وبذلك سوف يعيشون سويا لكن لن يكونوا بأمان طالما هو موجود معهم، او الخيار الذي اتخده، وهو الإبتعاد عنهم لحمايتهم، وأخذ عمر بعيدا، بينما تكلف عيسى ورجال يعقوب بمراقبة المنزل أين تقطن ملك لوحدها، في حالة محاولة قوات حفظ السلام لإختطافها، كما كان يهرب لهم الأسلحة كون يعقوب من أهم الشخصيات التي تتبع وتصدر الأسلحة في شمال افريقيا.

-الحاضر-

البستاني: "كان دائما مايسانده، وحتى ان السيد يعقوب كان يرسل لمحمد الأسلحة والمؤونة عبر الأنفاق، أي أنه كان حليفا قويا لمحمد، وباعتباره عمش، الرجل الذي لم يدع سجنا إلى وأن إخترقه، وبعد موت يوسف، تم إضافة اسم والدك بلانحة المذنبين، وبعد فترة تم الإعلان أنه هو عمش، لتطابق البصمات لديهم، وحينها تمت إقامة حملة ضخمة في البلاد لإيجاده، نظرا لأنه يتأسس واحدة من المنظمات التي صمدت حتى بعد حرب المكنة ولذلك إختفى بشكل كلي عن الانظار، وترك وراءه ملك بحماية عائلتها، وأخذك انت مع ذلك الرجل لحمايتك، وهو، ظل هنا، يكمل معركته لوحده، وبعدما علم السيد يعقوب بأمرك، أرسلني أنا لمراقبتكم من بعيد بشكل دوري، ولأن أفعل ذلك، فأنت كنت دائما بأعين جدك رغم أنه لم يراك منذ سنين عدة."

نظر عمر لوالده الذي كان سارح البال يفكر في صمت، إلى أن وجه عينيه لعمر، وتبادل معه النظرات ثم ابتسم لإبنه حينها إبتسامة صافية نادر ماكان يصنعها بوجهه الكئيب، كما يادله عمر نفس الشيء، وابستم له، وهو يراه بنظرات مختلفة عما كان يراه بالأول، فلقد تغيرت نظرتة عنه بالكامل وأصبح يراه مجددا، كما كان يراه بطفولته، بطله الشجاع الذي لا يهاب شيئا، ويفعل المستحيل لحماية المظلوم.

توقفت السيارة، وفتح البستاني الباب وهو ينظر لمحمد قائلا: "هل أنت مستعد؟"

نظر محمد للمطار من باب السيارة، وتعداد الشرطة الهائل بمحيطه، كما يوجد العديد من الناس والصحافة، تردد محمد حينها، وفكر في التراجع، ونظر لإبنه وقال له: "من أجلها!"

إبتسم عمر وقال: "من أجلها!"

خرج البستاني وخلفه محمد وعمر، البستاني أمامهم يراقب المكان حولهم بحذر، ويتكلم مع رجاله عبر جهازه اللاسلكي لمراقبة الوضع، ومن خلفه عمر يضع يده على سترته بمكان مسدسه، يراقب الوضع بخوف، وعلى عكس الإثنين، يمشي محمد بهدوء، يمشي بكل ثقة وبطأ، لا يهمله أي شخص أين كانت سلطته، طالما معه ابنه الوحيد.

أوقفته الشرطة، وطلب الشرطي هوياتهم، ارتعب عمر حينها وحاول إعادة والده للسيارة وبدأت مرة أخرى تلك الأفكار السلبية مجددا، إلى أن وضع محمد يده على ذراعه وقال له مبتسما: "لا داعي للقلق، حسنا؟"

تقدم محمد وقال للشرطي، إسمي محمد شياع، واخرج بطاقة هوية قديمة عنده وقدمها لهم، امسكها الشرطي وقرأها ثم نظر لورقة بيده الأخرى ونظر لوجه محمد، وأعاد له بطاقته وقال له: "تفضل أيها السيد محمد."

أمى له محمد، ونظر لإبنه ونظر لهم الشرطي هو الآخر: "المنذب فقط من يحق له الركوب بالطائرة، أرجو منكم أنتم الإثنين الإبتعاد من الطريق فأمامنا صف طويل ورائكم."

صدم عمر وحاول أن يخبرهم انه هو الآخر منذب، لكن البستاني منعه بيده، ونظر له محمد مبتسما محاولا بث الاطمئنان بداخله وقال له: "سأكون بخير يا بني، إذهب وعش حياتك بسلام، حسنا!؟"

أخذ البستاني عمر بعيدا، ودخل محمد المطار، وافترق الإبن بوالده مرة أخرى.

وعندما خرجوا من الصف الطويل بصعوبة، ضرب رجل يرتدي سترة طويلة وقبعة شمسية كنف عمر بكتفه، وخلفه بعض من الأشخاص يرتدون ملابس العمال، وأكمل سيره معهم بداخل الصف كأن شيئا لم يحدث، نظر لهم عمر باستغراب وظل يراقبهم لأنه لم يرتح لتواجدهم بهذا الوقت بالتحديد، وبالفعل عمر لاحظ أمر مريب، البعض من رجال الشرطة خرجوا من المطار وسمحوا لهم بالمرور بكل بساطة، الشيء الذي أعاد بعمر الريبة والخوف واخبر البستاني عن الأمر بسرعة، والتقت لهم واشر له عليهم وهم يدخلون بوابة المطار خلف محمد.

اخرج البستاني هاتفه وقال وهو يتصل بأحدهم لعمر: "هناك واحد من رجالي بداخل المطار سوف أخبره أن يراقبهم."

ومن داخل المطار المكتظ بالمذنبين، يقف محمد أمام الباب وينظر حوله، يحاول إيجاد آدم والبقية الذين ذهبوا معه، لكنه لا يعلم ما حجم الفاجعة التي حصلت لهم بطريق.

مر إلى جانب محمد صاحب المعطف الطويل مع رجال الصيانة وتوغلوا بين الناس كأنهم غير موجودين أمامهم، ذهب محمد ووقف في صف بالمنتصف، حوله العشرات من الكاميرات والصحافيين يحاولون طرح الأسئلة عليهم، وقف محمد مكانه، وأخرج من جيب سترته، صورة قديمة له مع زوجته ابنه.

وبدأ الصف بالتقدم شيئاً فشيئاً، إلى أن وصلوا للممر، وظل محمد مجدداً يحاول على الأقل رؤية شخص واحد من الذين ذهبوا بالحافلة، لكن لا أحد موجود، بدأ يشعر بالقلق تجاههم، وسأل احد المارين: "هذه اول طائرة ستقلع؟"

رد عليه المذنب: "توجد طائرة واحدة فقط."

أكمل ذلك المذنب طريقه، تاركا محمد يشعر بالقلق حيالهم، وحاول أن يعود أدراجه، لكن الشرطي منعه قائلًا: "توقف أيها المذنب!، إذا قررت العودة سوف يقبض عليك ويتم إرسالك لقوات حفظ السلام."

تراجع محمد للخلف وظل ينظر حوله وينادي على إسم آدم بصوت عالي، لكن لا إستجابة، فقد محمد الأمل حينها، وبدأ يطمئن نفسه بإعذار، كأنهم تأخروا وشيء من ذلك القبيل، لكن بالحقيقة أفكاره كانت عكس ماكان يطمئن به نفسه.

بدأ الصف بالتقدم مجدداً، وخطى محمد اول خطوة له بمدخل الطائرة، لكنه لم يكن مكثرت بقدر ما هو قلق تجاههم، جلس محمد على أحد الكراسي، ومر على جانبه أحد أفراد الشرطة، فهذه الرحلة تم إستبدال مضيبي الطيران بالشرطة مع وجود جندي من قوات السلام على الأقل، سأل محمد الشرطي: "متى سوف تقلع هذه الطائرة؟"

نظر إليه الشرطي وأجابته بنظرات استحقار: "بعد خمس دقائق...أيها المذنب."

زفر محمد بارتباك، وبدأ يدعي من أعماق قلبه الذي ينبض بسرعة أن يصلوا سالمين إلى هنا.

ومن خارج المطار، أفلت عمر من يد البستاني، وركض بعيداً، نحو الساحة أين تقلع الطائرات، ولحق به البستاني لكنه لم يستطع مجاراته بأرجله الضعيفة، وصل عمر بعض ركض طويل للسياح الفاصل عن ساحة إقلاع الطائرات، وتسلفه بسهولة رغم الشوك الموضوع على حافظه، قفز عمر للساحة، وبدأ يركض ويركض، نحو الطائرة خوفاً على والده من أولئك الأشخاص، والذي وبنفس اللحظة رأى واحد منهم يقف خلف عجلات الطائرة، لذا اخرج مسدسه وبدأ يطلق النار عليه.

بدأ من في داخل الطائرة ومن بينهم محمد يسمعون صوت إطلاق النار بالخارج، واتجهوا أجمعين نحو النافذات ليرو ماذا يجري هناك، لكن محمد ظل في مكانه يدعي ويدعي أن يكونوا بخير والدموع تسيل من عينيه في صمت.

11: طر بعيدا يا أبي!

-قبل 10 ساعات-

بقريه معزولة بالريف الفرنسي، وداخل أحد منازلها العتيقة، يجلس رجل كبير في السن، في غرفة فارغة على طاولة طعام لوحده، يأكل فطوره وينظر لمعطفه الطويل أمامه، ثم دخل أحدهم لمنزله، ووضع ملف أبيض على طاولة قرب صحن الفاصوليا الذي يأكله، وقال له: "صدر حكم إعدامك."

-الحاضر-

عندما إقترب عمر من الطائرة بعد أن أطلق النار على ذلك الشخص قرب عجلتها الأمامية، بدأت الشرطة تحاصره من كل الجهات، بينما هرب ذلك الشخص الذي كان يطلق عليه عمر النار، أمرت الشرطة عمر أن يجثوا على الأرض وأن يرمي سلاحه، وبالفعل نفذ عمر أوامره دون أدنى معارضة، ولكنه حذرهم وقال: "هنالك أمر مريب يحصل هنا..."

اقترب احد رجال الشرطة من عمر وقاطع كلامه بصفحة قوية على وجهه ثم وضع الأصفاد بمعصميه، واخذه معه للبوابة لداخل المطار، نظر عمر لنافذات الطائرة يرى الناس تراقبه في صمت من داخلها قبل أن تعيدهم الشرطة لأماكنهم.

وقبل أن يفتح الشرطي البوابة، صدر صوت تبادل إطلاق نار والصراخ بالداخل، اخرجت الشرطة مسدساتهم، وعندما أراد فتح الباب بحذر، فُتح الباب من الداخل، وظهر صاحب المعطف الطويل، وأطلق النار على رأس الشرطي ببندقية وفجر رأسه، ومن خلفه بداخل، المطار أصبح مثل ساحة حرب مليئة بجثث الشرطة والمدنيين، الذين قضى عليهم صاحب المعطف مع رجاله.

بدأ يطلق النار على الشرطة جميعا كالمجنون، وأمسك عمر جثة الشرطي أمامه واحتفى بها، لكن صاحب المعطف أطلق النار على كتف الجثة، واصيب عمر بشظايا الطلقة بذراعه وأسقطته أرضا. اقترب إليه صاحب المعطف قائلا وهو ينزف من صدره بطلقة تلقاها من أحد رجال الشرطة: "أنا أسف أيها الشاب، أنا أنفذ فقط عملي، لا ضغينة حسنا!؟".

صوب صاحب المعطف سلاحه على عمر، وأخرج جهاز تحكم عن بعد من جيب المعطف، وقبل أن يضغط على زر قال وهو يكح دما: "لا تخف لن يتألم."

قبل لحظات وعندما بدأ عمال الصيانة الذي حذر منهم عمر، إطلاق النار داخل المطار، وبدأ هجومهم الإرهابي، إقتحم البستاني مع رجاله المطار بعد سماعهم دوي إطلاق النار بالداخل، ليجدوا المكان مليء بالعديد والعديد من جثث الناس العزل والشرطة ملقاة أرضا، لكن صوت إطلاق النار لا زال يسمع من الداخل، لذا ركض البستاني مع رجاله للداخل، وبدأوا بإطلاق النار على أي شخص بملابس صيانة ويحمل سلاحا، بحثا عن عمر ومحمد لإنقاذهم من هذا الاستهداف، توغلوا للداخل وبمساعدة بعض أفراد الشرطة ثم القضاء على عمال الصيانة، وركض البستاني نحو الطائرة للتأكد، وإذا به يسمع صوت إطلاق نار من بندقية بالأسفل، نظر البستاني عبر نافذة تطل على ساحة إقلاع الطائرات، ليرى عمر مصاب بذراعه ومهدد من طرف صاحب المعطف.

خرج من بوابة المطار على ساحة الإقلاع، شرطي ينزف بشدة بكتفه ويعرج ويبيده مسدس ويقول بألم: "أنت!! أيها العجوز الخرف أنت من قوات حفظ السلام أليس كذلك؟ دائما ما تحشرون أنفسكم وتخربون كل شيء بميثاقتكم اللعين ذلك!!"

إلتفت صاحب المعطف لذلك الشرطي الجريح وصوب عليه قائلا: "سوف أمنحك مهلة دقيقة للرحيل والعيش بسلام."

لمح عمر مسدس الشرطي مرمي قربه، لذا استغل الفرصة وبدأ يسحب برجله، ولكن صاحب المعطف إنتبه عليه، وأخرج مسدسه وأطلق النار على رجله، صرخ عمر من الألم، وفي نفس اللحظة أطلق الشرطي كذلك النار على صاحب المعطف من ظهره وأصابه بكتفه، إلتفت إليه مبتسما وقال: "انتهت المهلة!!"

وقبل أن يطلق عليه، اخترقت رصاصة رأسه، رصاصة جانت مباشرة من الطابق الثاني أمامهم من طرف البستاني، نظر الشرطي وعمر لمصدر الطلقة بتعجب، ليريا البستاني ينظر لهم، وصرخ عمر عليه قائلا: "ماذا فعلت؟!!!!!!"

بدأت جثة صاحب المعطف تتهاوى، وبدأ عمر يزحف نحوها بسرعة بينما ينادي على الشرطي قائلا: "لا تدعه يسقط أو يضغط الزر وإلى فسوف تنفجر الطائرة!!!"

ومباشرة بعد كلامه سقط الجهاز من يده، وسقطت جثة صاحب المعطف على ركبتيه، والشرطي وعمر يتجهان نحوه بأقصى سرعتهما، ثم طرحت الجثة أرضا وضُغط على الزر بكوع جثته، ليصرخ عمر وهو يركض بعرج نحوه: "لا!!!!!!!!!"

ومن داخل الطائرة رفع محمد وجهه بعد سماعه لصوت إطلاق النار....

ملك: "محمد، أنا مريضة."

البستاني: "محمد، إبنك إختفى وحكمت قتل."

حازم: "محمد، زوجتك توفيت."

شخص: "عمش، لقد قُتل الناس الذين أخذناهم بالحافلة لتلك القرية."

الطبيب: "محمد، أنت مريض بسم يفتك جسمك يوما بعد يوم، لن تعيش طويلا..."

إبتسم محمد إبتسامة صافية وأغلق عينيه، ورجال الشرطة حوله يحاولون تهدئة روع الركاب.

فتح محمد عينيه مجددا ووجد نفسه في مكان ناصع البياض نظر حوله بإستغراب، ثم رأى أمامه والديه وزوجته يرحبون به بإبتسامة، تقدمت ملك زوجته نحوه وأمسكت يده برقة وقالت له: "لقد أدبت عملك على أتم وجه، والأن حان الوقت لترتاح، حسنا!"

أمسك محمد يدي زوجته وهو يبكي ويقول: "أنا أسف..."

سقط على الأرض من الحزن وقال لها ويده بيدها: "أنا أسف لأنني لم أستطع أن أبقى معك ونعيش معا لأخر يوم."

ردت ملك: "لا يوجد شيء يدعوك للإعتذار أو التأسف، لقد نوديت لتلك المهمة الشريفة لطيبة قلبك، قدمت يد العون للمظلومين، وساندهم وهذا ما أنا سعيدة أنك قمت به لأنني وكما قلت لك سابقاً، لم أرد أن أكون عقبة في طريقك، لذا لا حاجة لك للتأسف، فأنا فخورة بك يازوجي البطل!"

"وها نحن الآن معا... مجددا!"

نظر محمد لأعين زوجته النقية وقالت له

"هيا بنا... الجميع بإنتظارك."

وقف محمد ورحل مع زوجته نحو والديه.

وإنفجرت الطائرة إنفجارا ضخما مرعبا، هز أرضية المكان ورمى بعمر بعيدا وإرتطم رأسه بقوة على الأرض، وبدأ ينزف من رأسه، ثم وقف بصعوبة، ورأى أمامه عينيه الطائرة، أو ماتبقى منها، تحترق بنار حامية ضخمة دخانها الكثيف بدأ يغطي سماء من كثافته، بدأ عمر فب محاولة لإزالة الأصفاد من معصميه، وفي نفس الوقت يشاهد الحريق ثم يغلق عينيه محاولا تجاهل ماذا يجري، وكأن الأمور تجري على مايرام وأن هذا مجرد حلم، سيستقظ منه في أي لحظة من الآن.

لكنه الواقع، كما حدث وسيحدث فما بعد، عمر لم يستطع إزالة الأصفاد من معصميه، والنار أمامه حقيقية وهيا الآن تلتهم جثث الركاب وجثة والده والطائرة بلا رحمة، وهو الآن ينزف بشدة من رأسه ورجله وذراعه اليسرى.

بدأ عمر يضرب رأسه بقوة بيديه معاتبا نفسه ويجلد ذاته ويلومها كعادته، لكنه توقف فجأة، ونظر للطائرة، وركض نحوها وهو يعرج، وينادي على والده كالطفل الصغير إلى أن تعثر بجثة صاحب المعطف وسقط أرضا مجددا، ثم وقف بألم، وعاود الركض، وسقط مرة أخرى، وقبل أن ينهض مجددا، جاء أحدهم والمفاتيح بيديه، شخص غامض يرتدي معطف واق من المطر أخضر داكن، وفتح الأصفاد من يدي عمر بهدوء، ليندفع عمر كالحيوان المفترس الذي يطارد طريدته نحو الطائرة، ثم وصل أمام الطائرة المدمرة، وبدأ ينادي على والده بصوت عالي، المرة تلو الأخرى...

أبي...أبي... ارجوك يا أبي...أجبنني يا أبي...لا تتركني مجددا يا أبي...لا تتركني كما فعلت أُمي...أبيبيبي!!!.....

تذكر عمر حينها عندما كان صغيرا، يسأل أمه دائما في كل مرة أين أبي؟ كانت ترد عليه دائما مبتسمة رغم حالتها الصحية المتدهورة: "إنه يقوم بواجبه وسوف يعود قريبا."

سكت عمر وسقط أرضا ووضع كلتا يديه على الأرض ودموعه تتساقط عليهما، حينها إستوعب وبعد محاولات لإنكار الحقيقة، تيقن أن والده رحل ولن يعود مجددا كما كان يفعل في الماضي، رحل مثل حكمت ورحل مثل والدته، وعاد لوحده مجددا، قال عمر بحزن: "لقد أدبت واجبك...وداعا يا أبي..."

إقترب إليه ذلك الرجل الذي فتح له الأصفاد ومعه صندوق متوسط الحجم يضعه بين يده وخصره، وبدأ يصدر صوت أبواق السيارات من

خارج المطار، والهتافات والضحكات، قال الغريب لعمر بصوت مألوف: "إسمع جيدا، الناس فرحوا لما حصل، الإحتفالات والضحكات تعم أرجاء العالم الآن، أليس هذا غير عادل؟ ألا يستحقون العقاب بالمثل؟ لماذا عليك الحزن والهرب بينهما هم يفرحون ويمرحون؟"

وضع الغريب الصندوق أمام عمر، وقبل أن يرحل سمع صوت خطوات شخص ما خلفه وقال: "أنت مجددا... ظننت أننا تخلصنا منك."

رد عليه ذلك الشخص الذي يقترب نحوه بصوت مألوف لنا: "نجحتم باللعب بعقل علي وجعلتموه مسخا مطيع لكم! لكنني لن أسمح لا لك، ولا لذلك السافل أن تعيدوا الكرة مع الفتى هل سمعت؟!!"

إلتفت له صاحب الصندوق وقال له: "إسحاق، المطلوب رقم واحد والذي قدمت له فرصة إنتقام على طبق من ذهب لكنه رفضه، وبما أننا إلتقينا مجددا هل لي ان أعراف لماذا؟، فعلي كانت من شروطه لتسليم نفسه لنا أن يموت ذلك الفنان، كان مصرا جداً، ضحى بنفسه من أجلك، وها أنت الآن..."

تقدم ذلك الرجل من الظلام والذي كان إسحاق بالفعل، إسحاق الذي اختفى منذ 1986 ولم يظهر منذ ذلك الحين، وها هو الآن، بمظهر مختلف، بشعر طويل رمادي وندبة اثار حبل مشنقة على عنقه. قد عاد مجددا لإنقاذ عمر من نفس الفخ الذي وقع به صديقه القديم علي.

قال إسحاق مجابوا على سؤاله: "موت ذلك الفنان لم يغير شيئا في حياتي ولم يعد عائلتي ولم يصلح قلبي، علي سيطرة عليه مشاعره كان طيبا وعاطفيا، هذا ماجعله هدفا سهلا لكم، ولكنني سيطرة عليها لإيقافكم."

نظر إليه الغريب ورد عليه: "هل فعلت حقا؟"

صوب إسحاق بمسدسه على صاحب الصندوق وقال لعمر: "لا تكن جزءا من خططهم يا بني!!"

صاحب الصندوق والذي تبين أنه هو نفس الشخص الذي ضم علي لمنظمتهم بالماضي، أزال غطاء من على رأسه وقال لإسحاق مبتسما ابتساما خبيثة بوجهه المشوه: "لا حاجة لنا إلى فعل أي شيء، نحن فقط نزرع الأفكار ونراقبها تنمو، إذا رفض عمر وانضم إليك، فلا مشكلة بذلك، فطالما هنالك معارك، هناك متضررون، وطالما هنالك متضررون، فنحن الفائزون، لأن سلامنا، هو معاناتكم... وتذكر أنك زرع وسوف نحصدك قريبا يا إسحاق."

خطى الغريب نحو إسحاق قائلا: "المزارع يرسل تحياته ويخبرك أنها بخير طالما..."

قاطع إسحاق كلامه بطلقة نارية وأردته قتيلا. وقال له: "نعم و قتلنا لن يؤثر أيها الدنيء."

ولفظ الغريب اخر كلماته وهو يتخنتق بدمائه: "اليعم... السلام في... الأرض..."

ركض إسحاق نحو عمر الذي كان طوال هذه المدة يشاهد النيران وهيا تلتهم الطائرة بعيون باردة وفي صمت تام.

ووقف قربه وبدأ ينظر معه لنفس المنظر المخيف وقال: "انا أسف يا محمد، انا أسف يا صديقي لأنني تأخرت وتركتك تعاني لوحدهك..."

قال عمر بنبرة هادئة: "من المتسبب في كل هذا؟"

نظر إسحاق لعمر وقال له: "هناك أيادي عديدة..."

قاطع عمر كلامه بنبرة خشنة: "من قتل والدي؟"

إسحاق: "قوات حفظ السلام."

وقف عمر وذهب ببطأ وعرج بوجه خالي من الملامح، إلتفت له إسحاق برأسه وسأله: "لأين؟"

عمر: "لإبادتهم، لا يههم كيف، ولا متى، لكنني سوف أبيدهم عن بكرة أبيهم."

تتهدد إسحاق وهو ينظر للحريق وقال ببرود: "إذا لقد بدأت حقا...حرب المكانة الحقيقية، تهانينا أيها المزارع الأمور تسير كما تريد."

ومن داخل المطار الذي تدمرت واجهته الزجاجية بفعل الانفجار، نرى البستاني يستفيق شيئا فشيئا بعد أن انفجرت الطائرة وتناثر عليهم زجاج وبعض الركاب، وقف البستاني وبدأ يسعل بشدة، ومسح على ملبسه التي أصبحت بيضاء من الغبار، نظر البستاني من النافذة المنكسرة بالكامل، لكنه لم يرى سوى دخان الحريق، وتذكر حينها عمر وماذا حصل قبل قليل، لدى ركض بأقصى سرعته تاركا وراءه رجاله وبعض من أفراد الشرطة مغمى عليهم هناك.

وصل البستاني للساحة وركض نحو عمر، الذي لم يكثر له، ثم نظر للطائرة المنفجرة وفهم أنه تأخر مرة أخرى ولم يستطع إنقاذ محمد كما الأمر مع حكمت.

بدأ عمر يحس بدوار شديد برأسه، وحاول مقاومته وتجاهله، لكن المكان من حوله يتموج ويصبح ضبابيا شيئا فشيئا إلى أن أغمى عليه من التعب والنزيف الشديد من الجروح بجسده، إنفتحت له البستاني وركض إليه وأمسكه، ونادى على رجاله القادمين: "أحضروا السيارة، بسرعة!!"

نظر البستاني لوجه عمر الشاحب والمليء بالكدمات وقال: "إصبر يا بني إصبر."

ثم إقترب إسحاق إليهم وقال للبستاني وهو يمد إليه مفتاحا مع ورقة اخرجها من سترته البنية: "خذه لهذا العنوان وعالج جراحه."

وصلت فرقة البستاني وحاصرت إسحاق وقال له البستاني وهو يحمل عمر بين يديه: "من أنت أيها الغريب لتأمرني؟!"

أسقط إسحاق مسدسه وأظهر لهم يديه قائلا: "أنا لست بغريب، بل حليف، من الأحسن أن تأخذ عمر لهذا المنزل، أفضل من المخاطرة وأخذه لمنزل جده، الذي يعتبر الآن مكان خطرا عليه وعلى قاطنيه أيضا، بسبب ماحصل وسيحصل فما بعد، لذا أحضرهم هم كذلك للمنزل، لا تقلق سيكفي الجميع."

أمر البستاني فرقته بإخفاض أسلحتهم والذهاب لمنزل يعقوب لحمايته بسرعة، ثم أخذ المفتاح مع الورقة، أضاف إسحاق على كلامه: "أسرعوا بالرحيل فسوف تعود تلك الانفجارات في الأنحاء."

وخطى مغادرا، وأخرج هاتفه وإتصل بأحدهم: "ما الأوضاع هناك يا يحي؟"

رد عليه نفس ذلك الرجل الذي هاجم فصيل 21 قبل ساعات: "لا شيء إلى الآن، لكنهم بلعوا الطعم وهم قادمون إلينا بأرجلهم."

إسحاق: "حسنا، أنا سوف أتي مع البقية."

ومع إنتهاء إسحاق من مكالمته يحي، صدر صوت إنفجار بجهة البوابة الرئيسية للمطار، لكن إسحاق اكمل طريقه بخطوات متسارعة ووضع كلتا يديه داخل جيوب سترته وحانيا رأسه غير مبالي بما يحصل.

نشرات الأخبار حول العالم تنقل خبرا عاجلا وصادما، كل الطائرات التي كانت تقل المذنبين إنفجرت أثناء أو قبل وبعد الإقلاع، حيث شوهد من مختلف المدن والقارات العديد من المشاهد للطائرات المنفجرة، وأيضا للحشود الضخمة التي كانت هذه المرة سعيدة وتحفل بهذا الحادث بإعتباره إنفجار مطهر للعالم.

لكن الفرح لم يدم طويلا، وبشكل غير متوقع عاد مجددا المفجرون وهذه المرة بتفجيرات إنتحارية داخل حشود الناس الفرحة، الفوضى ودخان الانفجارات تعم الأرجاء، وصوت الضحكات والاحتفال تحول لصياح وبكاء، عدنا مجددا، عدنا لهذه الانفجارات التي بالكاد تخلصنا منها...

بعد مرور نصف ساعة على هذا الحدث الصادم، رئيس حكومة حفظ السلام، توماس شتوفر، أقام مؤتمر صحفي عاجلا بخصوص هذه الفاجعة، حيث إترف أمام الكاميرات والحضور، أنه هو من أمر بالقيام بهذه الانفجارات وقد أسماها بعملية: "الإنفجارات المبررة."

وصرح أيضا أنه مستعد لكل الصراعات والمواجهات مع المذنبين المتبقيين لأنه تم التأكيد وبشكل رسمي من اللوائح التي كانت بحوزة الشرطة أن حوالي 35 ألف مذنب لقي مصرعه إثر تلك الانفجارات، ولم يتبقى في كل العالم سوى عشرة آلاف مذنب تقريبا أو الأقل مع احتمال تزايد العدد مع مرور السنوات، لذا أراد شتوفر إستباقهم بخطوة وإعلان الحرب عليهم بهذه الانفجارات، وانه على وعده منذ نهاية حرب المكانية ولن يهدأ له بال حتى يتأكد من ان كل مذنب سوف يمحي من على هذه الأرض لكي تتطهر، ونظر لعدسة الكاميرا بنظرات مرعبة وقال بمنتهى الجدية: "وأى شخص سوف يعارضنا لأبيدنه بيدي."

بالفعل باشرت قوات حفظ السلام بالحصار الرسمي للأحياء، وهددت أنها في أي لحظة سوف تتوغل بداخلها وتلقي القبض عليهم واحدا واحدا وأما بخصوص الأبرياء من داخل تلك الأحياء، فلقد منحت قوات حفظ السلام مهلة 24 ساعة للخروج منها وبعد ثانية واحدة من مرور الوقت المحدد سوف يعتبرون مذنبين وسيتم القضاء عليهم.

وصل القائد أحمد رغم إصابته الحديثة مع قائد كتيبة الصيادين والجنود لحدود حي المذنبين، حيث قاموا بمحاصرته من كل الجهات بالجنود والمدركات، وقاموا بعمل مخيمات صغيرة بالارحاء للإستعداد لعمليتهم بالمشاركة مع فصيل كتائب الحصار.

وبداخل الحي يوجد يحي، يقف مع جنوده يأمرهم بالسكان بالاختباء بالملاجئ،

وعندما إنتهوا دلهم مصطفى على مخزن الأسلحة وقال لهم: "هل تعتبر هذه كافية؟"

أخذ يحي أحدها وتفحصها وقال: "يملك كل هذه الأسلحة وكان فقط يقتحم السجون."

ضرب العم مصطفى يحي على رجليه بقوة بعكازه معاتباً إياه: "لو لم يفعل ذلك لما رأيت هذا العدد من المحاربين الذين يقفون خلفك، لقد كان محمد يجهز في صمت لكل هذا، كنتم تظنون انه خائف، لأنه حذر بذكاء."

أنهى مصطفى كلامه وغادر غاضبا بعكازه، والنقى بحازم الذي كان يجهز رجاله وهم اشخاص محددين مهمتهم الوحيدة هي حماية هذا الحي، فلقد كانوا على مواجهة دائمة مع فصيل الحصار لسنين.

وقال مصطفى بقلق شديد: "هل يوجد أي خبر بخصوصه؟"

تنهد حازم بحزن وقال: "لا، لامحمد ولا عمر يجيبون، وهذا مايقلني، وافكر بالذهاب للمطار للبحث عن..."

ضرب مصطفى بعكازه على الأرض وقال بحزم: "لقد إنتمك محمد على هذا الحي، لهذه الاوقات بالتحديد، لحمايته، لحماية موقفنا الشريف."

سأله حازم: "ماذا يا مصطفى، لماذا لا ترحل مع زوجتك من هنا؟! أنتم مدنيون أبرياء أتذكر أم أن الوقت أنساك؟"

مصطفى: "لم أنسى، الأمر وما فيه أنني عشت حياتي كلها بهذا الحي، وتزوجت بهذا الحي وانا من أملكه وأنا من منحه لكم، ولن تخرج منه سوى جثتي!"

من حدود الحي الشمالية، صدر صوت بجهاز اللاسلكي الخاص بقائد كتيبة الصيادين، صوت الرئيس الأعلى يقول: "باشروا بالتوغل."

رد قائد الكتيبة: "أمرك، إنتهى."

إلتفت القائد خلفه على الجنود بأعدادهم الكثيرة، قرابة الخمسين، بالإضافة للقائد أحمد وقائد فصيل الحصار الذين سوف يقودون هذه العملية، وقال لهم: "حسنا أيها القوات الخاصة، سوف نتوغل الآن بالحي!"

إرتدى الجميع خوذهم السوداء التي تغطي رأسهم ووجههم بالكامل، إخفاء للهوية، وجهزوا عتادهم وتجمعوا حول طاولة فوقها رسم تخطيطي للحي من فوق، أخذ قائد كتيبة الصيادين قلما أحمر وبدأ يشرح لهم للمرة الأخيرة:

"(أشر على الحدود الشمالية للحي أين هم حاليا) هنا ستمركز الفرقة الشمالية (أشر على الحدود الشرقية والجنوبية والغربية) ونفس الامر

للبقية، اذهبوا لأماكنكم، وعندما سأمنحكم الأمر ابدؤوا، وتذكروا الهدف من هذه العملية أمران أساسيان، الإطاحة بكتائب الثوار تلك، وتأكيدهم موت عمش وأن شائعات عيشه بحي المذبذبين حقيقية."

إنقسمت قوات حفظ السلام لأربع فرق، ظلت الفرقة الشمالية بمكانها بينما توجه البقية لأماكنهم إستعدادا للهجوم، القائد أحمد كان يقود الفرقة الغربية رغم عدم تمثله للشفاء بعد إلى أنه أصر على القيادة لأسباب رفض البوح بها.

وفي نفس الوقت جهز حازم ويحي رجالهم وسلحوهم جيدا ونشروهم حول الحي بأكمله والذي أصبح فارغا كمدينة أشباح بعد أن تكلف ابن مصطفى بإخلاء السكان لمكان آمن تحت الأرض، وتوجه حازم لمقرهم الرئيسي مشغول البال بأمر محمد وعمر، بينما بدأ صوت يحي يصدر من بوق معلق على عمود طويل بمنتصف الحي يحاول إشعال نار الحماس بداخل رجاله: "لقد إنتظرنا هذه اللحظة لسنين يا رفاقي، والأن حان وقت الرد على سنين الظلم والقتل الذي تعرضنا لها بسبب جرائمنا السابقة، ودعوني أوضح شيئا مهما، أنا لا أقول أننا أناس طيبون، نحن نستحق العقاب على مااقترفناه، لكننا لن نعاقب من طرف أولئك السفلة عديمي الرحمة، لن ندعهم يقررون مصيرنا بقرارتهم الفاسدة، ولن ندعهم يظلمون الأبرياء. هم الآن بمدخل الباب، ضيوفنا هذه الليلة فمرحبا بهم، نحن أهل الكرم والضيافة... (صوت تعبئة السلاح) فليحيا الثوار!!!!"

تمركزت قوات حفظ السلام بأماكنها وهم يسمعون خطاب يحي من بعيد. أعطى قائد كتيبة الصيادين الإشارة لقادة المجموعات الأربع عبر أجهزة تهم اللاسلكية، ثم بدأت قوات حفظ السلام الخاصة من حدود الحي برمي قنابل دخانية داخل الحي بواسطة سلاح قاذف للقنابل، وارتدوا نظارات الرؤية الليلية، وبدأوا بالهجوم.

12: معركة التطهير.

-1987-

بأحد العمارات السكنية القديمة، دخل أحمد لمنزله شاب في بداية العشرينات ويده كيس مشتريات ويبدو على وجهه الإرهاق، وإذا بجده ينفض عليها قائلا: "هل وجدته!!!!؟"

إرتعب أحمد حينها لكنه تمالك نفسه ورد على جده بهدوء: "لا يا جدي... لقد أخبرتك أنني إذا وجدته فأنت أول شخص سيخبره!"

بدأ الجد يحك شعره الأبيض المجعد الكثيف وبدأ يمشي حافي الأرجل بشكل عشوائي داخل المنزل على أرضيته الخشبية، ثم استدار بسرعة نحو حفيده وامسكه من ذراعيه وقال له بحماس: "لماذا لا تنضم لهم!!!!؟"

أحمد: "أنضم لمن؟"

الجد: "قوات حفظ السلام، فكر بالأمر هم سوف يوفرولك الأسلحة والحماية وحتى المعلومات لكي تجده فلماذا لا تفعل!!!!؟"

أبتعد أحمد عن جده وقال وهو يضع كيس المشتريات بمطبخهم الفوضوي: "هل شربت دوائك..."

ضرب الجد على باب المنزل بقبضته مقاطعا كلام حفيده وقال له وهو يتنفس بقوة: "أخبرتك أنني لم أعد احتاجه!!!!"

نظر الجد للتلفاز وصرخ عليه قائلا: "أنت أصمت دعني أتكلم مع إبني!!!!"

بدأ أحمد يضع المشتريات داخل الثلاجة والارفف وقال لجده: "إذا لم تشرب الدواء لن أصطحبك عندها غذا."

ركض الجد لإبنه وأغلق باب الثلاجة وقال له وهو ينظر له بأعينه الحمراء: "لا تهددني بها هل سمعت!!!!!! إياك!!!! هل سمعتي!!!!!!"

نظر أحمد لجده ببرود وقال له وهو يتبادل النظرات معه: "وأنا قلت ما عندي."

استدار احمد وفتح رف علوي واخرج منه الدواء وضرب به على صدر وجده وترك يده عليه وقال:"وأنا بالفعل أعمل بقوات حفظ السلام."

باليوم التالي ذهب أحمد لعمله كجندي بقوات حفظ السلام، وكعادته يقوم مع باقي فرقته بدورية واحدة صباحية واخرى مسائية بالمنطقة لإيجاد المذنبين، وعندما إنتهت مدة عمله، عاد للمنزل، ووقف أمام الباب ووضع جبهته عليه وقال:"فلتمت..."

فتح أحمد باب المنزل ونادى نادى على جده:"لقد عدت!"

لم يرد عليه جده على غير العادة، نظر أحمد حوله ولاحظ أن المنزل في حالة فوضى أكثر من العادة، تقدم داخل المنزل ورأى شاشة التلفاز مكسرة والدماء عليها، توتر أحمد وبدأ ينادي على جده، فتح المراض لم يجده، فتح غرفة نومه ونوم جده ولم يجده كذلك، ركض نحو شرفة المنزل، وإذا به يرى جده يقف على حافته برجليه الحافيتين، والدماء تسيل من قبضته، وسمعه يهمس ويغني بمفرده:"خطوة، خطوات للأمام، وساكون إلى جانبك، خطوة خطوات للخلف وساكون...وحيدا."

نادى أحمد على جده:"جدي ماذا تفعل توقف!"

تجاهل الجد لحفيده وأكمل غناؤه، ثم توقف وبدأ يبكي ويقول:"لقد جاء..."

أحمد:"من الذي جاء؟"

صرخ الجد على ابنه:"تعرف عن من أتكلم، لقد جاء وأخبرني بالحقيقة... لماذا كذبت علي!!"

خطى أحمد نحو جده ببطء وقال له:"إنه يحاول خداعك، كلانا نعرف الحقيقة، وكلانا نعرف القاتل الحقيقي، لا تصدق كلامه!!"

إلتفت الجد بوجهه المجعد وهو يبكي وقال:"وماذا لو كان هو الصادق ونحن الكاذبان!؟"

خطى أحمد مجددا نحو جده:"لا، لا، لا تدعه يلعب بعقلك، فهو يحاول خداعك لأنه يعرف أنك مري..."

عاد مجددا الجد ينظر للشارع المنير بإضاءة الشارع من تحته وقال مبتسما والرياح الباردة ترفرف بشعره الأبيض:"سوف أذهب لكي اتأكد بنفسي، لا تخف سأعود قريباً!"

ركض أحمد نحو جده ويصرخ مناديا عليه، وقبل ان يمسك بذراعه رفع جده رجله من على الحافة وخطى نحو اللامكان وانتحر.

-الحاضر: الجهة الغربية من الحي-

جهز أحمد سلاحه وتوغل مع فرقته داخل الحي من بين دخان الذي افتعلوه وهو يسمع خطاب يحي عبر مكبر الصوت ذلك ويقول مخاطبا نفسه:"إظهر، إظهر ودعني اقتلك!!"

بدأ أحمد يركض بالحي بسرعة، دخل لأحد العمارات مع بعض الجنود، وتفرقوا بداخلها، أحمد ركض والسلاح بيده نحو الطوابق العليا، كسر أول باب يراه أمامه، وبدأ يفتش المنزل شبرا شبرا عن اي مذنب يفرغ فيه غضبه المكبوت بداخله، لكنه لم يجد أي شخص، ورفاقه بالمثل، وكل شخص بكل الفرق الثلاثة الأخرى لم يجدوا ولو مذنب واحد بالحي.

شعر حينها أغلب الجنود بالإستغراب والريبة من إحتمال وجود كمين لهم بالمكان، فهم يعلمون أتم العلم ان المذنبين موجودين هنا بأعداد هائلة...

فأين هم باترى؟

هذا السؤال الذي بدأ بطرحه الجنود بمواقعهم ولم يتأخر الرد، حيث حصل أحدهم على الجواب، فعندما كان يفتش بغرفة نوم أحد المنازل، خرج مذنب من خزانة الملابس خلفه، وطعنه عدة طعنات على حلقه بخنجر حاد وقبل حتى أن يستوعب ما حصل، وكذلك الأمر مع

العديد من الجنود الذين كانوا لوحدهم ببعض النقاط، فهناك من تلقى طلقة رصاص بسلاح كاتم أتية من السقف الممر بالمنزل إخترت دماغه مباشرة، ومن شقن بحبل نزل من ثقب من السقف ورفع للأعلى، ثم خرج مذنب من أسفل السرير وقطع رأسه بنصل حاد طويل، والعديد من أساليب القتل العنيفة التي تلقاها جنود قوات حفظ السلام الخاصة بتلك اللحظة الخاطفة بالأنفاس، كما لو أنهم يواجهون نينجا محترفين.

لكن أعضاء هذه المهمة ليسوا بسواسية، حيث لمح العديد من الجنود المحترفين المذنبين يخرجون من مخابئهم، ثم يجهزون عليهم فالحين، من بينهم الذي إلتقت لمذنب بسرعة بعد أن خرج من مخبئه بالأرض حيث سمع خطوات أقدامه الخافتة، وأخذ خنجره بسرعة، وغرسه أسفل فكه مباشرة، وركله برجله، وأطلق عليه طلقات نارية بصدرة، وأخرج جهاز اللاسلكي وأعلم البقية: "لديهم مخابئ سرية بداخل المنازل احذروا منها."

وعندما أنهى كلامه، بدأ قوات حفظ السلام بإطلاق النار عشوائيا بداخل المنازل، وقاموا برمي قنابل غاز مسيلة للدموع بالداخل لإخراجهم من جحورهم، وحينها، صدر مجددا من البوق كبير على قمة العمود الطويل المنتصف الحي، صافرة إنذار صاخبة، تلاها كلام من يحي: "حسنا أيها الرفاق، من لديه حساب مع قوات حفظ السلام فليخرج وينهيه الآن!"

سمع القائد أحمد صوت يحي، وركض نحو باب المنزل الذي كان يفتش فيه بسرعة ونادى على يحي بصوت عالي: "إظهر عندي أيها الحقيير!"

خرج أحمد من المنزل، وركض عبر الممر متجها للسلام، يركض بسرعة وعينه تشع بالغضب، إلى أن، وبحركة سريعة، خرج مذنب من باب منزل على شماله، ودفع أحمد بقوة على الباب بيمينه، وانكسر بهم، وسقط الإثنان داخل المنزل، أطلق أحمد النار على رأس ذلك المذنب بسرعة وأبعده من فوقه، ووقف مستعدا، لكن شخصا اخر أطلق النار على مسدسه وأسقطه أرضا، ودخل أربع مذنبين، وإثنين آخرون خرجوا من مخابئهم داخل ذلك المنزل، وقاموا بمحاصرة أحمد وألقوا بمسدساتهم بعيدا وأخرجوا خناجرهم. فعل أحمد المثل وأخرج خنجره، وقال لهم وهو يرفع اكمامه: "سته ضد واحد إذن."

ركض الستة مذنبين دفعة واحدة نحو احمد، الذي صرخ قائلا: "هلموا إلي!!!"

وبدأ القتال بينهم.

ومن خارج الحي بالجهة الشمالية قائد كتبية الصيادين، يراقب الحي بواسطة منظاره، وإذا به يسمع صوت صياح من بعيد للعديد من الأشخاص، إلتفت القائد بمنظاره نحو الصوت، ورأى أعداد كبيرة من المذنبين أتون نحو الحي محتجين بغضب على المذنبين.

يبدو أن القتيل الذي أشعله شتوفر بتلك الانفجارات أدى مفعوله، وذكرت الناس أنهم يعيشون مع أشخاص يدعون بالمذنبين يحاربون بأرواحهم من أجل محاكمة عادلة.

إبتسم القائد ابتسامة مأكرة وهو يراقبهم باستمتاع.

بدأت شرطة الشغب تحاصر المحتجين وتطالبهم بالهدوء، إلى أن بدأ عديد من الأشخاص بداخل الحشد تيدو على وجوههم ملامح الغضب والحقد، برمي حقائب نحو المحتجين. وبدأت الانفجارات تدوي بداخل الحشد بقوة، ومجددا الزمن يعيد نفسه، المحتجون أصبحوا يركضون على بعضهم البعض وعلى جثث وأشلاء القتلى للهروب بأرواحهم من تلك الانفجارات، إلى أن بدأت الشرطة تستعمل العنف لتهدئة الأوضاع. الفوضى عمت الأرجاء، قتلى في كل مكان أشلاء متناثرة على الطرقات والدماء تكسو الناجين، أحداث **1986** بدأت تعود مجددا التاريخ يعيد نفسه ويبدو أن هذه المرة أسوء من سابقتها.

من داخل الحي بدأ بعض المذنبين الذي كانوا بمخابئهم يخرجون أسلحتهم وبدأوا بالاشتباك مع قوات حفظ السلام.

العديد من الاشتباكات بدأت في كل أرجاء الحي الذي أصبح كساحة حرب صاخبة، صوت الطلق الناري في كل مكان، صراخ وانفجارات، جثث منتشرة في كل مكان ودخان المباني المتضررة يعم الأرجاء.

وبأحد تلك المباني، نرى أحمد يواجه الستة مذنبين لوحده بخنجره، يصد الضربات الموجهة إليه بكل مهارة كونه تدرّب لسنوات لهذا الغرض، هذا ماجعل له الأفضلية بينهم فليس كل من يمسك السلاح محارب.

ولكن رغم ذلك ورغم المهارة والتدريبات التي خضع لها أحمد إلى أنه لا يستطيع مواجهة ستة دفعة واحدة، فالكثرة تغلب الشجاعة،

إستطاع أحمد بعد أن يكان يصد فقط ويتعرض لجروح سطحية على ذارعيه وصدره، أن يمسك مذنباً وأن يغرس خنجره بداخل صدره ثم إستعمله كدرع وإندفع به نحو المتقيين ومر من بينهم وأخرج خنجره من صدر المذنب، ومباشرة ركله أحد أولئك المذنبين بقوة بظهره على الحائط وكاد أن يخترق رأسه بخنجره، إلى أن أحمد أبعد رأسه بأخر لحظة ورمى عليه مزهريه قربه وكسرها على رأسه وأسقطه أرضاً، ثم قفز من فوق طاولة الطعام وانقض على مذنب بكلمة كسرة فكه، وطعنه بقلبه مباشرة، وأخرج خنجره وصد به ضربة مذنب لكنه أصيب من الخلف حيث طعنه مذنب بكتفه وبدأ يخنقه بذراعه بقوة، حاول أحمد إبعاد ذراع المذنب الملتفة حول رقبته عنه، لكنه لم يستطع، وبدأ يشهق بقوة وعيونه إحمرت، إلى أن فقد صيره، واستجمع اخر أنفاسه وطاقته بعد أن تذكر سبب مجيئه إلى هنا، وأطلق صرخة خشنة، ووقف هو والمذنب وتراجع به على الحائط بسرعة، ثم كسر به رف الكتف على يمينهم، وامسك بلوح خشبي مكسر أمامه بينما اخر مذنبان يركضان نحوه لقتله، رفع أحمد اللوح من جهته المكسورة الحادة، وطعن ذراع المذنب عدة مرات، ونجح بالإفلات منه وغرس ذلك اللوح بعمق المذنب وأدخله أكثر عبر دهنه بقدمه وهو يصرخ من الغضب، وأخذ خنجر المذنب الملقى قربه، واستدار وبدأ يتعارك مع أولئك المذنبين وهو يلهث من التعب ويتألم من الجراح التي تعرض لها، يصد الضربات بذارعيه اللتان أصبحتا حمراوتان من الدم الذي يكسوهما.

نهض ذلك المذنب الذي كسر أحمد المزهريه على رأسه، وأمسك مسدس من على الأرض وهو ينزف من رأسه بغزارة، وصوبه على أحمد وهو يتعارك مع المذنبين، وضع راحة يده على رأسه وعندما أعادها، وراها، وجدها كلها دم، ثم رأى جثث رفاقه قربه، والصفير في أذنيه لا يتوقف وعينه أصبحت حمراء تدمع دما، نظر لأحمد وأطلق النار على كتفه وطرحه أرضاً، صرخ حينها أحمد من الألم وبسرعة بدأ يتراجع للخلف وهو ينزف بشدة من إصاباته، واتكأ على الحائط، وقال وهو ينظر إليهم: "هيا إفعلوها."

أخذ مذنب أخر مسدسه وصوبه نحو أحمد الذي أغلق عينيه ينتظر مصيره، ولكن! لم يحدث أي شيء، لم تخترق رصاصة رأس أحمد، فعندما فتح عينيه مجددا لم يجد أحداً بالمكان كما لو أنه كان يحلم والأن إستيقظ منه، لكنه بدأ يفقد وعيه من شدة النزيف، وقبل أن يغشى عليه، رمى عليه أحدهم حقيبة إسعافات أولية، رفع أحمد رأسه للفاعل ببطء، وبدأ يراه برؤية ضبابية لكنه عرفه حينها، فلقد كان هو، يحي، ممسكا بمسدس بيده والذي وقال له وهو ينظر إليه ببرود: "وها أنا مجددا لم أستطع تركك تموت، يا للعار علي..."

بدأ أحمد في محاولة الكلام والعالم من حوله يتلاشى: "سوف... لن... فعلت..."

وفقد أحمد وعيه حينها بينما بدأ يحي يتفحص جثث رفاقه من حوله.

ترك الإثنين ورائهما إشتباكات حامية، اشتباكات بدأت تميل كفتها لصالح قوات حفظ السلام، كونهم يحظون بمعدات وبالذخيرة والأسلحة المتطورة، والأهم من ذلك كله هو الخبرة والتدريب المكثف الذي خضعوا له.

ولذلك قوات حفظ السلام بدأت تقترب لمقر عمش الرئيسي شيئا فشيئا، بعد أن تعرفوا عليه بناء على الكم الهائل من الرجال الذين يحمونهم، لذا قرروا صب نصف تركيزهم عليه، كونهم لا يعلمون بيقين تام أنه هو.

بدأت أعداد المذنبين تتراجع شيئا فشيئا في خضم هذه الإشتباكات المتواصلة منذ ساعة تقريبا، ووصلت قوات حفظ السلام للمقر وبدأت في حصاره، ثم جاء قائد كتيبة الصيادين بمدرعة مع بعض الجنود، وبيده مكبر الصوت، وتكلم من خلاله وهو ينظر للمبنى:

"لقد مات قائدكم فلا حاجة لكم للإختباء أكثر، فإذا كنتم حقا تهتمون لسلامة المذنبين هنا، فسلموا أنفسكم في الحال ودعونا نهني كل شيء هنا وفي الحال... بسرعة فأعدادهم تقل بعد كل طلقة نار تسمعونها."

نظر لأحد الجنود وهو يحمل قنينة مولوتوف، وأشر له لرميها، كما جهز الجنود أنفسهم لإقتحام المبنى، وبدأ قائد الكتيبة يعد العد التنازلي، ثلاثة... اثنان... واحد...

وقبل أن يشعل الجندي النار بالقنينة، وأثناء تحطيم الجنود الباب لإقتحام المبنى.

بدأ صدى أصوات إنفجارات يعلو في الأرجاء، وتلقى حينها قائد الصيادين إتصال من جندي ظل في المخيم يخبره بدهشة: "المدرعات... إنها... تنفج..."

وإختزقت رصاصة عينه من خلف رأسه، وسقط أمام منظر مهيب من فوق التل الذي يطل على الحي.

المدركات التي كانت تحاصر الحي بدأت تنفجر الواحدة تلو الأخرى، وقد كان هذا بفعل إسحاق الذي جاء وأحضر معه ورجاله بأعدادهم الكثيرة، وتوغلوا بداخل الحي بسياراتهم بسرعة لمساندة رفاقهم في القضية، يطلقون النار على كل جندي في طريقهم إلى أن بدأ إسحاق يقترب للمبنى وإنضموا لبقية المذبذبين، وهذه المرة مالت الكفة لصالح الثوار، لأصحاب المكان، وتمت محاصرة كل قوات حفظ السلام الأحياء حول مبنى عمش الرئيسي، بعد أن قل عددهم وتضاعف عدد الخصم، ولم يسعهم فعل شيء سوى رفع الراية البيضاء.

بعد ذلك تم أسر كل الجنود المتبقين بمن فيهم قائد كتيبة الصيادين وقائد فصيل الحصار، أما أحمد فمسيره مجهول رقيقة يحي.

وبينما تم تجريد كل جنود قوات حفظ السلام وقادتهم من أسلحتهم وتم تقييد أيديهم، بدأ قائد الصيادين يضحك بقوة، وتقدم إليه إسحاق بنظرات حادة، وقال له قائد كتيبة الصيادين وهو ينظر لأعينه المظلمة: "أنت تلعب بالنار يا هذا!!"

نظر إسحاق لأحد جنوده وقال له: "خدهم من هنا."

بدأ جنود الثوار بأخذ الأسرى بينما إلتفت إسحاق للخلف ورأى من بعيد يحي يحمل أحمد على كتفه ويأخذه بعيدا، تنهد إسحاق، وإستدار للبقية بعد أن تم اخذ الأسرى، وتقدم حازم مبتسما نحو إسحاق وقال له: "مرحبا بعودتك أيها القائد!! لكن إسحاق تجاهل كلامه وأمسك حازم من كتفه بقوة ونظر إليه وقال له بنبرة هادئة: "أنت هو الخائن، أليس كذلك؟"

صوب رجال حازم على إسحاق وفعل جنود إسحاق المثل على رجال حازم، وصرخ حازم عليهم بقوة: "أنزلوا أسلحتكم أيها الحمقى، نحن هنا لتتحد ضدهم وليس لننفضل..." نظر حازم لإسحاق الذي كان يرمقه بنظرات مرعبة وقال له: "نعم أنا الخائن."

إسحاق: "أنت من أكد لقوات حفظ السلام أن محمد هنا، كما وكلوا لك مهمة إرساله للمطار لذلك كتبت تلك الوصية المزيفة وأرسلتها مع ذلك الرجل لعمر على أساس أنه والد طبيبة والدته، وارسلته لمحمد. كنت تنتظر فقط مثل هذا اليوم، أن تنفرد بالسلطة لنفسك أليس كذلك؟"

خفض حازم رأسه قائلاً: "قوات حفظ السلام لطالما كانت تعرف أن محمد يعيش هنا ويدير عملياته هنا، ونعم لقد اعطيت الرسالة لعمر فقط ولكنها هيا من كتبها حقا، لقد طلبت مني إعطاء الرسالة له عندما طلبت قديمي إليها بليلة وفاتها، أما بالنسبة لمحمد فأرسلت له الطبيب لكنه لم يصدق، حينها ظننت أنني فشلت وأن قوات حفظ السلام سوف يقتلونني لقتلي، لكن الرسالة أدت مفعولها مع عمر، والذي أقع والدته وأخذه، هذا الكم من الصدق والحظ الجيد يشعرني كما لو أنني أنقذت الأمة."

ربت إسحاق على كتف حازم قائلاً: "حسنا لقد فزت وحصلت على ماتريدي! محمد قتل، الطائرة إنفجرت به هو وباقي المذبذبين، كما أن الحافلة التي أرسلتكم هيا الأخرى ردت ولم ينجو منها أحد، لا أصدق أنك بعته من أجل لا شيء."

صدم حازم من كلام إسحاق وأمسكه من سترته الزيتية وقال له: "ماذا تعني؟! ماذا تقصد!؟"

أبتعد إسحاق منه وأمسكه جنود إسحاق وأسقطوه على ركبته وهو يصرخ قائلاً: "ماذا تعني أنه مات!؟"

أخرج إسحاق مسدسه وصوبه على حازم قائلاً بغضب و عروقه تبرز من عنقه: "لماذا فعلت ذلك حقا يا حازم!؟ أنا أعلم مقدار إحترامك ومعزتكم لمحمد ولقضيتنا فلماذا بعته وبعث نفسك!؟... تكلم!!!"

رفع حازم وجهه ونظر لإسحاق وقال: "أنا أستحق الموت بأبشع طريقة، خنت صديقي وأخي كان يعتبرني أقرب الناس إليه، وأنا دمرتة... لكن ليس للسلطة كما قلت!! لقد هددوني بعائلتي..."

أنزل حينها إسحاق مسدسه وبدا على وجهه حينها كما لو أنه تذكر شيء ما.

-قبل ثلاثة أيام-

يدخل حازم لمنزله الواقع بمدينة صغيرة لعدم إثارة الشبهات، كان حازم مثل محمد يزور عائلته كل شهر للإطمئنان عليهم ولكن الفرق بينهما، ان حازم كان يمتلك عائلة مثالية، عائلة متماسكة تنتظر رب أسرتها بكل شوق، ويستقبلونه بالضحكات والأحضان، وبينما كان

غارقا في حضن أطفاله الأربعة بدأ حازم يخاطب نفسه في ذهنه وهو يرى أطفاله ومنزله الهادئ، كلاما قد أعتاد سؤال نفسه عليه مرات لا تحصى

لماذا أفعل كل ذلك؟ لماذا أبتعد عن عائلتي العزيزة؟ لا أحد يعلم بشأنني منذ أن تم إنقاذي، يمكنني في أي لحظة أن أبتعد وأعيش مع عائلتي، فلماذا أفعل كل هذا؟؟

دخل حازم مع أطفاله لداخل المنزل وإذا به يرى رئيس حكومة حفظ السلام في المغرب يجلس في الصالة يشاهد الأخبار، صدم حازم حينها ووضع يده على خصره أين يضع مسدسه وطلب من أطفاله الذهاب لغرفهم، تقدم حازم نحو الرئيس في صمت وجلس قربه قائلا: "لا أظن أن قتلك الآن فكرة صائبة أليس كذلك؟"

لم ينظر إليه الرئيس فهو كان مشغولا بمشاهدة التلفاز قائلا: "هل سمعت ما قال رئيس جنوب أفريقيا؟ ياله من متخلف، يحضر العدوى إلى بلاده، بلاده الفارغة من المذنبين ستصبح حاضنتهم."

حازم: "لماذا أنت هنا؟"

الرئيس: "الذي خبر حصري لك، وصلني من بعض الأشخاص، أنه سوف يتم توفير طائرات حول العالم لأخذ المذنبين لجنوب أفريقيا..."

نظر الرئيس لحازم وامل كلامه: "كوثر شمس، هبة، ريان والصغير لوي، إذا لم تقنع محمد بالذهاب للمطار سوف أحرق أطفالك أمام عينيك، لقد إستجرنا منزلا قربكم لنصبح جيران بالحي، وإذا نجحت لم ترني ولم أرك وهذه أفضل مكافأة."

وقف الرئيس وقال: "فقط قم بذلك ودعنا ننتهي من كل هذا."

نظر الرئيس لأطفال حازم وهم يراقبانهما وقال له: "لماذا تكونون عائلات وأنتم دائما في خطر الموت؟"

-الحاضر-

أغلق حازم عينيه قائلا: "لقد فعلت كل هذا من أجل عائلتي، لقد هددوني أنه إذا لم أنجح في إرسال محمد فإنهم سوف يقتلونهم بيوم عيد ميلاد ابنتي اليوم، لم أكن أرد السلطة أو أي شيء كنت أريد فقط سلامة عائلتي وكان ذلك مقابل خيانة أخ وصديق عزيز علي... إفعلها هيا، فأولادي لا يستحقون أبا مثلي..."

رفع جنود إسحاق حازم، وربط إسحاق يديه وقال له: "لا أريد أن أرى وجهك هنا مجددا!"

وبدأ حازم يمشي في حال سييله وحيدا بين الجثث والخراب.

وضع إسحاق يديه على رأسه وأدخل أصابعه بين خصلات شعره الكثيفة قائلا: "سوف تصيبنوني بالجنون!"

وعلى الجانب الآخر من الحي بالحدود الجنوبية، في بيت سليم من تلك المعركة الوحشية، نرى أحمد وهو نائم على سرير بغرفة نوم وقد تم علاج جراحه وتضميدها، وقربه يحيي يجلس حانيا رأسه والمسدس بيده المليئة بدم أحمد وقال بصوت كئيب: "لماذا لا أستطيع قتلك... يا أخي الصغير؟"

13: نجوم تسطع في السماء (النهاية)

-أربع ساعات قبل عملية الانفجارات المبررة-

-أنترسول، نرتيفا-

داخل منزل فخم عتيق يحظى بإطلالة خلابة على جبال نرتيفا الجميلة، التي تقع شمالي غرب دولة أنترسول، كما يتمتع بحديقة ضخمة من حوله، بها العديد من الأشجار المثمرة لفاكهة البرتقال، والزهور البيضاء التي تعطي رونقا فاتنا ومسالما للمكان، وبمنتصف غرفة الطعام، وعلى مائدة الإفطار العتيقة الموضوعه بمنتصف الغرفة، يجلس توماس شتوفر رئيس حكومة حفظ السلام، مع عائلته، أطفاله الأربعة ابنتان وإبنان، يفطرون سويا في هدوء وصمت تام.

يأكل توماس حبة خيار بالشوكة، ثم ينظر لأطفاله ببرود، ثم يكمل طعامه، إلى أن انتهى ووقف، ووقف أطفاله كذلك، ونظف فمه بمنديلته، وهو ينظر لأطفاله بمشاعر مختلطة، وإذا بإبتسامة عريضة تظهر على وجهه الشاحب، وركض أطفاله نحوه بسرعة وعانقونه بقوة، وبدأ يقبلهم توماس الواحد تلو الآخر على رؤوسهم ويضحك معهم في جو عائلي جميل، لكن هذا التخييل الذي كان يجري بذهن توماس، اختفى عندما وضع خادمه معطفه البيج عليه، وأيقظه للواقع.

اكمل توماس ارتداء معطفه، وقبل أطفاله الأربعة في صمت، وقبل أن يذهب للممر المؤدي للباب، أين ينتظره سائقه الخاص إلتفت توماس للخلف، وصعد بالدرج، وتوجه لباب غرفة خشبي مقفل، وطرق عليه بلطف قائلا بهدوء: "عزيزتي؟ هل احضر لك معي شيئا ما، أو أخبرهم أن يحضروه لك؟"

وما إن بدأت الإبتسامة تتشكل بفمه، حتى رمت زوجته كأس الماء وكسرتة مع الباب، وقالت وهيا تصرخ بجنون: "قل لهم أن يحضروا لي خبر موتك بحادث سير شنيع..."

وعادت الملامح الكئيبة على وجه توماس، وعاد ادراجه وترك زوجته تقول بصراخ

"او بخبر موتك بسكتة قلبية... لا... لا... لا... هذا رحيم... أن تموت وشخص ما طعنك في قلبك... أو شق صدرك واخرجه وأكله أمامي..فلنمت أيها الشيطان!!!!"

مر توماس قرب أطفاله الذين كانوا يختلسون السمع قرب الدرج، لكنه لم يكثر لهم وخرج من المنزل، واخذ مفتاح سيارته من سائقه وقال له: "ألم يأتي المدرس بعد؟" نظر توماس لساعته بمعصمه وقال: "إذا جاء أخبره أنه مطرود هو ومن وظفته، أنا سوف أذهب لوحدي هذه المرة."

دخل توماس لسيارته، وساق مسرعا، ثم توقف بحافة الطريق بمنتصف سهل شاسع، أمام منظر بديع يفتح النفس، وقبض مقود السيارة بقوة بيديه إلى أن اصيحتا حمراوتان، وصرخ صرخة عالية وهو يحاول إنتزاع المقود من الغضب، ثم هدأ وأنزل زجاج السيارة، وأغلق عينيه وأخذ نفسا عميقا وهو يقول: "هذه فرصتك أيها القناص أطلق علي أخبروا زوجتي بهذا لكي تفرح ولو قليلا!"

أغلق توماس النافذة، ونظر لمرأة السيارة الداخلية، ورتب شعره الحريري البني العسلي، وشاربه الكثيف، واكمل طريقه، وبعد مدة ليست بطويلة وصل توماس لمقر حكومة حفظ السلام الرئيسي، ودخل لمكتبه وجلس على كرسية الأحمر، وإتكأ ووضع رأسه على ظهره، وبدأ ينظر للسقف الأبيض في صمت تام، يسمع فقط صوت عقرب الساعة يتحرك، تيك تاك... تيك تاك.

صمت وهدوء تام ينعم بهم توماس تلك اللحظة، خلفه نافذة كبيرة تعكس نور الشمس الصافي على المكتب تمنحه طابعا مسالما مع لون المكتب الأبيض كالتلج، هدوء تام، يتنفس توماس بعمق وهدوء محاولا نسيان ما قالت له زوجته قبل مدة، لكن ذلك السلام الداخلي الذي بدأ يظهر له، كسر بدق أحدهم باب المكتب، فتح توماس عينيه الخضراوتان، وسمح لطارق بدخول، فتح الباب، ودخل رجل ببذلة سوداء، ووضع بعض الأوراق والمستندات على المكتب حانيا رأسه لتوماس احتراما له، وقال: "هذه ياسيدي أوراق التي طلبتها أمس قبل أن ترحل."

ارتدى توماس نظارات الرؤية مستطيلة الإطار، وامسك الأوراق قائلا: "أي أخبار عن العملية؟"

الرجل: "لقد تأكدنا من حيازة جميع منفذاتها مستلزماتهم، وتأكدنا من كل رؤساء فروعنا حول العالم من لقائهم بهم."

توماس: "جيد..."

استدار الرجل وخطى نحو الباب، وقبل أن يفتحه، سأله توماس سؤالاً غريباً: "كيف هي علاقتك مع عائلتك؟"

إلتفت الرجل لتوماس قائلاً: "ليست لدي عائلة سيدي!"

توماس: "وكيف تشعر؟"

الرجل: "حسناً. لا أعلم كيف أشعر، فأنا لم أحظى بعائلة من الأساس لكي أحس بفارق... لكن... أظن أنني حتماً أشعر بالوحدة."

توماس: "من الخيرية؟"

الرجل: "نعم سيدي، أنا ولدت داخل السجن لكن والدتي توفيت بعد ولادتي، ولم يرد أي فرد من عائلتها الإعتناء بي، وثم نقلني للخيرية، وبعدها تم إرسالني مع عدة شباب آخرين لمعسكرات تدريب..."

وضع توماس الأوراق جانباً، وقال للرجل: "إذهب واحظى بعائلة، واخبرني فما بعد عن احساسك."

أما الرجل لتوماس وقال له متوتراً: "لا أظن... أعني... حاضر... حاضر سيدي الرئيس!"

وغادر الرجل المكتب.

-ساعتين قبل الانفجارات المبررة-

وصل فاكس لمكتب توماس، توجه نحو الآلة وقرأ المرسول، مفاده أن أعضاء المهمة وصلوا للمطارات وهم عن بعد خطوة واحدة لتنفيذ المهمة.

-ساعة قبل الانفجارات المبررة-

وصل فاكس اخر لمكتب توماس، وهذه المرة، يخبرونه، أنهم وضعوا القنابل، هنالك البعض منهم وضعوا القنبلة بسهولة، وهنالك العكس، فقد حصلت بعض المناوشات مع شرطة مدينة القاهرة، لكن قوات حفظ السلام تدخلت وتركتمهم ينفذون المهمة، كل شيء يسير على مايرام، فحسب الأرقام التي وصلتنا فهنالك حوالي 30 ألف مذنب بالطائرات حالياً.

خرج توماس من مكتبه بعجالة، وذهب لغرفة الاجتماعات، هناك وجد الأعضاء المهمين بمجلس السلام بالحكومة، ونائبه كقائد الجيش، لأن توماس شتوفر يعتبر الرئيس المطلق بالحكومة، يترأس الجيش والحكومة، ولديه نائب سياسي ونائب للجيش.

كانوا ينتظرون على أعصابهم خبر الانفجارات بترقب، دخل توماس عليهم، وجلس بمقدمة الطاولة، وسأل قائد قسم المخابرات بالجيش: "هل من تقدم؟"

رد القائد: "نحن الان ننتظر الرد منهم ياسيدي."

نظر توماس بنظرات مرعبة لأعين وقال له ببرود: "انت تعلم ماذا سيحصل لك إذا فشلوا؟ لا تجعلني اندم على وضعك بهذا المنصب."

رد القائد بارتباك: "نعم... نعم سيدي، لكن لا تقلق لقد جندت أفضل رجالنا..."

وبعد أن أنهى كلامه، وخلال نشرة إخبارية مباشرة، ترصد فيها كاميرا قناة إخبارية بالبرتغال، أجواء المطار الذي خصصته الدولة لرحلة المذنبين، حيث كان المذيع يصف الكم الهائل من الشعب أمام المطار، ينتظرون لحظة إقلاع الطائرة بمشاعر مختلطة، وبعد دقائق تلك اللحظة قد حانت، بدأت الطائرة تتحرك، ولكن قبل أن تبدأ بالإقلاع، انفجرت الطائرة، ثم من حول العالم، الواحدة تلو الأخرى، آلاف المذنبين ينفجرون ويموتون شويهاً هناك، وعيون توماس بدأت تنير بنور اللهب الأحمر الساطع من التلفاز وهو يرى الطائرات تنفجر، بوجه جاد خالي من المشاعر، إلتفت له قائد قسم المخابرات، ورمقه توماس بنظرة مرعبة وأوماً له، وقال له القائد مبتسماً وعليه ملامح التوتر: "لقد فعلناها ياسيدي!"

وبدأ الهاتف الأرضي يرن، واجاب نائب قائد للجيش:"نحن نرى إنجازاتكم الآن، انسحبوا من هناك قبل وصول الشرطة."

ووضع السماعة، وقال للرئيس:"وماذا الان؟"

نظر له الرئيس وقال له:"جهز الجيش واصدر أمرا لكتائب الصيادين والطوق الأمني، بالاستعداد للخطوة الثانية."

وبعد مرور نصف ساعة خرج الرئيس من باب الغرفة، وذهب للمؤتمر الصحفي.

دخل توماس مع نائبه بالجيش والحكومة، وبدأت اضاءات الكاميرات تعمي عينيه، إلى أن وصل للمنصة وخلفه نوابه، يضع كلتا يديه وراء ظهره، نظر توماس امامه على المنصة ووجد ورقة عليها مايجب عليه قوله، يبدو أنهم حضروا لكل الاحتمالات هذا ما كان يدور بعقل توماس آنذاك، لكنه أمسك الورقة، وجمعها داخل قبضته، واقترب لمكبّر الصوت وبدأ يخطب بشكل عفوي:

"مرحبا أيها السادة الكرام...أمم...نعم... أنا أعلم ما يشغل بالكم هناك، أستطيع ان أحس بمشاعر رؤسائكم التي يشعرون بها حاليا، والتي قادتهم لإقامة هذا المؤتمر الصحفي، لكن... أنا لا أهتم!... أنا أقوم بما يجب علي القيام به...كلفنا أنا وأبي لهذا الغرض... رأينا القوانين السامية ومايجب علينا فعله وما لا يجب...وها أنا الآن...أكمل مابدأت، احارب لكي اظهر هذه الأرض، من أولئك الأنجاس الذين يعكرون صفوة حياتنا المسالمة، كم علينا أن ننتظر أكثر ها؟! اتركهم يرحلون بكل بساطة؟ كما لو أنهم أبرياء مدنيون مثلنا، يذهبون لجنوب أفريقيا ثم ماذا؟ يشكلون مجموعات إرهابية مجددا ويحاولون تدمير هذا السلام الذي نعيشه الآن؟ فهذا هو حالهم، همجيون ضد النظام، ثوريون، وأنا... أنا تعبت من هذا الهراء، لقد قررت قرار لا رجعت فيه، وقمنا بعملية الانفجارات المبررة لأجل الصالح العام! وسوف أكمل وسوف أبيدهم، هذه المرة انتهى وقت الكلام وبدأ الجد، سوف اتربص لهم في جحورهم، وسوف اقتل كل واحد منهم، وأي شخص سوف يعارضنا لأبيدنه بيدي، حتى لو كان واحد منكم، لدي قوانيني لدي حدودي ولن ادع أحدهم يتجاوزها."

بدأ الحضور بالاستياء من كلام توماس، حتى ان هناك من خرج من القاعة قبل ان ينهي كلامه حتى، ومع ذلك، لم يتوقف توماس لهذا الحد، فعندما رأى من بوابة القاعة، رجل من المناصرين المتعصبين لحكومة حفظ السلام، مرتديا قميصا عليه شعار الحكومة، يحاول الدخول وهو يحيي توماس بكل فخر وحزم:

"ليعم السلام في الأرض!!"

لكن الأمن منعه وأغلقوا الباب، وبعد هذا المشهد، نظر توماس لعدسة الكاميرا وقال رغم الضجيج والمناوشات الحاصلة داخل القاعة:"أخرجوا أيها الأحرار، أخرجوا وادعموا السلام، ادعموا حملة التطهير التي سوف تبدأ!! ليعم السلام في الأرض...ليعم السلام في الأرض!!"

-بعد مرور يومين على الانفجارات-

يجلس إسحاق على أرضية سطح احد المنازل بحي المذبذبين، ينظر للسماء وهو يخاطب البستاني عبر الهاتف:"هل استيقظ الفتى؟"

رد البستاني وهو ينظر لعمر النائم على السرير كالطفل الصغير:"لا."

إسحاق:"حسنا، دعه يرتاح قليلا، وماذا بخصوص يعقوب وزوجته؟"

البستاني:"لقد رفض الخروج من المنزل، كنت اعرف انه سيقول ذلك، لذا تركت رجالي هناك لحمايته...ما أخر الأخبار هناك؟"

حك إسحاق شعره الكثيف، وقال:"لازلنا ننتظر ردهم."

البستاني:"حسنا، بالتوفيق سوف أذهب الآن."

-قبل يوم-

بالبطابق العلوي لأحد المقاهي الفاخرة بالمدينة، يجلس إسحاق وجها لوجه مع نائب رئيس حكومة حفظ السلام بالبلاد، وخلف كل واحد منهما حرسه الشخصيين، على طاولة وبين يدي إسحاق ملف رمادي، مرره لنائب الرئيس، نظر الرئيس لإسحاق، ثم فتح الملف، وبدأ ينظر لفجواه، صور أسرى معركة البارحة.

أغلق نائب الرئيس الملف ووضع جانبا ونظر لإسحاق وقال له: "ماذا تريد؟"

رفع إسحاق رأسه ونظر للرئيس وقال له: "هدنة."

ضحك نائب الرئيس حينها ووضع يده على فمه ثم قال بجد: "أرى أنك تغتر بنفسك يا هذا، أنت تعلم أنه بإتصال واحد استطيع قلب ذلك الحي رأسا على عقب وإخراجهم من هناك."

وضع اسحاق يديه مجددا على طاولة وقال وهو ينظر للورود داخل المزهرية الذهبية الموضوعه بمنصف الطاولة: "وأنت تعلم أيضا أن بإتصال واحد مني أستطيع قتل كل واحد منهم، وهذا لن يعجب رؤسائك، كما أن الحي محاصر من الشرطة بسبب تلك الحشود الغاضبة لذا لا نفع لكم من كل ذلك."

نظر نائب الرئيس لإسحاق بنظرات مشمئزة ثم قال: "وكيف ستتم هذه الهدنة."

إسحاق: "هدنة سنة لا غير، وقف إطلاق النار وفك الحصار عن الحي، سنقوم بتقسيم الرهائن على 12 شهرا، أي أنه وفي كل بداية شهر سوف نرسل دفعة من الرهائن وهكذا إلى نهاية السنة، ومعها انتهاء الهدنة."

وقف إسحاق وأخذ بعض وردة بيضاء ووضعها في جيب سترته الداخلي وقال: "لديكم مهلة 48 ساعة لتقرر مع أسيادك."

ثم غادر إسحاق مع رجاله، وصوب احد حراس نائب الرئيس وقال لسيدة: "هل نطلق عليهم؟"

كان نائب الرئيس ينظر لإسحاق بحقد لكنه فكر بعقلانية وأجاب حارسه: "لا، اذهب وجهاز السيارة سوف نذهب لنقل الرئيس من المطار."

خرج إسحاق مع رجاله، وإذا به يلمح سيارة سوداء مألوفة له، إلتقت لحراسه وقال لهم: "إذهبوا للحي وأخبروا يحي والأخرين أن يستعدوا لكل الإحتمالات."

ركب الحارسان السيارة، وغادرا المكان، بينما ظل إسحاق واقفا مكانه ينظر لتلك السيارة، إلتقت ليمينه وشماله، واخذ نفسا عميقا، وخطى نحوها.

فتح إسحاق باب السيارة الخلفي وجلس أمام رجل غامض، والذي قال له: "أرى أنك تتقدم بسرعة."

إسحاق: "كيف حالها؟"

الرجل: "أنها بخير طالما إلتزمت بما أمرناك به..."

إسحاق: "وما سبب هذه الزيارة؟"

الرجل: "قتلك للمرسل كان قرارا متسارعا."

إسحاق: "لقد تناول علي وتجراً وحاول أن ينطق ب..."

أسكته الرجل قائلا: "وماذا بخصوصه؟"

إسحاق: "أعطه بعض الوقت سيحتاج أن يتعالج من تلك الصدمة."

عدل الرجل من جلسته وأخرج رأسه من الظلام وقال بإنفعال: "إذا لیتعالج بسرعة ودعه ينفذ مهمته."

فتح إسحاق باب السيارة وقال: "فقط وفروا العتاد وأتركوا الباقي علي."

خرج إسحاق من السيارة واغلق الباب خلفه ووضع يديه داخل جيوب سترته وغادر.

وبعد مرور ساعتين، وصل إسحاق للمطار المحاط برجال الشرطة، وأيضا بالزوار الحزينين حيث تم ملئ بوابة المطار بالورود وتم تعليق صور ضحايا الانفجار وإطلاق النار داخل المطار من أفراد شرطة وعمال نظافة وغيرهم من المدنيين الذين لا صلة لهم بالأمر. والذي صرح رئيس حكومة حفظ السلام بالبلاد وقتها أن منفذي الهجمات الإرهابية داخل المطار لا علاقة لهم بعملية الانفجارات المبررة بل هم أنفسهم كتائب الثوار.

نعم لقد قامت حكومة حفظ السلام بتلفيق التهمة على كتائب الثوار لجعل العلاقة مع المدنيين أسوء، حيث قاموا بأخذ جثث صاحب المعطف الطويل ورجاله لكي لا تصل إليها الشرطة.

مر إسحاق من بينهم وأخرج الوردة البيضاء التي أخذها من المقهى ووضعها مع باقي الورود وقال بصوت هادئ: "أنا أعلم أنك لن تسامحني لجعلي حياتك جديما، أنت لم تولد لتكون شخصا شريرا في نظر الناس بل أنا من علي تحمل كل شيء. لكنني هربت لإيجاد الحقيقة، وها أنا سجين عندهم، لكن لا تقلق، لن يذهب كل جهدك هباء منثورا، سوف أصلح كل شيء، سوف أنهي كل هذه المعاناة التي نعيشها، سوف أحاول إعادة إنك لرشده.. فقط ارقد بسلام ودعني أكمل ما بدأت."

وقف عبدالعزيز قربه وقال له: "لقد عرفت انك ستكون هنا؟"

إلتفت اسحاق لعبد العزيز قائده السابق وقال له: "هل هم جاهزون؟"

نظر عبد العزيز لأعين إسحاق وقال له: "نعم، أيها الزعيم."

ومن بوابة المطار أين وصل رئيس حكومة حفظ السلام، واصطحبه نائبه وسائقه، وهم بالطريق لاحظ نائب الرئيس، أن الرئيس ليس على عادته وجهه شاحب كالجثة ولا يتكلم وحاني الرأس، ظل النائب ينظر إليه، إلى أن سأله للإطمئنان عليه: "هل أنت بخير ياسيدي؟!"

ثم بدأ رئيس يقول بنبرة مرتعبة ويتصبب عرقا: "لقد جن جنونه، لقد جن جنونه، سوف يفسد كل بدأتاه، هو وذلك المجنون سوف يدمرون كل شيء!!!!"

نظر الرئيس لنائبه وقال له: "أنا سوف أستقيل من هذا، لا أستطيع ان أكمل... هل سمعت!!"

رمقه حينها نائبه باحتقار وقال له: "ياللإحباط، لقد كنت رئيسا جيدا، لكنني أخشى انه لا أستطيع أن ادعك تعيش، لأنك تعرف الكثير..."

اقشعر جسم الرئيس من كلام نائبه وحاول فتح باب السيارة بسرعة، إلى أن اخترقت رصاصة رأسه من الخلف وخرجت من جبهته وعلقت بزجاج السيارة.

أعاد النائب المسدس لمكانه وقال ونصف وجهه الأيمن ملطخ بدماء رئيسه للسائق الذي كان يراقب في صمت: "اتصل برئيس الحكومة الدولة أخبره أننا نريد منه رد المعروف."

-الحاضر-

أنهى البستاني المكاملة، ووضع إسحاق هاتفه بقربه، واستلقى على الأرضية، يتأمل في السماء الزرقاء الصافية، ينتظر الرد من حكومة حفظ السلام، هل سيوافقون وتتم الصفقة ويبدأ إسحاق بتلك السنة الإستعداد للحرب؟، أو سوف يرفضون، ويحارب إسحاق بما يتوفر عليه حاليا؟ أسئلة والعديد من التخيلات والاحتمالات تدور برأسه حاليا.

وبين ما كان إسحاق في تأمله، سمع صوت صيحات الاطفال في الأزقة يتكلمون. قال لهم أحد رفاقه وهو يؤشر بسبابته للسماء: "أنظروا يرافاق النجوم تسطع في السماء!"

ضحك رفاقه وقالوا له باستهزاء: "أيها الغبي، لا توجد نجوم في الصباح، إنها تتطفئ وتشن بالشمس لكي تنير بالليل."

إبتسم إسحاق حينها وظل يتسمع بينما أصر الفتى على كلامه قائلا: "جديا يرافاق!! امعنوا النظر إنها تطير بسرعة في السماء."

أمعن إسحاق النظر في السماء ليرى إذا كان الفتى بالفعل محقا، وحينها وبين الحساب، بدأت تظهر العديد من النجوم الساطعة تحلق بسرعة فائقة نحوهم، وقف إسحاق مصدوما مستوعبا أنها ليست بنجوم، بل هيا... صواريخ!

وفي قبو تحت الأرض، أين تم حجز كل الأسرى، بدأ قائد كتيبة الصيادين يتكلم وهو يضحك ضحكة مرعبة: "أيها الحمقى! هل تظنون فعلا أنهم سوف يخضعون لمطالبكم مقابل من؟ مقابلنا نحن الجنود النكرة، يالكم من حمقى فعلا، ولازلت مستغربا كيف لم نقضي عليكم بأول سنة..."

ثم بدأت العشرات من الصواريخ تقصف الحي وتدمره بكل وحشية، المنازل تنفجر وتهدم على رؤوس قاطنيها، والفوضى وصرخات الأطفال والناس وبكائهم تملئ المكان، النيران تشتعل بالأزقة واشلاء القتلى منتشرة هناك.

ياله من مشهد مرعب من بعيد يراه العامة، حي لوحده يقصف بالصواريخ ورغم ذلك هنالك من فرح وبدأ يصفق أو يضحك وهناك من إندش وإرتعب أو بكا حزنا على قتلى ذلك القصف العنيف.

لقد كانت هذه البداية الرسمية للحرب، حرب طاحنة بدأتها حكومة حفظ السلام على المذنبين، حرب إبادة ظالمة في نظر البعض، تعيد لهم ذكريات للحرب الظالمة التي جرت قبل عقود بين أنتريستان وأنترسول، في المقابل البعض رآها حملة تطهير للأرض من الشر. حرب لا أحد يعلم كم ستدوم، هل ستنتهي بعد شهر... بعد عام... بعد عقد... بعد قرن... لا أحد يعلم...

- أنترسول، نرتيفا -

بداخل مكتب توماس شتوفر بمقر الحكومة، وضع توماس الهاتف بعد أن أنهى مكالمته مع المزارع، وإذا بأحدهم يفتح الباب وينير على المكتب المظلم المسدولة ستائره بنور الرواق، تقدم نائبه صاحب الاصلع وقال لتوماس: "سيدي الرئيس! لقد حضر قادة الحكومة والجيش إنهم ينتظرونك بقاعة الاجتماعات الرئيسية."

أمى توماس بوجهه وهو يضع كلتا يديه أسفل فكه، ثم غادر ذلك الشخص، ووقف توماس وخرج من المكتب، وذهب لقاعة الاجتماعات، فتح الباب ووجد أغلب القادة يجلسون حول طاولة اجتماعات ضخمة، تقدم توماس قريهم وجلس مكانه، وأغلقت الأبواب، نظر توماس لهم قائلا: "ماسيب الزيارة!؟"

ظهر من بينهم رئيس الأمم المتحدة شعره رمادي متساقط من فوق، وضرب بيده على سطح الطاولة ووقف وقال بغضب: "ماذا تظن نفسك فاعلا هاه؟! نحن قدمنا هذا المنصب لعائلتكم لسبب مواقفها البطولية في كلتا الحربين العالميتين والحرب الظالمة، لكنك هذه الفترة أصبحت تصدر قرارات منظرية وتميل للإرهابية وهذا يترتب عنه مشاكل والمشاحنات الدولية نحن في غنى عنها!!"

كان رد توماس بسؤال بسيط: "ومالذي فعلته يعتبر تطرفا، إشرح أيها الرئيس."

رد رئيس الأمم المتحدة بنبرة عالية: "هل تمزح معي!؟؟ فجرتم تلك الطائرات، وقبل قليل قمتم بقصف حي بالمغرب بشكل كلي لم يخرج أحد منه حيا، إسمع يا شتوفر، أظن أن عليك التريث بعض الشيء..."

وقف توماس مقاطعا كلامه قائلا: "إسمعني يا سيادة الرئيس، انا احترم بشدة تفتكم الكبيرة بعائلتي لتولي هذا المنصب وكل ذلك الهراء، لكن ليكن بعلمك فأنا أعرف شيئا واحدا، وهو أنني أفعل الصواب، وإذا عارضتني أو وقفت ضدي فأخشى أن علي تنفيذ الإجراءات معك."

بلغ الغضب اعلى مستويات رئيس الأمم المتحدة، وخرج مسدسا من حقيبة اعماله وقال له وهو يهدده ويده ترتعش من الخوف: "لقد جن

جنونك!"

ضرب الرئيس طلقة على سقف ودخل العديد من قوات الأمن الخاص ببدلات مدرعة سوداء وقاموا بإحاطة القاعة بالكامل، ابتسم الرئيس ابتسامة ثقة وقال لشتوفر: "أخشى أن هذه نهايتك أيها الرئيس، بالأسف دمرت إرث والدك وأجدادك."

وقف العديد ممن كانوا جالسين بالطاولة، ووقفوا بجانب رئيس الأمم المتحدة مساندة له.

عندما رأى توماس ذلك المنظر صفق لهم بحرارة ثم قال: "هل انتهيتم؟"

بدأ المنفصلون ينظرون لبعضهم البعض، ثم ابتعد توماس عن الكرسي وجلس على حافة الطاولة وقال وهو ينظر لرئيس الأمم المتحدة: "عندما نقلنا مقر الجيش لأنترسول، جلست بيني وبين نفسي وقلت، لما لا تصبح كلها ملكي؟ لذا قررنا بناء مقر حكومي لنا هنا جعلناه هو المقر الرئيسي إلى جانب الجيش، وقمنا بالإستحواذ على عدة كراسي بالبرلمان، واخذنا العديد من المناصب الحكومية والوزارية، ومنها وزير الدفاع، مختصر كلامي أيها الرئيس أن هذه الدولة منذ فترة ليست بطويلة أصبحت ملكنا نحن، وهل تفهم إلى ما أرمي بكلامي؟"

نظر رئيس الأمم المتحدة لعناصر الأمن ووجد أنهم انقلبوا عليه وصوبوا بأسلحتهم نحوه ونحو كل من وقف من مكانه بإعتبارهم معارضين.

بدأ توماس شتوفر يخطو نحو رئيس الأمم المتحدة ببطء ويقول له: "أنت تعلم ما هي عقوبة معارضة قرارات حكومة حفظ السلام؟"

بدأت يد الرئيس ترتجف بالمسدس ويقول بتوتر وخوف: "خ... خطوة واحدة وو... سوف أطلق عليك!!"

لكن توماس أكمل مشيه وقال: "لقد حكم عليك بالموت ياسيدي الرئيس!"

-بعد مرور نصف ساعة-

يجلس توماس شتوفر على مقدمة الطاولة وحيدا، وجهه وثيابه ملطخة بالدماء، ومن حوله جثث معارضييه متناثرة على الأرض، بينما هو جالس في هدوء ينظر لشعار حكومته الذهبي المعلق على الجدار الأبيض أمامه بنظرات باردة وبملامح وجه خالية من أي تعابير كالجماد الفارغ من الداخل، ثم قال ببرود: "لنعم الفوضى في هذا العالم البناس!!"

ثم أخرج الهاتف من جيبه واتصل بشخص ما.

مكان مجهول-

يُسمع صدى صوت رنين هاتف بداخل مكان ضخم مغلق بأكمله، مكان غريب أشبه بمختبر عسكري ضخم، مليء بجنود من قوات حفظ السلام بملابس فريدة من نوعها، ملابس خضراء داكنة وأقنعة تنفس سوداء، كأنهم على وشك مواجهة خطر جوي شديد، هذا المكان لا يعرفه أو يدخل إليه أي شخص.

إقترب رجل ببذلة سوداء للهاتف الذي كان يرن دون توقف فوق أحد الصناديق الخشبية، أمسك الرجل ببديه الهزيلتين لكبر عمره، ورد، وتكلم المتصل توماس شتوفر بحسرة وغضب: "لقد كنت محقا ياسيدي كلهم خونة كلهم كانوا ضدي، طوال هذا الوقت..."

رد الرجل بصوت هادئ: "إصبر يا بني إصبر، لم يتبقى الكثير وسوف نعاقب الجميع على ما فعلوه لنا، أتذكر؟ أنت فقط إلتزم بالخطة وسوف نتنصر!"

رد توماس: "لقد بدأت الحرب، والآن ماذا؟"

اشتغلت إنارة المكان فجأة، وظهر الرجل الغامض وبدأ ينظر إلى شيء ضخم أمامه، ثم قال ببرود: "فقط لا تدعها تنتهي قبل أن أخبرك."

رد توماس شتوفر بصوت هادئ لكنه مليء بالتصميم: "كما ترغب... سنلتزم بالتعليمات، أيها المزارع."

أغلق المزارع الخط، ثم بدأ ينظر أمامه، حيث كان شيء ضخم يعلو في الظلام، قيد الإنشاء.

وفي الطابق العلوي من هذا المعمل التحت أرضي، نجد مقر حكومة حفظ السلام في أنتريستان، في العاصمة، حيث يُحتفل اليوم بذكرى إنهاء الحرب الظالمة التي دمرت المنطقة منذ سنوات. حيث في كل عام، يحضر الرؤساء الذين كان لهم يد في إنهاء هذا الصراع الفاشي الخطير بين الجارتين، تلك الحرب التي كانت لأسباب أقل ما يقال عنها أنها تافهة وغريبة.

بهذا اليوم يحتفلون بهذه الذكرى والمناسبة السعيدة، بإلقاء خطاب أمام الحضور الكثير من الشعب أولهم رئيس دولة الجديد بعد القديم الذي قيل أنه قتل نفسه لكونه السبب في كل ما حدث وأبى تنفيذ مطالب العدو بإيقاف الحرب، وكانت النتيجة تدمير بلاده وموت الملايين من شعبه، وهناك روايات أخرى عن نجاته، لكن بالمجمل فالشعب أصبح يكرهه ويلقبه بالطاعون لما تسبب فيه.

كما يقومون أيضا بزيارة مقبرة ضحايا الحرب ومن بينهم رئيس دولة أنتريستان السابق فلاديمير ليثين، رغم كونه انتحر إلى انهم ولتخليد ذكراه تم دفنه بالمقبرة مع عائلته.

رفع المزارع وجهه للأعلى، وعينه تخترقان الظلام في حالة من التركيز الحاد كما لو كان يراقبهم وقال ببرود: "لم يتبقى الكثير... العقاب في طريقه إليكم."

من هو المزارع؟ وما هو هدفه الحقيقي وراء إفتعال تلك الحرب؟ وماصير إسحاق والبقية جراء ذلك الهجوم المفاجئ؟

كل هذا والكثير سنعرفه إن شاء الله في الجزء الثاني!

-النهاية-

إذا وصلت إلى هذه النقطة فأنت من بين نوعين يا أنك دخلت للرواية ونزلت بسرعة لتقرأ النهاية وترى إذا كانت تستحق، أو أنك قرأتها منذ البداية وأنهيتها، إذا كنت من النوع الثاني، فأود أن أشكرك على قراءتها وأتمنى من أعماق قلبي أن تكون نالت اعجابك واستمتعت بها ولم تكن مضبعة لوقتك الثمين.

لقاءنا بالجزء الثاني إذا كتب الله لنا العمر المديد.

وداعا!!